نموذج رقم (١)

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثامن عشر من آية ١٧١ من سورة الأعراف إلى آية ٤٠ من سورة الأنفال

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدي أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: Ziad H.A.obeed

اسم الطالب: زياد حمزة علي عبيد

Signature:

التوقيع:

Data: 18-1-2014

التاريخ: ١٨- ١ -٢٠١٤م

الجامعة الإسلامية – غزة
عـمادة الدراسـات العـــليا
كـــلية أصـــــول الديـن
قسم التفسيروعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثامن عشر من آية 171 من سورة الأعراف إلى آية 40 من سورة الأنفال

The Analytical study of the purposes and Objectives of the Eighteenth Hizb from the 171st Verse of AL – A'raf Chapter to the 40th Verse of Al- Anfal Chapter

إعداد الطالب

زياد حمزة علي عبيد

الرقم الجامعي

120060099

إشراف الدكتور

عبد الكريم الدهشان

قدمت هذه الخطة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

العام الدراسي

1434هـ – 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ج س غ/35/.....
التاريخ Date 2014/01/18

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **زياد حمزة علي عبيد** لنيل درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثامن عشر من آية 171 من سورة الأعراف إلى آية 40 من سورة الأنفال

وبعد المناقشة التي تمت اليوم السبت 17 ربيع الأول 1435هـ، الموافق 2014/01/18م الساعة الواحدة ظهراً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. عبد الكريم حمدي الدهشان	مشرفاً ورئيساً
د. جمال محمود الهوبي	مناقشاً داخلياً
د. زهدي محمد أبو نعمة	مناقشاً داخلياً

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم **التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي و للدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بسم الله الرحمن الرحيم

وما تفعلوا من خير يعلمه الله
١٣٧٤

❖ ❖ ❖ الإهداء ❖ ❖ ❖

❖ إلى صاحبَي الفضل بعد الله بوجودي على وجهه الأرض والدي صاحب الابتسامة الدائمة رحمه الله ، ووالدتي الحنون حفظها الله .

❖ إلى رفيقة دربي، ونور عيني ، ونعمة حياتي، زوجتي الحبيبة حفظها الله .

❖ إلى أبنائي وبناتي : آلاء وحمزة وبيان، أنبتهم الله نباتاً حسناً وحفظهم .

❖ إلى وجع القلب وحنين اللقاء إلى أخي الشهيد/ بلال حمزة عبيد شفعه الله بي .

❖ إلى صفوة المحبة : إخواني وأخواتي رعاهم الله .

❖ إلى شهداء الإسلام وفلسطين .

❖ إلى شهداء مجزرة الفاخورة .

❖ إلى من أكرمني الله به سنداً وعوناً .. في مسيرة كتابة هذا البحث جزاه الله خيراً .

❖ إلى الذين علمونا حروفاً من ذهب .. إلى الذين صاغوا لنا علمهم حروفاً .. وأناروا لنا الطريق ... إلى أساتذتي الأفاضل .

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع .

شكر وتقدير

الحمد لله أولاً وآخراً الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، الحمد لله رب العالمين أشكره على نعمه التي لا تحصى، ووفقني لإتمام هذا الجهد المتواضع وامتثالاً وعملاً بقولة تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ**﴾ [النمل :19] وقوله ﷺ:(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[1] . واعترافاً بالجميل والعرفان لأهل الفضل والامتنان فإنه يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لفضيلة الدكتور"**عبد الكريم حمدي الدهشان**" الذي له الفضل من بعد الله عز وجل لأن أكتب هذا العمل المتواضع والذي تفضل علي بقبول الإشراف على هذه الرسالة، حيث كان نعم الأخ الكبير والموجه الناصح فله مني كل الاحترام والتقدير وأساله تعالى أن يبارك فيه ويجعله ذخراً للإسلام والمسلمين وينفع به فجزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء .

كما أتقدم بجزيل وخالص الشكر والتقدير إلى عضوي لجنة المناقشة ، أستاذي الكريمين : الدكتور الفاضل/ **زهدي محمد أبو نعمة** حفظه الله، والدكتور الفاضل/ **جمال محمود الهوبي** حفظه الله اللذان تفضلا بقبول مناقشة هذا البحث ليثرياه بمعلوماتهما القيمة وتوجيهاتهما السديدة والنافعة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

كما لا أنسى شكري لهذا الصرح الشامخ ، هذه الجامعة الشماء "الجامعة الإسلامية" خاصاً منها كليتي "أصول الدين" ممثلة بطاقمها الأكاديمي الرائع وأساتذتي الكرام جعلهم الله عوناً للإسلام والمسلمين وأجرى الخير على أيديهم ، وشكري موصول لكل من ساهم وحفز وشجع ولو بكلمة من أجل إنجاز هذا العمل فجزاهم الله عني خير الجزاء ونفع بهم وأنعم عليهم بوافر الصحة وكمال العافية في الدين والدنيا والآخرة .

وأخيراً أسأله تعالى أن يتقبل مني وأن ينفع بي وبعملي هذا

[1] - سنن الترمذي، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، (4/ 339)، حديث رقم: 1954، وصححه الألباني في صحيح الجامع579/1.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعله فرقانا ، وبيَّن فيه حدوده وأحكامه تبيانا وأمر فيه بالتحاكم إليه وجعله للناس إماما وبرهانا، هو الحجة الدامغة والحكمة البالغة، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هدِي إلى صراط مستقيم.

والصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، نبينا محمد ﷺ ، خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، جدد الله تعالى به دعوة السماء، وأحيى به سنة الأنبياء، ونشر بدعوته آيات الهداية، وأتم به مكارم الأخلاق، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد ...

إن علم التفسير خير العلوم لأنه يتعلق بكلام الله تعالى، ومن خلاله يتم التعرف على المقاصد الأساسية للقرآن الكريم وكيفية تحقيقها في حياة المسلمين، ومن المؤكد أن ما من آية في القرآن العظيم إلا وتحمل في طياتها معنى أو فائدة أو حكمة أو تشريع، فهو كلام الله تعالى المعجز، كل آية منه تحتوي عدداً من المقاصد والأهداف التي إن كشف عنها الستار كانت دواء ناجعاً لمعضلة أو أكثر.

والوصول إلى مقاصد الآيات يحتاج إلى معرفة عدد من العلوم، وهذا يتطلب صفاء الذهن حتى لا تتفلَّت الأفكار وتتشعَّب ، فتنأى بصاحبها عن المقصد الذي يريد ، فهو علم يقوم على الاستنباط والفهم الدقيق للنص ودلالاته ويحتاج إلى أن يعيش الباحثُ أجواءَ النص كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، وهو في المحصلة توفيق رباني يهبُه الله لمن يشاء من عباده، والله الموفِّق والمستعان، والحمد لله رب العالمين .

عنوان البحث

" الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثامن عشر "

من آية 171 من سورة الأعراف إلى آية 40 من سورة الأنفال

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

1) إبراز مقاصد وأهداف آيات الدراسة في كون القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للبشرية جميعاً.
2) توضيح ما تناوله الحزب الثامن عشر من سورة الأعراف والأنفال من مقاصد متنوعة تهدف في مجموعها إلى تعميق التربية الإيمانية والتوجيهات التشريعية في حياة المسلمين، وذلك من خلال ربطه بواقعنا المعاصر قدر الإمكان.
3) بيان الدراسة التحليلية لآيات القرآن الكريم، فنزداد بذلك خبرةً وعمقاً في التعامل بهذا المنهج.
4) حاجة مجتمعنا المسلم الفلسطيني إلى عرض وطرح بعض المضامين التربوية والأخلاقية التي عالجتها السورة وتطبيق ذلك كواقع عملي ومنهج حياة .
5) تشجيع أستاذي في قسم التفسير وعلوم القرآن د. عبد الكريم الدهشان على هذا الموضوع والبحث فيه .

ثانياً: أهمية الموضوع:

1- تعلُّقُه بأشرف الكتب وأعظمها وهو القرآن الكريم.
2- المساهمة في تقدم الحلول المناسبة للمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم، وذلك ببيان وإبراز الأهداف والمقاصد التي تحتويها الآيات القرآنية .
3- إن بيان المقاصد والأهداف التي ترمي إليها الآيات يبرز جمال القرآن الكريم وبلاغته وكمال نظمه، كما أنه يبين نظام السورة ووحدة بنائها وترابطها.
4- معرفة مقاصد الآيات وأهدافها يبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والعناية بالقرآن والإقبال عليه، والتحاكم إليه.

ثالثاً: أهداف البحث:

1- إظهار الموضوعات الأساسية للحزب الثامن عشر بما يظهر المقاصد العامة والأهداف الحقيقية المراد إرساؤها في المجتمع الإسلامي.
2- ربط مقاصد الآيات وأهدافها بالمحور الأساسي للسورة بواقع المسلمين المعاصر.
3- إثراء المكتبة الإسلامية بسلسلة علمية محكمة تتناول دراسة تحليلية شاملة للمقاصد والأهداف المستنبطة من آيات القرآن الكريم، تقدم هذه السلسلة مقاصد القرآن الكريم بأسلوب علمي ميسر.
4- صقل الخبرة الذاتية للباحث بالدراسة التحليلية المتعمقة والدقيقة لآيات الدراسة.
5- بيان الجانب الإعجازي في القرآن الكريم ما أمكن، وذلك من خلال الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد آيات الدراسة.

رابعاً: منهجية الباحث:

واعتمد الباحثُ على المنهج التحليلي والموضوعي لأهداف ومقاصد الآيات في التفسير .

خامساً: الدراسات السابقة :

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية، لم أعثر على أي رسالة علمية سواء كانت رسالة ماجستير أو دكتوراه قد تناولت هذا الموضوع بهذه الصورة، وقد فتح قسم التفسير وعلوم القرآن سلسلة حول الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم كله، وقد كان نصيبي من هذه السلسلة الحزب الثامن عشر من القرآن الكريم.

سادساً: خطة البحث :

تتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ومجموعة فهارس تخدم البحث وبيان ذلك فيما يأتي:

المقدمة: وتشتمل على العناصر الآتية :

أولا: أسباب اختيار الموضوع.

ثانياً: أهمية الموضوع.

ثالثاً: أهداف البحث.

رابعاً: منهجية الباحث.

خامساً: الدارسات السابقة.

سادساً: خطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على:

التعريف بالأهداف والمقاصد ومحور السورة:

ويشتمل على ثلاث مطالب:

أولاً: تعريف الأهداف والمقاصد لغة واصطلاحاً.

ثانياً: الفرق بين الأهداف والمقاصد.

ثالثاً: الأسس التي تقوم عليها المقاصد.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الثامن عشر من سورة الأعراف الآيات (171 . 188)

ويشتمل على سبعة مباحث :

المبحث الأول :

تعريف عام بسورة الأعراف

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : اسم السورة .

المطلب الثاني: عدد آيات السورة .

المطلب الثالث : نزول السورة.

المطلب الرابع: فضل السورة

المبحث الثاني :

محور السورة وأهدافها ومناسباتها لما قبلها وبعدها

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : محور السورة .

المطلب الثاني: أهداف ومقاصد السورة .

المطلب الثالث : مناسبة السورة لما قبلها سورة الأنعام.

المطلب الرابع : مناسبة السورة لما بعدها سورة الأنفال.

المبحث الثالث :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (171 . 174)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : بيان نفسيات اليهود .

المطلب الثاني: الميثاق العام المأخوذ على بني آدم.

المطلب الثالث : عجيب تدابير الله في خلقه .

المبحث الرابع :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (175 . 178)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : اقتضاء العلم العمل .

المطلب الثاني: حال من ترك القرآن الكريم وأعراض عما فيه من الآيات .

المطلب الثالث : لا رفعة ولا سيادة ولا كمال إلا بالعمل بالقرآن الكريم .

المطلب الرابع : الهداية بيد الله .

المبحث الخامس :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (179 . 181)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : حقيقة القضاء والقدر .

المطلب الثاني: هبوط الآدمي.

المطلب الثالث : الأمر بدعاء الله .

المطلب الرابع : صفات الأمة المحمدية .

المبحث السادس :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (182 . 186)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : التكذيب بآيات الله سبب في الاستدراج والهلاك .

المطلب الثاني: التفكر في أحوال الرسل سبب في وقوع الهداية بهم .

المطلب الثالث : من دواعي الإيمان: التفكر في خلق الله واقتراب الأجل .

المطلب الرابع : ضلال من أعرض عن كتاب الله .

المبحث السابع :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (187 . 188)

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : مرد علم الساعة إلى الله .

المطلب الثاني: أشراط الساعة مقدمات لوقوعها .

المطلب الثالث : لا يعلم الغيب إلا الله .

المطلب الرابع : طلب النفع والضر من مالكه .

المطلب الخامس : إقرار الغاية من إرسال الرسل .

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثاني من الحزب الثامن عشر

من سورة الأعراف الآيات (189 . 206)

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (189 . 193)

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : أصل خلق البشر آدم وحواء .

المطلب الثاني: الحكمة في كون الزوج من جنس الزوجة .

المطلب الثالث : الزواج أهميته والحث عليه.

المطلب الرابع : خداع إبليس وتضليله للإنسان .

المطلب الخامس : التنديد بالشرك والمشركين .

المبحث الثاني :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (194 . 198)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : إقامة الحجة على المشركين .

المطلب الثاني: التوكل على الله في الوقوف أمام الباطل.

المطلب الثالث : تجسيد الباطل بأبشع الصور .

المبحث الثالث :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (199 . 202)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الأمر بالتزام الآداب والتحلي بأكمل الأخلاق .

المطلب الثاني: الاستعاذة بالله علاج الوسوسة والغضب وتزيين الباطل .

المطلب الثالث : فضيلة التقوى .

المطلب الرابع : سجية إخوة الشياطين وطبيعتهم .

المبحث الرابع :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (203 . 206)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : القرآن أعظم المعجزات .

المطلب الثاني: وجوب الاستماع والإنصات عند تلاوة القران الكريم .

المطلب الثالث : ذكر الله رغبة ورهبة .

المطلب الرابع : الملائكة قدوه لنا في السجود.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب الثامن عشر سورة الأنفال الآيات (1 . 23)

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الأول :

تعريف بسورة الأنفال

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تسميتها، نزولها، فضلها، عدد آياتها .

المطلب الثاني: الجو الذي نزلت فيه .

المطلب الثالث : مناسبة السورة لما قبلها وبعدها .

المطلب الرابع : بيان الأهداف والمقاصد لسورة الأنفال .

المبحث الثاني :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (1 . 4)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأمر بتقوى الله وإصلاح ذات البين .

المطلب الثاني: صفات أهل الإيمان الكامل.

المبحث الثالث :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (5 . 8)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: غزوة بدر وفضلها .

المطلب الثاني : تقرير قاعدة " عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم " .

المطلب الثالث : وعد الله نافذ .

المبحث الرابع :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (9 . 14)

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الاستغاثة بالله وحده .

المطلب الثاني: الغاية من إرسال الملائكة .

المطلب الثالث : نعم الله في غزوة بدر .

المطلب الرابع : تعليم كيفية قتل أعداء الله .

المطلب الخامس: عاقبة مشاقة الله ورسوله .

المبحث الخامس :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (15 . 19)

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : حكم الفرار من العدو عند اللقاء .

المطلب الثاني: خلق العبد وخلق فعله .

المطلب الثالث : معجزة التراب لرسول ﷺ .

المطلب الرابع: كرم الله لأوليائه .

المطلب الخامس : النصر مرهون بحبل الله .

المبحث السادس :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (20 . 23)

وفيه مطلبين مطالب :

المطلب الأول : الأمر بحكم طاعة الله ورسوله .

المطلب الثاني: منازل الناس بأعمالهم .

الفصل الرابع: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الرابع من الحزب الثامن عشر

سورة الأنفال الآيات (24 . 40)

ويشتمل على ستة مباحث : المبحث الأول :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (24 . 26)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : أسباب إحياء القلوب .

المطلب الثاني: اغتنام فرصة الخير قبل فواتها .

المطلب الثالث : طرق الوقاية من الفتنة.

المطلب الرابع : نتائج شكر النعمة .

المبحث الثاني :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (27 . 29)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : حكم الخيانة وأنواعها .

المطلب الثاني: عواقب فتنة المال والولد .

المطلب الثالث : ثمرات التقوى .

المبحث الثالث :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (30 . 31)

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مكر المشركين بدعوة الإسلام .

المطلب الثاني: موقف المشركين من دعوة الإسلام .

المبحث الرابع :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (32 . 35)

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : بغض الحق وكراهيته عند المشركين .

المطلب الثاني: النبي ﷺ أمان أمته من العذاب .

المطلب الثالث : فضائل الاستغفار .

المطلب الرابع : جرم الصد عن المسجد الحرام .

المطلب الخامس : أهل الحق بولاية المسجد الحرام .

المطلب السادس : هيئة عبادة المشركين وحكمها .

المبحث الخامس :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (36 . 37)

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : نفقات المشركين ومآلها .

المطلب الثاني: سنة الاختبار ماضية .

المبحث السادس :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (38 . 40)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : سعة فضل الله ورحمته وأن الإسلام يجب ما قبله.

المطلب الثاني: سنة الله في الظالمين.

المطلب الثالث : علة قتال المشركين .

المطلب الرابع : نعم الموالاة والنصرة.

الخاتمة:

وتشمل على أهم التوصيات والنتائج ووجهات النظر والأفكار الرئيسية التي يتم التوصل إليها .

الفهارس:

وتشتمل على ما يأتي:

1) فهرس الآيات القرآنية.
2) فهرس الأحاديث النبوية.
3) فهرس المصادر والمراجع.
4) فهرس المجلات والأبحاث والمواقع الإلكترونية.
5) فهرس الموضوعات.

التمهيد:

الأهداف والمقاصد ومحور السورة

ويشتمل على ثلاث مطالب:

المطلب الأول : تعريف الأهداف والمقاصد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني : الفرق بين الأهداف والمقاصد.

المطلب الثالث : الأسس التي تقوم عليها المقاصد.

المطلب الأول :تعريف الأهداف والمقاصد لغة واصطلاحا:

أولاً : تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً:

1-**الأهداف لغة** : جمع هَدَف : من أَهْدَفْتُ ودنوت منك والاستقبال والانتصاب . من انتصب الأمر؛ أي استوى واعتدل، يقال : أَهْدفَ لي الشيءُ، وأَهْدفَ القوم؛ أَي قَربُوا؛ فهو مُستَهدِف؛ وفي حديث أَبي بكر : قال له ابنه عبد الرحمن :" لقد أَهْدَفْتَ لي يوم بدر فضِفْتُ عنك[1]" ؛ والهَدَفُ : كل شيء عظيم مرتفع؛ و كل بِناء مرتفع مُشْرِف ؛ أَو كثِيب رَمْل أَو جبل؛ ومنه سمي الغرَضُ هدَفاً؛ والهَدَفُ من الرجال الجسيم الطويل العنق العريض الأَلواحُ؛ وأَهدَف على التلّ أَي أَشرَف وأَسرَعَ وأَهدَف إليه لَجَأَ.[2]

هَدَف والجمعُ أَهْدافٌ ، ومنه سُميَ الغَرضُ هَدَفاً وهو المُنْتَضلُ فيه بالسهام . ما وضع في الهدف ليُرمى والغرضُ : الهدف ويسمى القرطاسُ غرضاً وهدفاً على الاستعارة.[3]

وهَدَفْ هَدَفاً : دُعاءٌ للنعجة إلى الحلب . وهل هدف إليكم هادِفٌ : هل حَدَثَ بِبَلَدِكُمْ أحدٌ سوى من كان به ، وأهدفَ عليه: أشرفَ عليه: انتصَبَ وارْتَفَعَ . ورُكْنٌ مُستهدِفٌ : عريضٌ.[4]

---

[1]- انظر: لسان العرب (9/ 345)، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ، غريب الحديث (2/ 493)، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى:597هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1985م.

[2]- لسان العرب (9/ 347).

[3]- تاج العروس من جواهر القاموس (24/ 487)، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

[4]- القاموس المحيط (ص: 862)، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى:817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005م.

الأهداف اصطلاحاً :

للأهداف عدة تعريفات اصطلاحية، منها:

هي الأهداف التي شرعت الأحكام لتحقيقها، وأهداف الشارع هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفاسد.[1]

التعريف التربوي:

هي : ما انعقد العزم على إحداثها في المتعلم، من تحول في مستوى المعارف والمهارات والمواقف، بشرط أن يقع التثبت من حصول ذلك التحول إثر فترة من التكوين تحدد مسبقاً.[2]

فالأهداف هي الغايات والرغبات التي نسعى لتحقيقها، منذ نقطة البداية، لأي مخطط، أو منهج، عاجلا كانت الأهداف أم آجلة واضحة كانت أم خفية، معلومة أم مجهولة.[3]

التعريف الأول أقرب إلى الشرعي، والثاني أقرب إلى التربوي، والثالث عام وشامل.

أما الذي أراه مناسبا في هذا البحث في تعريف الهدف القرآني:

هو الوصول بالإنسان عموما والمسلم على وجه الخصوص، أن يكون عبدا لله خالصا بأن تتحقق فيه كافة المقاصد القرآنية : العقدية والشرعية والتربوية والأخلاقية، والنفسية والاجتماعية، وعمارة الأرض.

---

[1]– المقاصد العامة للشريعة الإسلامية (79)، للدكتور يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية، 1994م.

[2]– انظر موقع منبر التربية: http://www.minbr.com/bhaoth7.php.

[3]– الأهداف السلوكية (14)، للدكتور مهدي محمود سالم، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1997م.

الخلاصة:

إن الأهداف محصورة في عموم السلوكيات البشرية التي تتناسب والقدرات الشخصية، المكونة من الأبعاد العقلية والوجدانية والسلوكية والأخلاقية والاجتماعية، بحيث تتجاوب مع الأهداف القرآنية، والتي لا تتحقق إلا من خلال الالتزام بشرع الله تعالى، المرجعية الأساس للمسلمين، فالإسلام ينظر إلى هذه الأبعاد على أنها المحور والمرتكز لتحقيق الأهداف القرآنية وخاصة :الفكرية والإيمانية، حتى تسلم النفس من الهوى والشيطان، من خلال ضبط الشهوات، لئلا تجنح إلى السوء، وتسعى لسمو النفس بفكرها وحسن إيمانها، لتكون بدايةً لتحقيق المقاصد القرآنية.

ثانياً : تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً :

1-المقاصد لغة : قَصَدُ يَقْصِدُ قَصْداً فهو قَاصدٌ وقوله تعالى : ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ** ﴾ [النحل:9] أي على الله تبيين الطريق المستقيم، وطريقٌ قاصد سهل مستقيم وسَفَرٌ قاصدٌ سهل قريب وفي التنزيل العزيز: ﴿ **لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ** ﴾ [التوبة:42] أي غير شاق .

والقَصْدُ قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أي تُجاهك، والقصد في المعيشة أن لايسرف ولا يُقَتر يقال فلان مقتصد في النفقة.[1]

القَصيدُ: ما تَم شَطْرا أبنَيتِه من الشعْر، والقَصيدةُ: مُخةُ العظم إذا خَرَجَتْ وانقَصَدَتْ أي انفَصَلتْ من موضعها وخرجت، وانقَصَدَ الرُمحُ أي انكسر نصفين.[2]

والقصدُ استقامة الطريق والأم، والقَصْدُ ضد الإفراط، ومواصلة الشاعر عمل القَصائد.[3]

---

[1]- لسان العرب (3/ 354).

[2] – العين (5/ 55)، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى:170هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

[3] – القاموس المحيط (ص: 310).

قَصَدَ الشيء وأمهُ وأتى إليه، واكتنزه، وأثبته، أو العدل فيه. ومن معاني قصد: الاعتماد والأمُ، تقول: قصدَ الحاج البيت الحرام، إذا أموا تلك الجهة واعتمدوها. يقول: ابن فارس:" وإنما قيل ذلك، لأنه لم يُحَد عنه".[1]

تعريف المقاصد اصطلاحا:

إن الوقوف على مقاصد الشريعة ومعرفة عللها وأحكامها، والتي هي جزء من المقاصد القرآنية، يجعل النفس تطمئن بمباشرة اليقين و الاستبصار، بعيدا عن أي ظن، لأن مصدرها العليم الخبير، فبين المقصد من خلق الإنسان، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات:56]، وبما أن العبادة قائمة على وجود الإنسان وبقائه حياً، وبالتالي، فالمقاصد القرآنية تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

1-قسم متعلق بالله وتوحيده، 2- قسم متعلق بمن سيوحد الله ويعبده، 3- قسم متعلق بمكان الإنسان واستمرار حيا ته وما يضمن سلامته، ولكي تتحقق لدى الإنسان المقاصد الثلاثة لا بد من الالتزام بشعائر الإسلام والعمل الجاد بالعقيدة الصحيحة، ليس شعارا يرفع، لا ليخدم أهدافاً سياسيةً واقتصاديةً أو فكريةً، أو مصالح ذاتية فحسب، وإنما قائم على مجموع مصالح الإنسان عموما، فلا بد من توافق وترابط المقاصد القرآنية بدرجاتها الثلاث بعضها ببعض وهي : الضرورية، والمتمثلة بحفظ الدين، والنفس، والعقل، و العرض، والمال، والحاجيات التي ترعى المقاصد الخمسة، ومن ثم المصالح التحسينية التي تكمل الضروريات والحاجيات.[2]

---

[1]- مقاييس اللغة (5/ 95)، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى:395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

[2]- باختصار موقع الراية

http://www.rayah.info/browse.php?comp=viewArticles&file=article&sid= 2613

التعريف الاصطلاحي :

تعريف أحمد الريسوني [1]: بأنها: الغايات التي وضعتها الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد.[2]

تعريف علال الفاسي[3]: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها[4].

تعريف ابن عاشور[5]: هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة.[6]

تعريف محمد الزحيلي[7]: هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان.[8]

1- مغربي الأصل ولد سنة 1953م ، وبها حصل دراسته الجامعية وصولاً إلى الدكتوراه، وعمل أستاذاً بجامعة محمد الخامس، واختير كخبير أول لدى مجمع الفقه الإسلامي بجدة، وله عدة مؤلفات ترجم بعضها لعدة لغات ككتابة نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (انظر :موقع ويكيبيديا، والموقع الرسمي للمكتبة الشاملة).

2 -باختصار موقع الراية

http://www.rayah.info/browse.php?comp=viewArticles&file=article&sid= 2613

3 - هو علال عبد الواحد الفاسي ولد ١٩١٠ في بيت علم ودين حفظ القرآن صغيرا تخرج من جامعة القيروان وقاوم المحتل الفرنسي له مؤلفات أهمها مقاصد الشريعة والنقد الذاتي مات 1974م

http://www.zaharuddin.com/v1/Maqasid%20Shariah.htm

4 – موقع المكتبة الإسلامية : http://library.islamweb.net/newlibrary /

5 – رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين عام 1932 شيخاً للإسلام مالكيا.وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة.له مصنفات مطبوعة، من أشهرها : مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والتحرير والتنوير في تفسير القرآن.(الأعلام للزركلي 174/6).

6 - http://www.zaharuddin.com/v1/Maqasid%20Shariah.htm

7 – دمشقي الأصل، ولد سنة 1941م، حصل على درجة الدكتوراه في الفقه المقارن من جامعة الأزهر سنة 1917م، ودرس في العديد من الجامعات، وتولى العديد من المناصب منها تعيينه خبيراً في مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، وله العديد من المؤلفات والتحقيقات منها كتابة الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، وحاز جائزة التميز في البحث العلمي بجامعة الشارقة سنة 2007م .(انظر :ملتقى أهل الحديث).

8- نفس الموقع السابق .

من خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية للمقاصد الشرعية التي هي جزء من المقاصد القرآنية **أستطيع تعريف المقاصد القرآنية بالتالي:**

إنها النتائج المقصودة بعد تحقيق الأهداف والغايات للأحكام والمعاني العامة والخاصة للمنهج القرآني، و أنها الأسرار الكامنة المستنبطة من كل جزئية من جزئيات الأهداف والغايات والأحكام التي تتدرج ضمن الكليات الخمسة، والتي تعتمد في الأساس على جلب المنافع ودفع المضار كلٌ حسب استطاعته.

المطلب الثاني :الفرق بين الأهداف والمقاصد:

من خلال ما سبق من تعريفات اصطلاحية لكل من الأهداف والمقاصد نلاحظ الفرق بين كلا الاصطلاحين، وتتمثل بالتالي :

أولاً : الأهداف : هي نقطة البداية لأي عمل في إطارٍ تعبدي أو تربوي، وتكون قبل وضع الخطط.

- الأهداف الكبرى والعامة تهتم وتعنى في صياغة القيم والاتجاهات والتراث والآمال.
- الأهداف تقوم على تطوير فلسفة المجتمع الممنهجة وفق سياستها التربوية.
- الأهداف العامة والخاصة لا بد أن ترتبط بالواقع التطبيقي للحياة قدر الإمكان.
- الأهداف منها ما هو معلوم التحقيق، ومنها ما هو مجهول، غير قابل للتحقيق.
- الأهداف هي التي يرغبها الإنسان، ويسعى من خلال تحقيقها إلى تنظيم سلوكه الإنساني.
- إن الأهداف تكون قبل نتاج أي عمل، لأنها قد تتحقق وقد لا تتحقق.
- كما أنها عبارات تحاول أن تعطي شكلا واتجاها لمجموعة من المقاصد التفصيلية في المستقبل القريب أو البعيد.
- يختلف تعريف الهدف تبعا لنوعيته، ومستوى عموميته.
- الأهداف تنقسم إلى عدة أهداف سلوكية تطبيقية، ومعرفية مهارية، ووجدانية عاطفية.[1]

ثانيا المقاصد:

إن تحديد المقاصد القرآنية وإثباتها، يكون من خلال حسن التدبر باستخدام المأثور النبوي، والعقل والفطرة والتجربة وحسن الدراية ، لإيجاد تصور جديد للمقاصد، متناولا الضرورية منها في القواعد الخمسة أساسا، وتحديد أنواعها ومراتبه . والمفاهيم العامة والخاصة والجزئية، فيما يخص الفرد والأسرة والأمة، والإنسانية . ثم ينطلق إلى تفعيل المقاصد، ويتحدث عن صورتها المرتبطة لتحقيق الأهداف . ويتناول بيان كمال المنهج القرآني، بالاطمئنان على الإنسان وإيمانه، والنظر في قضية المصالح

[1]– الأهداف السلوكية د.مهدي محمود سالم (14-18).

والمفاسد، والجمع بين الكليات العامة، والاعتبارات والحالات الخاصة، بالتوسع والتجديد في الوسائل، وهذا كله يختلف عن الأهداف ووسائلها وطرقها، رغم وجود العلاقة المترابطة بين الأهداف والمقاصد.[1]

لذا فإن المقاصد تتميز عن الأهداف بالتالي:

- المقاصد هي الحكمة المقصودة والمبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها، فإن تحققت الأهداف أصبحت النتائج مقصودة لذاتها، فالأعمال شرعت للوصول إلى المقاصد.
- المقاصد هي الحق المقصود لذاته.
- تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، في العاجل والآجل، و درء المفاسد ودفع المضار ، المقصود الأساس من وراء أي عمل.
- المقاصد هي الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلَّفين، أفراداً وأسراً وجماعات.
- المقاصد هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة.
- المقاصد هي المعاني الملحوظة في الأحكام القرآنية والشرعية المترتبة عليها، سواء كانت تلك المعاني حكما جزئياً أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن تقرير ونتاج واحد هو: عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين.[2]
- المقاصد العليا تمثل القيم التي من أجلها استخلف الإنسان على الأرض، وهي : (التوحيد، والتزكية، والعمران).[3]

---

[1] – انظر موقع الفكر :http://www.fikr.com/cgi-bin/_showcard.cgi?id=: 1119

[2] - اقتباس واختصار بتصرف من موقع الشبكة الإسلامية:
http://www.islamweb.net/ver2/library/ummah_ShowChapter.php?lang=A&BabId=4&ChapterId=4&B

[3] – مقاصد الشريعة (82)، مجموعة من المؤلفين، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.

ولتوضيح ذلك : خلق الله الإنسان وسخَّرَه لعبادته ليكون خليفةً في الأرض، وليعمر هذا الكون، فسخر له ما في السموات وما في الأرض ليحقق هذا المقصد العظيم، قال الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية:13]. فالدعوة إلى التفكير هو توجيه ربانيٌ ودعوة للنظر في المقصد العظيم الذي من أجله خلق الإنسان، قال الله تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات :56].

المطلب الثالث :الأسس التي تقوم عليها المقاصد.

إن مقاصد القرآن الكريم ومن خلال استقراء نصوصه واستنباط أحكامه، تقوم على أساس تحقيق جلب المنافع الدنيوية ، التي أساسها السعادة والطمأنينة والأمان، والأخروية القائمة على مرضاة الله تعالى ورحمته، ودرء المفاسد القائمة على الذنوب والمعاصي، ودفع الأضرار من أجل النجاة من النار، وهذا لا يكون إلا بفضل الله تعالى والعبادة النابعة من خلال امتثال أوامره الله سبحانه واجتناب نواهيه.

فأصل العبادة قائمة على دعوة الله جل في علاه لخلقه أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، فالأسس التي قامت عليها المقاصد هي مصالح العباد وبقاء استمرار النوع البشري على الأرض، وهذا لا يكون إلا من خلال العبادة لله.

وعلى هذا الأساس قسم بعض العلماء المقاصد إلى ثلاثة أقسام:

أ -المقاصد العامة : هدف الشريعة العام وتحقيقها في كل أبوابها التشريعية.[1]

ب -المقاصد الخاصة :هدف الشريعة للتحقيق في باب أو أبواب معينة متجانسة.

ج -المقاصد الجزئية : هي ما يقصده كل حكم شرعي تكليفي ، وأسراره التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها[2] وهي التي تنطبق عليها أمثلة ابن عاشور: (من كون عقدة الرهن مقصودها التوثق، وعقدة النكاح مقصودها إقامة الأسرة، وتثبيت المؤسسة العائلية).[3]

---

[1] – مقاصد الشريعة (177) باختصار، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، دار البصائر، الطبعة الأولى، 1998م.

[2]– المصدر السابق: ص188، باختصار وتصرف.

[3]– انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي(7،8)، لأحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، الطبعة الرابعة، 1994م.

وبما أن المقاصد القرآنية من الأهمية بمكان، فقد حظيت بعناية العلماء من حيث دراستها واستنباطها، وبينوا مراتبها في ذاتها من حيث ضرورياتها وحاجياتها، وتحسيناتها.

فأسس المقاصد يعتمد على التالي:

المقاصد الضرورية:

وهي ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، والتي سماها الأصوليون بالكليات الخمسة، حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال[1]، بحيث إذا فقدت حلَّ محل المصالح المفاسد وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين.[2]

المقاصد الحاجية :

وهو ما تحتاج إليه الأمة وأفرادها، لاقتناء مصالحها وحمايتها، وانتظام أمورها، على وجه حسن، بحيث لولا مراعاته لفسد النظام، ولكنه يكون على حالة غير منتظمة، فلذلك كان لا يبلغ مبلغ الضروري[3] ومن أمثلتها: الرخص المخففة بالنسبة لِلحُوق المشقة؛ كإباحة الفطر للمريض والمسافر، وسائر المعاملات التي لا يتوقف عليها حفظ الضرورات الخمس.

---

[1] – الموافقات (3/ 236)، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى:790هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ- 1997م، وشرح تنقيح الفصول (391)، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة: الأولى، 1393 هـ - 1973م.

[2] – دراسات في الفكر العربي الإسلامي (137-140) للدكتور زيد إبراهيم الكيلاني، وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الطبعة السابعة، 1997م.

[3] – مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور(82).

المقاصد التحسينية:

وهو كل ما يتصل بالأخلاق الرفيعة، والكمالات النفسية، والآداب العامة، وما يزين الحياة ويجملها في إطار قواعد الشرع وحدوده: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف:32] لتكون الأمة بهية المنظر، وقرة عيون الراغبين فيها، ومحط أمل الكثيرين، كما كانت بغداد مركز العلم والأدب والفن، ومهوى أرباب الذوق والحس، يحرص كل واحد على زيارتها، فقصدها الكثيرون فاغترفوا من مناهلها، وعادوا إلى بلادهم وهم متشبعون بالآراء والقواعد في الفقه واللغة والفن، هذه التحسينات جارية في العبادات والعادات والمعاملات: كالطهارات، وآداب الأكل والشرب، والمنع من بيع النجاسات.

وهذه الأمور وأمثالها كما يقول الشاطبي: " راجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية؛ إذ ليس فقدانها بمخل بأمر ضروري ولا حاجي، وإنما جرت مجرى التحسين والتزيين".[1]

يقول الدكتور محمد سليم العوا: "إن القرآن لفت نظرنا إلى نظرية المقاصد في أخص ما يعنينا في ديننا وهو صدق بعثة النبي ﷺ حيث ذكر ستة مقاصد لبعثته ﷺ في قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف:157]، فهذه المقاصد الستة لا تستقيم النبوة بدونها، وهذا يلفتنا إلى البحث في المقاصد، ولو أن العلماء التفتوا إليها لاكتشفوا أشياء مذهلة، فانشغلوا بالفقه وقواعد الأصول، وتركوا هذا العلم الواسع[2]"

فنجد أن الدكتور نحى منحىً آخر غير المقاصد السابقة، في الكليات الخمس، فوضع قواعد أخرى للمقاصد، مما يجعلنا نفكر بتمعنٍ وتدبر للبحث عن أهداف ومقاصد جديدة.

---

[1] – الموافقات (1/ 443).

[2] انظر موقع إسلام أون لاين:
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1176631657148&pagename=Zone-. Arabic-Shariah%2FSRALayout

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الثامن عشر

سورة الأعراف الآيات (171 . 188)

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الأعراف

المبحث الثاني: محور السورة وأهدافها ومناسباتها لما قبلها وبعدها

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (171 . 174).

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (175 . 178).

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (179 .181).

المبحث السادس: المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (182 . 186).

المبحث السابع: المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (187 . 188).

المبحث الأول :

تعريف عام بسورة الأعراف

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة.

المطلب الثاني: عدد آيات السورة.

المطلب الثالث: نزول السورة.

المطلب الرابع: فضل السورة.

المطلب الأول: اسم السورة

1. سميت سورة الأعراف بهذا الاسم لورود الأعراف فيها، وهو سور بين الجنة والنار، لقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْٓاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف :46]

2. سورة الميقات، لاشتمالها على ذكر ميقات موسىﷺ في قوله تعالى﴿ :وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾[الأعراف :143].

3. سورة الميثاق، لاشتمالها على حديث الميثاق في قوله تعالى:﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف :172]

4. إنها تدعى طُولى الطّوليين فعلى إدارة الوصف دون التقليب وأشهرها الأعراف[1]، أخرج البخاري في صحيحه عن مروان بن الحكم قال: قال لي زيد بن ثابت: «ما لك تقرأ في المغرب بقصار، وقد سمعت النبي ﷺ يقرأ بطولى الطوليين»[2]، أي بأطول السورتين الطوليتين المائدة والأعراف.

المطلب الثاني :عدد آيات السورة:

مائتان وست آيات في عد قراء الكوفة والحجاز، ومائتان وخمس في عد الشام والبصرة.[3]

المطلب الثالث: نزول السورة:

سورة الأعراف هي السورة السابعة في ترتيب المصحف، وهي السورة المكية الثانية بعد الأنعام في ترتيب المصحف.

وسورة الأعراف أول سورة طويلة نزلت من القرآن الكريم، وهي أطول سورة في المكي[4] وهي معدودة التاسعة والثلاثين في ترتيب نزول السور، وقيل نزلت بعد سورة ص وقبل سورة الجن.

---

[1]– انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (203.204/1)، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (133/8)، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ، وفي رحاب التفسير (1291/2)، لعبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث، القاهرة.

[2] – صحيح البخاري (153/1)، كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ القِرَاءَةِ فِي المَغْرِبِ ، ح: 764، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.

[3] – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (203/1).

[4]– تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (6/8–7)، لمحمد الطاهر ابن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية، تونس، 1984 هـ.

المطلب الرابع: فضل السورة:

قال الإمام المستغفري في كتابه فضائل القرآن:" باب ما جاء في سورة الأعراف: أخبرنا بكر بن محمد بن جعفر أخبرنا محمود بن عنبر حدثنا محمد بن أبان حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج قال: سمعت عبد الله بن أبي مليكة يقول أخبرني عروة بن الزبير أن مروان أخبره قال: قال لي زيد بن ثابت: ما لك تقرأ في المغرب بقصار المفصل؟ لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب طولى الطوليين قلت لعروة: ما طولى الطوليين؟ قال: الأعرف فقلت لابن أبي مليكة: ما الطوليان؟ فكأنه قال من قبل رأيه: الأنعام والأعرف.[1]

وقال السخاوي رحمه الله: "هي من السبْع الطوَل باتفاق، وقد قالﷺ : (أعطيت السبْع الطُّوَل مكان التوْراة)، وعن عائشة رضي الله عنها: (من أخذ السبْع فهو حَبْر)[2].

[1]– فضائل القرآن للمستغفري (2/ 548)، والحديث في سنن أبي داود (215/1)، أَبْوَابُ تَفْرِيعِ اسْتِفْتَاحِ الصَّلَاةِ، بَابُ قَدْرِ الْقِرَاءَةِ فِي الْمَغْرِبِ، ح812، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود 3/ 396).

[2]– جمال القراء وكمال الإقراء (ص: 126)

المبحث الثاني

محور السورة وأهدافها ومناسباتها لما قبلها وبعدها

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: محور السورة.

المطلب الثاني: أهداف ومقاصد السورة.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها الأنعام.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما بعدها الأنفال.

المطلب الأول: محور السورة:

سورة الأعراف من أطول السور المكية، وهي أول سورة عرضت قصص الأنبياء بالتفصيل، ومهمتها مهمة السور المكية تقرير أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله وتقرير الوحي والرسالة.

المطلب الثاني: أهداف ومقاصد السورة:

لسورة الأعراف أهداف كثيرة وسيقتصر الباحث على أهمها:

1- بيان أن القرآن كلام الله تعالى: فقد افتتحت السورة بالتنويه بالقرآن العظيم معجزة الرسول ﷺ الخالدة، وأنه نعمة من الله، ويجب إتباع تعاليمه.

2- بيان أبوة آدم عليه السلام للناس جميعاً، وأمر الله تعالى الملائكة بالسجود له سجود تعظيم وتحية، لا سجود عبادة وتقديس، وبيان عداوة الشيطان للإنسان والتحذير منه.

3-الأمر بدعاء الله تعالى وحده وإخلاص الدين له وتخصيصه بالعبادة، فيجب إتباع ما أنزله ولا يجوز إتباع الأولياء من دونه في العقائد والعبادات ولا في التحليل والتحريم، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف :3].

4- إنزال القرآن على قلب رسول الله ﷺ، وأمره بالاستماع والإنصات، وكذلك أمر المؤمنين بالاستماع والإنصات، وإتباع المنزل إليهم من ربهم.

5- وجوب إتباع أوامر الدين، لأنه يثاب فاعلها، ويعاقب تاركها في الآخرة، وحصر أنواع المحرمات الدينية العامة في قوله تعالى ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[الأعراف :33]، وبيان أصول الفضائل الأدبية في قوله تعالى ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف : 199].

6- بيان سنة الله تعالى في الاجتماع والعمران البشري، حيث إن الله تعالى أهلك الأمم الظالمة بسبب عدم إيمانها بالرسل عليهم السلام حتى تكون عبرة لغيرها من الأمم الأخرى، وابتلاء الله تعالى الأمم بالبأساء والضراء، وتارة بالرخاء والنعماء وبيان أن الإيمان والتقوى والعمل الصالح سببٌ في نزول البركات والخيرات من السماء والأرض على الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[الأعراف : 96].

7 -التنديد بعبادة الأصنام والتهكم بمن عبد ما لا يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع من أحجار وأصنام اتخذوها شركاء مع الله تعالى.[1]

---

[1]- تفسير المراغي (144/9)، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946م.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها (سورة الأنعام):

تظهر مناسبة سورة الأعراف للسورة التي قبلها في ترتيب المصحف، وهي سورة الأنعام بما يلي:

1- موضوع سورة الأنعام والأعراف هو العقيدة، ولكن سورة الأنعام تعالج العقيدة في ذاتها، وتعرض موضوع العقيدة وحقيقتها، وتواجه الجاهلية العربية بينما سورة الأعراف تعالج موضوع العقيدة، وتعرضه في أكثر من مجال سواء كان هذا المجال في رحلة بشرية، أو مجال التاريخ البشري.[1]

2- إن سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق وفيها:﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾[الأنعام : 2]، جاءت سورة الأعراف لتشير فيها إلى ذكر المرسلين وتعداد كثير منهم فيفصّل ويبسّط فيها قصة آدم، وكان أبلغ ثم بسطت وفُصّلت قصص المرسلين وأممهم، وكيفية هلاكهم تفصيلا تاماً شافياً مستوعباً لم يقع نظيره في سورة غيرها، فكانت سورة الأعراف شرحاً لما جاء في سورة الأنعام، وأيضاً فذلك تفصيل لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام :165]

وأيضاً في سورة الأنعام ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾[الأنعام : 12] وهو موجز، وبسطه سبحانه بقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[الأنعام : 156].

3- أما وجه ارتباط أول الأعراف بآخر الأنعام، فهو أنه قد تقدم هناك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾[الأعراف : 153]،﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوه ﴾ُ[الأعراف : 155] ، وافتتح الأعراف أيضاً بإتباع الكتاب في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف : 2-3]

وأيضاً لما قال في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾[الأنعام : 160]، وذلك لا يظهر إلا في الميزان، وافتتح هذه السورة بذكر الوزن فقال تعالى: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف : 8]، ثم ذكر من ثقلت موازينه وهم من زادت حسناتهم، ثم ذكر سبحانه أصحاب الأعراف وهم على أحد الأقوال: (من استوت حسناتهم وسيئاتهم)[2]، وبهذا تبرز العلاقة الوثيقة بين سورة الأعراف وسورة الأنعام التي قبلها.

---

[1]- في ظلال القرآن (1244/3)، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412 هـ.

[2]- انظر :الأساس في التفسير (1838/4)، لسعيد حوى، دار السلام، القاهرة، الطبعة السادسة، 2003م، وأسرار ترتيب القرآن (102)، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، 1398هـ - 1977م، وروح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني (316/4)، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

المطلب الرابع: مناسبتها لما بعدها من (الأنفال):

ذكر البقاعي في مناسبة خاتمة الأعراف لفاتحة الأنفال أن سورة الأعراف ختمت بحال أهل القرب، وما فيه من العبادة وهم الملائكة الأبرار، وقد تولوا حقيقة النصرة يوم بدر، وافتتحت سورة الأنفال بحال أهل النصرة، وقد حصلت منهم المنازعة والمسائلة عن الأنفال التي لا ينبغي الانشغال بها ؛ لأنها تضعف عن مقاومة الأعداء، وتضعف عن حقيقة القرب من الرب المعبود، الذي له الحول والطول المطلق في أمر دينه ورسوله ﷺ.[1]

[1] – انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (217/8)، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

المبحث الثالث:

سورة الأعراف (171- 174)

رفع الجبل فوق اليهود وإذلالهم إلى يوم القيامة وتفريقهم في الأرض واستثناء الصالحين

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان نفسيات اليهود

المطلب الثاني: الميثاق العام المأخوذ على بني آدم

المطلب الثالث: عجيب تدابير الله تعالى في خلقه

المطلب الأول: بيان نفسيات اليهود

قال تعالى : ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُ وَاقِعُۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف : 171]

أولاً : تمهيد:

ليس من يأتي طوعا كمن يأتي جبرا، فإن الذي يأتي قهرا لا يعرف للحق سبحانه قدرًا، لذلك لمّا قابل بنو إسرائيل الكتاب بالإجبار ما لبثوا حتى قابلوه بالتحريف، إذ كانت حالهم في مبدأ أمرهم بمخالفتهم لكتاب ربهم، فلا عجب إذ آل أمرهم إلى ترك العمل به بعد طول الأمد وقساوة القلوب والأنس بالمعاصي والذنوب، فاليهود هم اليهود! نقضت الميثاق، ونسيت الله، ولجت في المعصية، حتى استحقت غضب الله ولعنته، وحق عليها القول، بعد ما اختارها الله على العالمين في زمانها، وأفاء عليها من عطاياه، فلم تشكر النعمة، ولم ترع العهد، ولم تذكر الميثاق، وما ربك بظلام للعبيد.[1]

ثانياً : البلاغة:

– التشبيه المرسل: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف : 171] أي غمامة أو سقيفة، وفسرت بذلك مع أنها كل ما علا وأظل لأجل حرف التشبيه، وفائدة هذا التشبيه هنا إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة، والجامع بينهما الارتفاع في الصورة، وكذا الإيحاء بالإحاطة والشمول للإطباق عليهم، وجاء تشبيه الجبل بالسحابة لبيان قُدرة الله وتهديد بني إسرائيل ليتعظ مَن عداهم.[2]

---

[1]– انظر: لطائف الإشارات (584/1)، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، وفي ظلال القرآن(1389/3)، وزهرة التفاسير(3001/6)، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار الفكر العربي.

[2]– انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن (206/1)، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ – 1988م، والبرهان في علوم القرآن (425/3)، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، 1376 هـ – 1957م، وظيفة الصورة الفنية في القرآن (101)، لعبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، الطبعة الأولى، 1422 هـ – 2001م، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (264/2)، لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1413 هـ – 1992م، والمعجزة الكبرى القرآن (181)، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار الفكر العربي، ومن بلاغة القرآن (153)، لأحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: 1384هـ)، نهضة مصر، القاهرة، عام النشر: 2005م.

- الكناية: في قوله تعالى «خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه» أي اعملوا به ولا تتركوه كالمنسي وهو كناية عن ذلك أو مجاز.[1]
- أفلا تعقلون: التفات من الغيبة إلى الخطاب، لزيادة لتوبيخ.[2]

ثالثاً : المفردات اللغوية:

- وإذ نتقنا الجبل: واذكر إذ رفعنا الجبل من أصله، أي جبل الطور، ونَتق الشَّئَ: جَذَبَه، {وَإِذ نَتَقْنَا الجبل}: أَى زَعْزَعْناه واستخرجناه من مكانه، وكلّ شيء قَلَعْتَه فرمَيْت به فقد نَتَقْتَه. وقد نَتَقت المرأَةُ تنتُقُ، ولهذا قيل للمرأة الكثيرة الولد: ناتِقٌ ومِنْتاق؛ لأَنّها ترمى بالأَولاد رميا. ومنه الحديث: "عليكم بالأَبكار، فإِنّهنّ أَعذبُ أَفواها، وأَنْتَقُ أَرحاما، وأَرْضَى باليسير" أَنْتَق أَرحاماً: أَى أَكثر أَولاداً؛ أُخذ من نَتْق السّقاء وهو نفضه، ونَتَق الجُرُبَ: إِذا نفضها ونثر ما فيها.[3]
- ظلة: أي مظلة وهي كل ما أظلك من سقف أو سماء أو جناح طائر.[4]
- أنه واقع بهم: ساقط عليهم، بإنذار الله لهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وكانوا أَبَوْهَا لثقلها، فقبلوا.[5]
- خذوا ما آتيناكم بقوة: أي قلنا لهم: خذوا ما آتيناكم بجد واجتهاد فلا تهملوا شيئاً منه.[6]
- واذكروا ما فيه: بالعمل به.[7]

---

[1]– تفسير البيضاوي (41/3)، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.

[2] –انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (119/21)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ – 2000م، وبحر العلوم (94/1)، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).

[3]– انظر: تفسير الطبري (217/13).

[4] انظر: تفسير الطبري (217/13)، وبيان المعاني (450/1)، لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398هـ)، مطبعة الترقي، دمشق، الطبعة الأولى، 1382 هـ – 1965م.

[5]– انظر: تفسير الطبري (217/13)، التفسير الوسيط للواحدي (543/2).

[6] – انظر: تفسير الطبري (217/13)، تفسير العثيمين (225/1)، ، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1423 هـ.

[7]– انظر: تفسير الطبري (217/13)، وتأويلات أهل السنة (81/5)، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، تحقيق: الدكتور مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت،، الطبعة الأولى، 1426 هـ – 2005م.

رابعاً : مناسبة الآية لما قبلها:

- بعد أن ذكر الله تعالى بعض قبائح اليهود وعقابهم عليها بالمسخ قردة، ذكر في هذه الآية أنه تعالى حكم عليهم بالذل والصغار إلى يوم القيامة، عقابا على أفعالهم، ثم ذكر أنه فرقهم جماعات مشردين في الأرض، وأن خلفهم جماعة ماديون تهمهم الدنيا فقط، وأن أسلافهم قبلوا الأخذ بالتوراة بعد إنذارهم بإسقاط الجبل عليهم. وهذا كله للعبرة، فكل أمة تفسق عن أمر الله وتخالف أحكام الدين مهددة بمثل هذا العقاب.[1]

خامساً : المعنى العام:

يقول تعالى: واذكر، يا محمد، (إذ اقتلعنا الجبل) فرفعناه فوق بني إسرائيل، كأنه ظلة غمام من الظلال وقلنا لهم: "خذوا ما آتيناكم بقوة"، من فرائضنا، وألزمناكم من أحكام كتابنا، فاقبلوه، اعملوا باجتهاد منكم في أدائه، من غير تقصير ولا توانٍ، واذكروا ما في كتابنا من العهود والمواثيق التي أخذنا عليكم بالعمل بما فيه كي تتقوا ربكم، فتخافوا عقابه بترككم العمل به إذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من المَواثيق. [2]

وذلك حين أبوا أن يقبلوا التوراة، فرفع الجبل فوقهم فقبلوا. [3] وكان الجبل على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ.... فلما نظروا للجبل خرّ كل رجل ساجدا على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى على الجبل خوفا من أن يسقط عليهم فلذلك ليس اليوم في الأرض يهودي يسجد إلّا على حاجبه الأيسر، يقولون: هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة، فكانت سجدة رضيها الله تعالى فاتخذوها سنة وكان نتق الجبل نعمة لإقلاعهم عن المعصية.[4]

1- انظر: تفسير الطبري (217/13)، والتفسير الوسيط (202/1)، ، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، والتفسير الوسيط (30/1)، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1422 هـ، و التفسير الواضح (452/1)، لمحمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة، 1413هـ.

[2] - تفسير الطبري (217/13)، وتفسير مقاتل بن سليمان (5/2)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (103/5)، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ، وفتح البيان في مقاصد القرآن (69/5)، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، بيروت، 1412 هـ - 1992م.

[3] بحر العلوم (563/1).

[4] الجواهر الحسان في تفسير القرآن (302،303/4)، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ، والموسوعة القرآنية (103/3)، وبيان المعاني (450/1)، ولباب

سادساً : ما يستفاد من الآية:

1- إن الإنسان لو وكل إلى نفسه وطبيعته لا يقبل شيئاً من الأمور الدينية طبعًا ولا يحمل أثقاله قطعًا إلا أن يعان على القبول والحمل بأمر ظاهر أو باطن فيضطر إلى القبول والحمل.[1]

2- إن عملية استصلاح نفوس بني إسرائيل من ذل الطاغوت الفرعوني هي التي سيواجهها موسى عليه السلام بعد خروجه ببني إسرائيل من مصر وتجاوزه بهم البحر، وسنرى من خلال القصص القرآني هذه النفوس، وهي تواجه الحرية بكل رواسب الذل وتواجه الرسالة بكل رواسب الجاهلية، وسنرى من خلال متاعب موسى عليه السلام متاعب كل صاحب دعوة، يواجه نفوساً طال عليها الأمد، وهي تستمرئ حياة الذل تحت قهر الطاغوت، إن جهد صاحب الدعوة في مثل هذه الحال لهو جهد مضاعف، ومن ثم يجب أن يكون صبره مضاعفاً كذلك، ولعل هذا جانب من حكمة الله في عرض قصة بني إسرائيل على الأمة المسلمة، في هذه الصورة المفصلة المكررة، لترى فيها هذه التجربة، ولتكون زاداً لأصحاب الدعوة إلى الله في كل جيل.[2]

3- رفع الجبل فوق بني إسرائيل؛ لإرشادهم، آية من آيات الله تقوى إيمانهم بأن التوراة منزلة من عند الله، وقوة الإيمان من شأنها أن تدفع إلى العمل بما في الكتاب المنزل بجد واجتهاد.[3]

4- الكافر كفر مرتين، كفر بالعهد الذي أخذ عليه وهو في عالم الذر، وكفر بالله وهو في عالم الشهادة، والمؤمن آمن مرتين، فلذا يضاعف للأول العذاب ويضاعف للثاني الثواب.[4]

التأويل في معاني التنزيل (266/2)، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى - 1415 هـ، وتفسير القرآن العظيم(1611/5)، لابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: 327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1419 هـ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (595/3)، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الفكر، بيروت، وفتح القدير للشوكاني (299/2)، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى - 1414 هـ.

[1] - انظر :الدر المنثور في التفسير بالمأثور (595/3)، وروح البيان (271/3)، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، دار الفكر، بيروت.

[2] - انظر: في ظلال القرآن (1365/3)، تفسير العثيمين (227/1).

[3]- انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (429/5)، زهرة التفاسير (3002/6).

[4] - أيسر التفاسير للجزائري (261/2).

5- بيان نفسيات اليهود وأنها نفسية غريبة وإلا كيف وهم بين يدي الله يتمردون عليه ويعصونه برفضهم الالتزام بما عهد إليهم من أحكام حتى يرفع فوقهم الطور تهديدا لهم، وعندئذ التزموا ولم يلبثوا إلا قليلا حتى نقضوا عهدهم وعصوا ربهم.[1]

6- ورد ذكر الجبل في القرآن على عشرين وجهاً: الأَوّل: جبَال المَوْج للسلامة فى حقّ نُوح، والهَلَكةِ في حقّ المشركين من قومه﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ [هود :42] ، والثاني: جبال ثَمُود للمهارة والحِذَاقة ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ [الحجر:82] وفى موضع ﴿ فَارِهِينَ﴾[الشعراء : 149]، والثَّالث: محلّ موسى حال الرؤية ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف : 143] ، والرابع: جَبَل إبراهيم لإظهار القدرة والإحياء بعد الإماتة ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ﴾[البقرة : 260]، والخامس: جبل بني إسرائيل لقبول الأَمر والشريعة ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾[الأعراف :171][2]

7- من خوطب بأوامر الله في كتبه المنزلة أن يلتزمها بقوةٍ ونشاطٍ واجتهادٍ، فلا يضعف فيها، ولا يُفَرط فيها؛ لأنها لا تُمْتَثَل على الوجه الأكمل إلا بالقوة والجد والاجتهاد -أعاننا الله على امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والقيام بما في كتابه- وهذا معنى قوله: ﴿خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾[الأعراف :171]، ولأن أخذها بجد واجتهاد يوجب التقوى؛ لأن الطاعات يجر بعضها بعضاً، لأن الطاعة إذا ذاق الإنسان طعمها نشط، وابتغى طاعة أخرى، ويتغذى قلبه؛ وكلما تغذى من هذه الطاعة رغب في طاعة أخرى[3]

8- الحث على التمسك بالكتاب قراءة وتعلما وعملا بإحلال حلاله وتحريم حرامه، فإن مما يُتقى به سخط الله وعذابه هو معرفة أوامره ونواهيه، واجتناب النواهي وامتثال الأوامر كما هو معروف. وهذا معنى قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأعراف :171].[4]

9- بيان قوة الله ﷻ، وقدرته؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة : 63]؛ وقد قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف :171]؛ فلا أحد من الخلق يستطيع أن يحمل ذلك الجبل، ويجعله ظلة لا يسقط عليهم إلا الله عزّ وجلّ؛ فالأحجار العظيمة الثقيلة الكبيرة أمسكها الله تعالى بقدرته.[5]

---

[1]- انظر: أيسر التفاسير للجزائري (261/2)، التفسير المنير للزحيلي (155/9)، التضمين النحوي في القرآن الكريم (237/2).

[2]- انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (362/2)

[3]- انظر: العذب النمير (307/4)، تفسير العثيمين: (225/1).

[4] - انظر : كتاب أيسر التفاسير للجزائري (258/2)، كتاب العذب النمير (308/4).

[5]- انظر : كتاب تفسير العثيمين (227/1)،كتاب التفسير القرآني للقرآن (513/5).

المطلب الثاني: الميثاق العام المأخوذ على بني آدم

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف :172]

أولاً : تمهيد:

حادثة جديرة بالذكر والاهتمام لما فيها من الاعتبار، إن الله تعالى أخرج من صلب آدم ذريته فأنطقها بقدرته التي لا يعجزها شيء فنطقت وعقلت الخطاب واستشهدها فشهدت، وخاطبها ففهمت وأمرها فالتزمت وهذا العهد العام الذي أخذ على بني آدم، وسوف يطالبون به يوم القيامة، والعبرة من هذا أن الإنسان سرعان ما ينسى، ويعاهد ولا يفي، وما وجد من بني إسرائيل من عدم الوفاء هو عائد إلى أصل الإنسان، وهناك عبرة أعظم وهى أن التوحيد أخذ به العهد على كل آدمي، ومع الأسف أكثر بني آدم ينكرونه، ويشركون بربهم.[1]

ثانياً : المناسبة:

نقض العهود، ورفض المواثيق ونكثها، والإعراض عن التكاليف المأمورة، ليس مما يختص بالمعرضين، بل ما هي إلا من الديدنة القديمة، والعادة المستمرة لبنى آدم، فلما ذكر سبحانه وتعالى الميثاق الخاص، ذكر الميثاق العام.[2]

ثالثاً : البلاغة:

– وإذ أخذ ربك: فيه التفات من المتكلم إلى المخاطب، والأصل: وإذ أخذنا، والمقصود تعظيم شأن الرسول بتوجيه الخطاب له. والإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام: ربك فيها تكريم وتشريف.[3]

رابعاً : المفردات اللغوية:

- وإذ أخذ: واذكر حين أخذ أي أخرج، وإنما عبر به، لما فيه من الاصطفاء والانتقاء.[4]
- من ظهورهم: جمع ظهر: وهو ما فيه العمود الفقري للإنسان.[5]

---

[1]– انظر: أيسر التفاسير للجزائري (260/2)

[2]– انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (156/8)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (278/2). التفسير الواضح (783/1).

[3]– انظر: اللباب في علوم الكتاب (384/9)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (289/3)، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[4] –انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (69/5)، تفسير الألوسي (93/5).

[5]– انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (456/1)، وتفسير عبد الرزاق (98/2)، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ)، دار الكتب العلمية دراسة وتحقيق: الدكتور محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1419هـ.

- ذريتهم: سلالتهم ذكورا وإناثا، بأن أخرج بعضهم من صلب بعض، من صلب آدم، نسلا بعد نسل، كنحو ما يتوالدون كالذر.[1]
- وأشهدهم: أخذ منهم شهادة على أنفسهم، والشهادة: إما قوليه، كما قال: شهدنا على أنفسنا، أو حالية، كما قال: ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله، شاهدين على أنفسهم بالكفر، أي حالهم شاهدة عليهم بذلك، لا قائلين.[2]

بلى شهدنا: أي بلى أنت ربنا، شهدنا بذلك.[3]

أن تقولوا: أي أن الإشهاد لئلا تقولوا أيها الكفار عن هذا التوحيد غافلين لا نعرفه.[4]

خامساً : المعنى العام:

يقول تعالى: واذكر يا محمد ربَّك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقرَّرهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادَتَهم بذلك، وإقرارَهم به. كما أخبر ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمَان[5] فأخرج من صلبه كل ذرّية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذرِّ، ثم كلمهم قَبَلا[6] فقال:﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا. الآية، إلى ﴿ بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾.[7] [8]

---

[1]- انظر: تفسير القرطبي (169/7)، تفسير المنار (325/9).

[2] -تفسير المراغي (102/9).

[3] -تفسير ابن أبي حاتم (1615/5).

[4] -غرائب التفسير وعجائب التأويل (393/1)، لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو 505هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت.

[5] بالفتح ثم السكون، وآخره نون، هو فعلان من نعمة العيش وهو غضارته وحسنه، وهو نعمان الأراك: وهو واد ينبته ويصب إلى ودّان، بلد غزاه النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وهو بين مكة والطائف، وقيل: واد لهذيل على ليلتين من عرفات، وقال الأصمعي: نعمان واد يسكنه بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، بين أدناه ومكة نصف ليلة [معجم البلدان (293/5)].

[6]- أي عيانا ومقابلة لا من وراء حجاب. [انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (269)].

[7]- مسند أحمد (4/ 267)، ح: 2455، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة 1623/158/4).

[8]- تفسير الطبري (222/13)، وتفسير التستري (68)، لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423 هـ، وتفسير ابن أبي حاتم (1613/5)، وزاد المسير في علم التفسير (167/2)، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ، وتفسير ابن كثير (452/3)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م، وموسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (361/2)، للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، الأولى، 1420 هـ - 1999م، وتفسير الخازن (266/2).

قال بعض العلماء: هي مخصوصة لأن الله جلّ وعزّ قال:﴿ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ فخرج من هذا من كان من ولد آدم عليه السلام لصلبه. وقال جلّ وعزّ: ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ فخرج منها كل من لم يكن له آباء مشركون.

ويميل الباحث إلى قول من قال بأنها عامة لجميع الناس لأن كلّ أحد يعلم أنه كان طفلا فغذّي وربّي وأن له مدبّرا وخالقا فهذا معنى وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ، ومعنى قالُوا بَلى أنّ ذلك واجب عليهم، وقيل هذا لمن كان من ظهور بني آدم عليه السلام وقد علم أنّ ولد آدم عليه السلام لصلبه كذا.[1]

سادساً : ما يستفاد من الآية:

1- إن الاعتراف بربوبية الله وحده فطرة في الكيان البشري، فطرة أودعها الخالق في هذه الكينونة وشهدت بها على نفسها بحكم وجودها ذاته، وحكم ما تستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة، أما الرسالات فتذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى فيحتاجون إلى التذكير والتحذير، إن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى، فلا حجة لهم في نقض الميثاق- حتى لو لم يبعث إليهم بالرسل يذكرونهم ويحذرونهم- ولكن رحمته وحدها اقتضت ألا يكلهم إلى فطرتهم هذه فقد تنحرف وألا يكلهم كذلك إلى عقولهم التي أعطاها لهم فقد تضل وأن يبعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل!

2- خلق الله البشر على فطرة التوحيد أي الإقرار بأن الله ربهم وأنه واحد لا شريك له، فلا يعذر الإنسان بالجهل بخالقه، لما يرى من الدلائل، فمن لم تبلغه دعوة رسول لا يعذر يوم القيامة في الشرك بالله، ولا بفعل الفواحش التي تنفر منها الطباع السليمة وتدرك ضررها العقول الرشيدة.[2]

3- من مات صغيرا دخل الجنة لإقراره في الميثاق الأول، ومن بلغ عاقلا لم يغنه الميثاق الأول، وبناء عليه: أطفال المشركين في الجنة.[3]

---

[1]- إعراب القرآن (80/2).

[2] - انظر: تفسير المراغي (105/9)، تفسير المنار (326/9).

[3] - انظر: تفسير الماتريدي (402/1)، وتفسير القرطبي (317/7)، وغاية الأماني في تفسير الكلام الرباني (338)، لأحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (المتوفى: 893هـ)، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا، 1428 هـ - 2007م. التحرير والتنوير (147/30).

المطلب الثالث: عجيب تدابير الله تعالى في خلقه

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف : 173-174]

أولاً : تمهيد:

بيان فساد التقليد في الدين، وأنه تعالى قد أزاح العذر، وأزال العلل بحيث أصبح لا يعذر أحد بكفره أو شركه. إن من لم تبلغه بعثة رسول لا يعذر يوم القيامة في الشرك بالله تعالى ولا بفعل الفواحش والموبقات التي تنفر منها الفطر السليمة وتدرك ضررها العقول الحصيفة، بل يعذرون بمخالفة هداية الرسل فيما شأنه ألا يعرف إلا منهم وهو تفصيل العبادات وعالم الغيب وما سيكون في اليوم الآخر من أحوال العاصين وشئون النبيين والصديقين من عقاب وثواب وكنه ذلك على الحقيقة.[1]

ثانياً : المعنى العام:

قال تعالى: "شهدنا عليكم بأن الله ربكم، كيلا تقولوا يوم القيامة، إنا كنا لا نعلم ذلك، وكنا في غفلة منه أو تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل واتبعنا منهاجهم، أفتهلكنا بإشراك من أشرك من أبائنا، واتباعنا منهاجَهم على جهل منا بالحق؟"[2].

والآية فيما احتوته من تحذير عن السير على ما سار عليه الآباء بقطع النظر عن ضلالهم وسخفهم والاحتجاج بذلك والغفلة عما يقوم على صوابه وفضله البرهان وتعطيل العقل من التدبّر والاختيار قوية العظة وبليغة التلقين المستمر كما هو المتبادر.

وقد تكرر هذا التلقين في مناسبات عديدة مرت أمثلة منها، مما يصح أن يكون طابعا عظيم الخطورة للدعوة الإسلامية القرآنية التي تندّد باتباع التقاليد القديمة لقدمها وتعطيل العقل إزاءها، والتي تحثّ على الأخذ بما هو الأفضل والأصوب والأصحّ والأصلح بقطع النظر عن القدم والجدة"[3].

---

[1]- انظر: تفسير القاسمي (220/5)، التفسير الوسيط لطنطاوي (434/5).

[2]- انظر : تفسير الطبري (251/13). الهداية الى بلوغ النهاية (2631/4)، زاد المسير في علم التفسير (168/2)، فتح القدير للشوكاني (300/2)، التفسير الواضح (783/1).

[3]- التفسير الحديث (533/2)، لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة 1383 هـ.

ثالثاً : ما يستفاد من الآية:

1- إبطال حجة المشركين يوم القيامة بأنه لم يأتهم رسول ينبههم إلى التوحيد، وإبطال التقليد للآباء والأجداد في أصول العقيدة والدين، فكما لا يقبل الاعتذار بالجهل لقيام الأدلة على التوحيد، لا يقبل الاعتذار بالتقليد، بعد قيام الأدلة الفطرية والعقلية على معرفة الله ووحدانيته.[1]

2- الأصل في النفس الإنسانية الفطرة التي فطر الله الناس عليها فالميل إلى الحق والأخذ به، والتوجه إلى الخالق بالخضوع والطاعة هي الأصل وهي الفطرة، إلا أن البيئة والمجتمع ابتداء بالمجتمع الضيق الأسرة، وانتهاء بالتيارات الاجتماعية في المجتمع الواسع هي التي تحدد مسار هذه الفطرة في السنوات الأولى من حياة الطفل.[2]

3- وأرى ضرورة إمعان وإعمال العقل ودراسة نواميس الكون والتفكير بما يجري من حولنا ورفض التبعية العمياء والانتماءات التي لا تقوم على منهج ليم بحجة أن من سبق كانوا كذلك وتسليمنا لأفعالهم بالصواب المطلق دون السماح لعقولنا بالتدبر والتفكر.

---

[1]- انظر: تفسير الخازن (269/2)، التفسير المنير للزحيلي (160/9).

[2]- مباحث في التفسير الموضوعي (96)، لمصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة الرابعة، 1426هـ - 2005م.

المبحث الرابع :

سورة الأعراف (175- 178)

ويحتوي على أربع مطالب:

المطلب الأول: اقتضاء العلم العمل.

المطلب الثاني: حال من ترك القرآن الكريم وأعرض عن ما فيه من الآيات.

المطلب الثالث: لا رفعة ولا سيادة ولا كمال إلا بالعمل بالقرآن الكريم.

المطلب الرابع: الهداية بيد الله.

المطلب الأول: اقتضاء العلم العمل

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾ [الأعراف : 175-176]

أولاً : تمهيد:

جاء هذا المثل القرآني بعد آيات تعرضت لموقف الخلق من لدن آدم، عليه السلام، حيث أخذ الله عليهم العهد بعبادته وحده، والإيمان بربوبيته، وإقرارهم على ذلك، وتنصلهم مما يفعله المجرمون من غفلتهم عن هذه الحقيقة، واتباعهم لغيرهم في عبادات فاسدة، وإقرارات أخرى زينها لهم الشيطان ومن اتبعه، فضلوا عن سواء السبيل، فصلت الآيات ذلك حتى يكون الاهتداء إلى الحق طريق من يطلبه ويسعى إليه، ويهديه الله إليه بالفهم الواعي، والعلم النافع، والقلب السليم.[1]

ثانياً : المناسبة:

بعد أن ذكر الله تعالى أخذ الميثاق على الناس قاطبة، وإقرارهم بأن الله ربهم، ضرب المثل للمكذبين بآياته المنزلة على رسوله، ومضمون هذا المثل أن العالم بآيات الله غير العامل بها كالحية تنسلخ من جلدها وتتركه على الأرض.[2]

ثالثاً : المفردات اللغوية:

- فانسلخ منها: خرج من الآيات بكفره، كما تخرج الحية من جلدها.[3]
- فأتبعه الشيطان: أدركه ولحقه فصار قرينه.[4]
- الغاوين: الراسخين في الغواية والضلالة، بعد أن كان من المهتدين.[5]
- ولو شئنا لرفعناه بها: لو شئنا لرفعناه إلى منازل العلماء، بأن نوفقه للعمل.[6]
- أخلد إلى الأرض: ركن إلى الدنيا ومال إليها واتبع هواه في دعائه إليها، فأصبح من الحقيرين.[7]

---

[1] -انظر: عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن (253)، لعلى أحمد عبد العال الطهطاوى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004م.

[2] -انظر: التفسير المنير للزحيلي (162/9)

[3] -انظر: تفسير السمرقندي (567/1).

[4] - انظر: تفسير الثعلبي (308/4).

[5] - انظر: تفسير أبي السعود (292/3).

[6] -انظر: تفسير السعدي (309).

[7] - انظر: تفسير ابن أبي حاتم (1619/5).

رابعاً : البلاغة:

- عبر بالانسلاخ للدلالة على كمال مباينته للآيات، بعد أن كان بينهما كمال الاتصال.[1]

خامساً : المعنى العام:

إن الله تعالى أمرَ نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبرَ رجلٍ كان الله آتاه حُجَجه وأدلته فخرج من الآيات التي كان الله آتاها إياه، فتبرَّأ منها فصيَّره لنفسه تابعًا ينتهي إلى أمره في معصية الله، ويخالف أمر ربِّه في معصية الشيطان وطاعةِ الرحمن فكان من الهالكين، لضلاله وخلافه أمر ربه، وطاعة الشيطان ولو شاء الله رفعه بآياته التي آتاه إياها لرفعه.[2]

قلت: والرفع يَعمُّ معاني كثيرة، منها الرفع في المنزلة عنده، ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها. ومنها الرفع في الذكر الجميلِ والثّناء الرفيع. وجائزٌ أن يكون الله عنى كلَّ ذلك: أنه لو شاء لرفعه، فأعطاه كل ذلك، بتوفيقه للعمل بآياته التي كان آتاها إياه.

قال عطاء:(أراد الدنيا وأطاع شيطانه وهذه أشد آية على العلماء، وذلك أن الله أخبر أنه آتاه آياته من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه بالانسلاخ عنها، ومن الذي يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله؟)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» [3] .

سادساً : ما يستفاد من الآية:

1- منع التقليد لعالم إلا بحجة يبيّنها لأن الله ﷻ خبّر أنه أعطى هذا آياته فانسلخ منها فوجب أن يخاف مثل هذا على غيره وأن لا يقبل منه إلا بحجة، ومن هذا ما نراه من حال علماء الدنيا اللابسين لباس علماء الدين، الذين هم أظهر مظاهر المثل في الانسلاخ من آيات الله، والإخلاد إلى الأرض، واتباع أهوائهم وتفانيهم في إرضاء الحكام، وإن كانوا مرتدين، والعوام وإن كانوا مبتدعة خرافيين، وهم فتنة للنابتة العصرية تصدهم عن الإسلام، وللعوام في الثبات على الخرافات والأوهام.[4]

---

[1]- انظر: تفسير أبي السعود (292/3)، صفوة التفاسير (449/1)، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997م.

[2] -انظر: تفسير الطبري (261/13)، إيجاز البيان عن معاني القرآن (348/1).

[3]- انظر: تفسير البغوي (252/2،251)، اللباب في علوم الكتاب (389/9).

[4] -انظر: تفسير الطبري (465/9)، وإعراب القرآن (81/2)، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ، وتفسير المنار(349/9).

2- ألا يغتر أحد بعمله ولا بعلمه، إذ لا يدري بما يختم له' فلا يأمن السالك المحق مكر الله ولو بلغ أقصى مقامات الأنبياء والمرسلين فلا يغلق على نفسه أبواب المجاهدات والرياضات ومخالفات النفس وهواها في كل حال كما كان حال النبي ﷺ والأئمة الراشدين والصحابة والتابعين وأئمة السلف والمشايخ المتقدمين ولا يفتح على نفسه التنعم والتمتع الدنيوي في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمركب والمسكن لأنه كما أن لله تعالى في مكامن الغيب للسعداء ألطافا خفية مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كذلك له فيها بلايا لهم فليحترز السالك الصادق بل البالغ الواصل والكامل الحاذق من أن يتعرض لتلك البلايا بالتوسع في الدنيا والتبسط في الأحوال وتتبع الهوى[1].

3- ينبغي للمتيقظين الحذاق من أرباب الديانات أن يمدوه -أي العالم- بالدعاء الصالح ليصفي الله تعالى مورد علمه بحقائق التقوى ومصدره من شوائب الهوى.[2]

4- الهدف من هذه القصة ضرب مثل لجميع الكفار، المعرضين عن الإيمان بالله والرسول بعد ما عرفوا الحق، فمن آتاه الله العلم والدين، فمال إلى الدنيا، وأخلد إلى الأرض، كان مشبها بأخس الحيوانات، وهو الكلب اللاهث، حيث واظب على العمل الخسيس والفعل القبيح، لا لحاجة أو ضرورة.[3]

5- ويستفاد أن من صاحب عمله علمه وإخلاصه تقواه وكان من العلماء العاملين الآخذ بآيات الله رافضاً للهوى وطرقه يكون قد توافرت فيه أسباب الرفعة التي منعها الله لمن انسلخ منها وأخلد إلى الأرض.

---

[1] - انظر: تفسير القرطبي (323/7)، روح البيان (278/3).

[2] -انظر: حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي (452/3)، تفسير الألوسي (109/5).

[3]- انظر: التفسير المنير للزحيلي (164/9).

المطلب الثاني: حال من ترك القرآن الكريم وأعرض عن ما فيه من الآيات

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُون﴾ [الأعراف : 176]

أولاً : تمهيد:

إن العالم إذا توصل بعلمه إلى طلب الدنيا فإنه يظهر علومه عند أهلها ويدلع لسانه في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لأجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة العطش إلى الفوز بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذي أدلع لسانه من اللهث في غير حاجة ولا ضرورة، وفي تشبيهه بالكلب اللاهث وجهان: أحدهما: لدناءته ومهانته. والثاني: لأن لهث الكلب ليس بنافع له، وهذا شر تمثيل، لأنه مثله في أنه قد غلب عليه هواه حتى صار لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بكلب لاهث أبدا، حمل عليه أو لم يحمل عليه، فهو لا يملك لنفسه ترك اللهثان.[1]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- فمثله: صفته.[2]
- إن تحمل عليه: تشد عليه بالطرد والزجر.[3]
- يلهث: اللهث: التنفس الشديد مع إخراج اللسان. والقصد: التشبيه في الخسة والحقارة.[4]
- فاقصص القصص: على اليهود.[5]

---

[1] –انظر: تفسير الخازن (272/2)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب (121)، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004م، وتفسير ابن جزي (313/1)، تفسير ابن كثير (511/3)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد(282/2).

[2] –انظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن (170/1)، والتفسير المظهري (434/3)، لمحمد ثناء الله المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، الطبعة 1412 هـ.

[3]– انظر: تفسير القاسمي (223/5)، تفسير المراغي (106/9).

[4] –انظر: تفسير البيضاوي (42/3)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (282/2).

[5]– انظر: تفسير الطبري (274/13)، و تفسير الجلالين (221)، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.

ثالثاً : البلاغة:

1- وقع التشبيه بالكلب الذي هو من أخس الحيوانات، وأشدها شرها وحرصا، ومن حرصه: أنه لا يمشي إلا وأنفه في الأرض يتشمم حرصا وشرها، ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزاء جسمه وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته، وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان، وأرضاها بالدنايا، والجيف القذرة المروحة أحب إليه من اللحم، والعذرة أحب إليه من الحلوى، وإذا ظفر بميتة تكفي مائة كلب لم يدع كلبا يتناول معه منها شيئا إلا هر عليه وقهره، لحرصه وبخله وشرهه. ومن عجيب أمره وحرصه: أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية، وحال زرية نبحه، وحمل عليه، كأنه يتصور مشاركته له، ومنازعته في قوته، وإذا رأى ذا هيئة وثياب جميلة ورئاسة وضع له أنفه بالأرض، وخضع له، ولم يرفع إليه رأسه[1].

2- آتيناه آياتنا: للدلالة أنه سبحانه هو الذي آتاه آياته، فإنها نعمة والله هو الذي أنعم بها علينا، فأضافها إلى نفسه. [2]

3- فانسلخ منها: أي خرج منها، كما تنسلخ الحية من جلدها، وفارقها فراق الجلد يسلخ عن اللحم، ولم يقل: فسلخناه منها لأنه هو الذي تسبب إلى انسلاخه منها باتباعه هواه. [3]

4- فأتبعه الشيطان: أي لحقه وأدركه، وكان محفوظا محروسا بآيات الله محمي الجانب بها من الشيطان لا ينال منه شيئا إلا على غرة وخطفة، فلما انسلخ من آيات الله ظفر به الشيطان ظفر الأسد بفريسته فكان من الغاوين العاملين بخلاف علمهم، الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافة، كعلماء السوء.[4]

---

[1]- انظر: تفسير الطبري (174/2)، والتفسير القيم (290)، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 1410 هـ، والواضح في علوم القرآن (301)، لمصطفى ديب البغا، ومحيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، ودار العلوم الإنسانية، دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ - 1998م، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (215/2)، والمعجزة الكبرى القرآن(87).

[2]- انظر: التفسير القيم (292)، تفسير السمرقندي (567/1).

[3]- انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (321/4)، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، تحقيق: خالد بن عثمان السبت إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، 1426 هـ.

[4]- انظر: تفسير السمرقندي (567/1)، الواضح في علوم القرآن (303).

5- ومنها: أنه سبحانه قال: ولو شئنا لرفعناه بها فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم. فإن هذا كان من العلماء، وإنما هي باتباع الحق وإيثاره، وقصد مرضاة الله. فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه. ولم يرفعه الله بعلمه، ولم ينفعه به. نعوذ بالله من علم لا ينفع. وأخبر سبحانه أنه هو الذي يرفع عبده إذا شاء بما آتاه من العلم، وإن لم يرفعه الله فهو موضوع، لا يرفع أحد به رأسا. فإن الرب الخافض الرافع سبحانه خفضه ولم يرفعه. والمعنى: لو شئنا فضلناه وشرفناه ورفعنا قدره ومنزلته بالآيات التي آتيناه"[1].

رابعاً : المعنى العام:

اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جَعَل الله مثَله -أي مثل المنسلخ من آيات الله- كمثل الكلب.

ولعل أرجحها في رأي الباحث تركه العمل بكتابِ الله وآياته التي آتاها إياه، وإعراضِه عن مواعظ الله التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئًا من ذلك.

فقال جل ثناؤه فيه: إذْ كان سواء أمرُه، وُعِظَ بآيات الله التي آتاها إياه، أو لم يوعظ، في أنه لا يتَّعظ بها، ولا يترك الكفر به، فمثله مثل الكلب الذي سواءٌ أمره في لهثه، طرد أو لم يطرد، إذ كان لا يتركُ اللهث بحال[2].

ثمَّ عمَّ بهذا التَّمثيل جميع المكذِّبين بآيات الله فقال: ﴿ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف : 176] يعني: أهل مكَّة كانوا يتمنَّون هادياً يهديهم فلما جاءهم مَنْ لا يشكُّون في صدقه كذَّبوه فلم يهتدوا لمَّا تُركوا ولم يهتدوا أيضاً لمَّا دُعوا بالرَّسول فكانوا ضالِّين عن الرُّشد في الحالتين ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ يعني: قصص الذين كذَّبوا بآياتنا ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيتَّعظون[3].

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1- في تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه بالكلب في حال لهثه سر بديع، وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتباعه هواه إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة، فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه، واللهف واللهث شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى.

---

[1]- انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (377/19)، الواضح في علوم القرآن (303).

[2]- انظر: تفسير الطبري (271/13)، زاد المسير في علم التفسير (171/2)، البحر المحيط في التفسير (225/5)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (518/5)، تفسير الجلالين (221)، حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي (236/4).

[3]- انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (421)، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، والدار الشامية، دمشق، الطبعة الأولى، 1415 هـ، واللباب في علوم الكتاب (391/9).

2- الكلب أحسن من الرجل السوء، ومما ينسب إلى الشافعي رضي الله تعالى عنه:

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة ... وليتنا ما نرى ممن نرى أحدا

إن الكلاب لتهدا في مرابضها ... والناس ليس بهاد شرهم أبدا

وفي شعب الإيمان للبيهقي عن الفقيه منصور أنه كان ينشد لنفسه:

الكلب أحسن عشرة ... وهو النهاية في الخساسة

ممن ينازع في الريا ... سة قبل أوقات الرياسة[1]".

3- كل من كانت نعم الله في حقه أكثر، فإذا أعرض عن متابعة الهدى وأقبل على متابعة الهوى، كان بعده عن الله أعظم.[2]

4- تعظيم شأن ضرب الأمثال في تأثير الكلام، وكونه أقوى من سوق الدلائل والحجج المجردة، ويدل على تعظيم شأن التفكر، وكونه مبدأ العلم وطريق الحق؛ ولذلك حث الله عليه في مواضع من كتابه، وبين أن الآيات والدلائل إنما تساق إلى المتفكرين ؛لأنهم هم الذين يعقلونها وينتفعون بها.[3]

5- ويستفاد : أن تكون الأمثلة على قدر فهم المخاطبين ومتمشية مع مستواهم العقلي حتى يتمكنوا من التفكر بها واستنتاج ما ترنوا إليه من غايات وأهداف.

---

[1]- ديوان الإمام الشافعي، المسمى: الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس (49)، إعداد وتعليق وتقديم محمد إبراهيم سليم، نشرته مكتبة ابن سينا بالقاهرة، وورد في تفسير: روح المعاني (107/5)، وبيان المعاني (454/1).

[2] -انظر: التفسير الكبير (405/15)، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ، واللباب في علوم الكتاب (389/9)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (161/8)، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (537/1)، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، مطبعة بولاق، القاهرة، 1285هـ.

[3]- انظر: التفسير المنير للزحيلي (165/9)، التحرير والتنوير (24/9)، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله (90/1)، لعبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى، 1424هـ - 2003م.

المطلب الثالث: لا رفعة ولا سيادة ولا كمال إلا بالعمل بالقرآن الكريم

﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف : 176-177]

أولاً : تمهيد:

يخاطب الله عز وجل رسوله قائلا: اقصص، يا محمد، هذا القصص، من نبأ الذي آتيناه آياتنا، وأخبارَ الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة، واقتصَصْت عليك نبأهم ونبأ أشباههم، وما حلّ بهم من عقوبتنا، ونزل بهم حين كذبوا رسلَنا من نقمتنا على قومك من قريش، ومَنْ قِبَلَك من يهود بني إسرائيل، ليتفكروا في ذلك، فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا، لئلا يحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من النّقم والمثلات، ويتدبَّره اليهود من بني إسرائيل، فيعلموا حقيقةَ أمرك وصحَّة نبوّتك، إذ كان نبأ الذي آتيناه آياتنا من خفيّ علومهم، ومكنون أخبارهم، لا يعلمه إلا أحبارُهم، ومن قرأ الكُتب ودرسها منهم. وفي علمك بذلك وأنت أميٌّ لا تكتب، ولا تقرأ، ولا تدرس الكتب، ولم تجالس أهل العلم الحُجَّة البينة لك عليهم بأنك لله رسول، وأنك لم تعلم ما علِمت من ذلك، وحالُك الحال التي أنت بها، إلا بوحي من السماء.

ثانياً : المفردات اللغوية:

- ساء: أي بئس وقبح.[1]
- يظلمون: بالتكذيب.[2]

ثالثاً : المعنى العام:

عمَّ هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث أنهم إذا جاءتهم الرسل ليهدوهم لم يهتدوا وإن تركوا لم يهتدوا أيضا بل هم ضلّال في كل حال، ثم قال سبحانه وتعالى فَاقْصُصِ الْقَصَصَ وهذا خطاب للنبي ﷺ يعني فاقصص القصص يا محمد على قومك أي أخبار من كفر بآيات الله ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يعني فيتعظون، وقيل: هذا المثل لكفار مكة وذلك أنهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله عز وجل فلما جاءهم محمد ﷺ يدعوهم إلى الله وإلى طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه كذبوه ولم يقبلوا منه.[3]

---

[1] – انظر: التفسير الوسيط للواحدي (428/2)، و الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (9/9)، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

[2] – انظر: تفسير الزمخشري (179/2).

[3]– انظر: تفسير الخازن (273/2).

قال ﷺ : «إن ما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رئيت بهجته عليه، وكان ردئا للإسلام، غيره إلى ما شاء الله، فانسلخ منه ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك»[1].

وقد مضت سنة الله بأن اتباع الإنسان لهواه بتحريه وتشهيه ما تميل إليه نفسه في كل عمل من أعماله، دون ما فيه المصلحة والفائدة له من حيث هو جسد وروح، يضله عن سبيل الله الموصلة إلى سعادة الدنيا والآخرة، ويتعسف به في سبل الشيطان المردية المهلكة.[2]

قال تعالى لخليفته داود عليه السلام: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[ص : 26]، وقال تعالى في أول ما أوحاه إلى كليمه موسى عليه السلام بعد ذكر الساعة: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه : 16]، وقال جل جلاله لخاتم أنبيائه عليه صلواته وسلامه: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾[الفرقان : 43]، والآيات في ذم الهوى والنهي عنه كثيرة، وحسبك منها قوله: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾[المؤمنون : 71].[3]

رابعاً : ما يستفاد من الآية:

إن من شأن من أوتي آيات الله تعالى أن ترتقي نفسه، وترتفع في مراقي الكمال درجته، لما فيها من الهداية والإرشاد والذكرى، وإنما يكون ذلك لمن أخذ هذه الآيات وتلقاها بهذه النية: "وإنما لكل امرئ ما نوى"[4] وأما من لم ينو ذلك لم تتوجه إليه نفسه، وإنما تلقى الآيات الإلهية اتفاقا بغير قصد، أو بنية كسب المال والجاه، ووجد مع ذلك في نفسه ما يصرفه عن الاهتداء بها فلن يستفيد منها، وأسرع به أن ينسلخ منها.[5]

---

[1] –صحيح ابن حبان، (81/282/1)، كِتَابُ الْعِلْمِ، ذِكْرُ مَا كَانَ يَتَخَوَّفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ جِدَالَ الْمُنَافِقِ، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988م.

وجود إسناده ابن كثير في تفسيره (509/3)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (3201/605/7)، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، مكتبة المعارف، الرياض الطبعة الأولى.

[2]– انظر: تفسير المنار (341/9).

[3]– المرجع السابق.

[4] –صحيح البخاري (1/6/1)، بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، جدة، ط1، 1422هـ.

[5] – انظر : تفسير المنار (341/9)،

المطلب الرابع: الهداية بيد الله

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِيۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف : 178]

أولاً : تمهيد:

لما أُمرَ النبي ﷺ بأن يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله، ليتفكروا فيه، ويتركوا ما هم عليه من الإخلاد إلى الضلالة، ويهتدوا إلى الحق، عقب ذلك بتحقيق أن الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل، وإنما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء، من غير تأثير لها فيه، سوى كونها دواعي إلى صرف العبد اختياره نحو تحصيله، حسبما نيط به خلق الله تعالى إياه، كسائر أفعال العباد.

ثانياً : البلاغة:

- فهو المهتدي: حمل على اللفظ، فأولئك هم الخاسرون: حمل على المعنى، والقصد من الإفراد في الأول والجمع في الثاني: هو التنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم، بخلاف الضالين.[1]

ثالثاً : المعنى العام:

تصرح الآية بأن الهدى والضلال من الله، وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض، وأنها مستلزمة للاهتداء والإفراد في الأول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ، والمعنى تنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين، والاقتصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء، وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها.[2]

يقول تعالى: من هداه الله فإنه لا مضل له، ومن أضله فقد خاب وخسر وضل لا محالة، فإنه تعالى ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ ولهذا جاء في حديث ابن مسعودﷺ: (من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له).[3]

---

[1]– انظر: تفسير البيضاوي (43/3)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (283/2).

[2] –انظر: تفسير البيضاوي (43/3).

[3] –صحيح مسلم (867/593/2)، كِتَابُ الْجُمُعَةِ ، بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ونشرته دار إحياء التراث العربي، بيروت. ولفظه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ...يقول: «من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له..".

وخطب عمر بن الخطابﷺ بالجابية، فحمد الله وأثنى عليه، وعنده جاثليق، يترجم له ما يقول: فقال: من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له قال: فنفض جبته كالمنكر لما يقول، قال: فقال عمر ﷺ: ما يقول؟ فسكتوا عنه، قال ثلاث مرات: ما يقول؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، يزعم أن الله عز وجل لا يضل أحدا، قال عمر: كذبت أي عدو الله، بل الله خلقك وقد أضلك، ثم يدخلك النار إن شاء الله، أما والله لولا لوث من عهد لك، لضربت عنقك، إن الله عز وجل خلق أهل الجنة وما هم عاملون، وخلق أهل النار وما هم عاملون، فقال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه، قال: فتفرق الناس وما يختلفون في القدر.[1]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاصﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» فقلنا: لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا»، ثم قال للذي في شماله: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا»، فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: «سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما، ثم قال: «فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير»[2].

فان قيل كيف التوفيق بين هذه الآية وبين قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون قلنا خلق الجن والإنس كلهم للعبادة من حيث نفس الخلق وأصل الحكمة في خلق العالم من غير ملاحظة علم الله فيهم اختيار الكفر وخلق كثيرا من الجن والإنس لجهنم نظرا إلى أنه تعالى علم منهم اختيار الكفر وحق القول منه لأملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين ولا منافاة بين الحيثيتين"[3].

---

[1] –الإبانة الكبرى (1561/130/4)، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، نشرته دار الرية، الرياض. وطبع الكتاب في عدة سنوات كأجزاء متفرقة، ابتداء من سنة 1415هـ، وانتهاء بسنة 2005هـ.

[2]– سنن الترمذي (2141/449/4)، أَبْوَابُ الْقَدَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، ونشرته مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر، ط2، 1395هـ. وصُحح في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (848/503/2)، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، نشرته مكتبة المعارف، الرياض، وطبع الكتاب على عدة سنوات، ابتداء بسنة 1415هـ، وانتهاء بسنة 1422هـ.

[3] –انظر: التفسير المظهري (435/3).

رابعاً : **ما يستفاد من الآية:**

1- هذه الآية ترد على القدرية، وترد على من قال إن الله تعالى هدى جميع المكلفين ولا يجوز أن يضل أحدا؛ إذ لو كان الهدى من الله البيان كما قالت المعتزلة لاستوى الكافر والمؤمن إذ البيان ثابت في حقهما فدل أنه من الله التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن.[1]

2- إشارة إلى تسلية الله لرسوله ﷺ في حق من لم ينجح فيهم الإنذار فكأنه قيل: فدعهم واشتغل بأمر نفسك ومن هو على دينك في لزوم التوحيد.[2]

3- النظام الذي وضعه الله، والسنة التي قضى بها في خلق الإنسان، ربط أعماله بأسباب تترتب عليها مسبباتها، فإذا اختار العبد الضلالة، فلن يجد غير الله هاديا له، ولا يهديه أحد سوى الله.[3]

4- من سنته تعالى أنه يترك الضالين يترددون حيرة في متاهات ضلالهم، ولا يجدون سبيلا للخروج مما هم فيه. فكما أن من اختار أصل الهداية يزيده الله هدى ويوفقه لمتابعة طريق الهدى، ويمكنه من الوصول إلى هدفه، كذلك من اختار طريق الضلالة، يتركه الله في ضلاله، ويزيده ضلالا، ويحجب عنه النور الذي يؤدي به إلى الخير، ويلقي على قلبه حجابا كثيفا يمنع نفاذ الخير إليه، فلا يهتدي إلى الحق والخير أبدا، كما قال: كلا، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.[4]

5- من سنته تعالى أنه يترك الضالين يترددون في حيرة في متاهات ضلالهم، ولا يجدون سبيلاً للخروج مما هم فيه . فكما أن من اختار أصل الهداية يزيده الله هدى ويوفقه لمتابعة الضلالة، ويتركه الله في ضلاله، ويزيده ضلالاً، ويحجب عنه النور الذي يؤدي به إلى الخير، ويلقي على قلبه حجابا كثيفاً يمنع نفاذ الخير إليه، فلا يهتدي إلى الحق والخير أبداً، كما قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[المطففين : 14].

6- ويستفاد : أن العقل الذي هو مناط التكليف لا يختلف عند أصحاب الهدى وأصحاب الضلال إنما هو ذات العقل بنفس التركيبة، وإن التفكر وإعمال العقل في مجريات الأمور من حولنا والمناهج والطرق وصواب الأمر من عدمه متروك لإرادة الإنسان وإنما تدخل الله يكون في تيسير كلا الأمرين من الهداية والضلال حسب اختيار الإنسان بملء إرادته فييسر الله السبل والطرق ويفتح له الأبواب الذي اختارها وكل ذلك بعد إثبات الحجة الدامغة على كلى الطرفين.

---

[1] -انظر: تفسير القرطبي (324/7)، فتح البيان في مقاصد القرآن (81/5).

[2]- انظر: تفسير الألوسي (110/5).

[3]- انظر: تفسير المراغي (126/9).

[4] -انظر: التفسير المنير للزحيلي (188/9)، والقرآن ونقض مطاعن الرهبان (339/1)، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007م.

المبحث الخامس

سورة الأعراف الآيات (179- 181)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة القضاء والقدر.

المطلب الثاني: هبوط الآدمي.

المطلب الثالث: الأمر بدعاء الله.

المطلب الرابع: صفات الأمة المحمدية.

المطلب الأول: حقيقة القضاء والقدر.

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[الأعراف :179]

أولاً : تمهيد:

يقسم سبحانه وتعالى بأنه خلق خلقا كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مستعدين لعمل يدخلهم جهنم، وخلق أيضا خلقا آخرين مستعدين لعمل يدخلهم الجنة، كما قال في بيان مآل الفريقين: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى : 7]، وقال في بيان مصيرهم يوم القيامة: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[هود : 105]، وأسباب استحقاق أهل النار دخول جهنم: هي أنهم لا يستعملون عقولهم استعمالا صحيحا للوصول إلى حقيقة الإيمان، وإدراك لذة السعادة الدنيوية والأخروية، وأن الخير فيما أمر الله به، وأن الشر فيما نهى عنه الله، وإنما نظرتهم ظاهرية، كما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[الروم : 7]، فهم بمنزلة من لا يفقه لأنهم لا ينتفعون بقلوبهم الواعية، ولا يعقلون ثوابا ولا يخافون عقابا.[1]

ثانياً : المناسبة:

بعد أن ضرب الله المثل للمنسلخ من الدين الخارج منه، ليتعظ أولئك الضالون، ويتركوا ضلالهم، ويعودوا إلى الحق، بين أسباب الهدى والضلال، من استعمال العقل والحواس، واستخدام هداية الفطرة في سلوك أحد السبيلين: الخير والشر، كما قال تعالى:﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : 10].[2]

ثالثاً : المفردات اللغوية:

- ولقد ذرأنا: خلقنا وأوجدنا.[3]
- الجن: مخلوقات خفية لا تدرك بالحواس.[4]

رابعاً : البلاغة:

اللام: في (لجهنم): للعاقبة والصيرورة. أي: ولقد خلقنا لدخول جهنم والتعذيب بها كثيرا من الجن والإنس وهم الكفار المعرضون عن الآيات وتدبرها، الذين علم الله منهم أزلا اختيارهم الكفر فشاءه منهم وخلقه فيهم وجعل مصيرهم النار لذلك.[5]

---

[1]- انظر: تفسير القرطبي (324/7)، التفسير الوسيط للزحيلي (754/1).

[2]- التفسير المنير للزحيلي (167/9).

[3]- أيسر التفاسير للجزائري (264/2).

[4]- انظر: التفسير الحديث (64/2)، تفسير المنار (144/9).

[5]- انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (440/5)، تفسير الشعراوي (4475/7)،

خامساً : المعنى العام:

قال جل ثناؤه: ولقد خلقنا لجهنّم كثيرًا من الجن والإنس.. لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربِّهم، وهذا على وفق قول أهل السنة، وروت عائشة رضي الله عنها عن النبيﷺ أنه قال: (إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ)[1].[2]

سادساً : ما يستفاد من الآية:

1- الآية دليل وحجة واضحة لمذهب أهل السنة في أن الله خالق أعمال العباد جميعها خيرها وشرها وأن الله سبحانه وتعالى بيّن بصريح اللفظ أنه خلق كثيرا من الجن والإنس للنار ولا تزيد على بيان الله عز وجل لأن العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب دخول النار به علم أنه له من يضطره إلى ذلك العمل الواجب إلى دخول النار وهو الله عز وجل.[3]

2- ويستفاد : أن الاجتهاد والإكثار من الأعمال الصالحة والتمسك بالنهج القويم وتوفيق الله للإنسان المسلم بإتباع الحسنة الحسنة دلالة قبول وتوفيق من الله ﷻ أنه من أهل الجنة وخلاف ذلك من ترك لدين الله والإعراض عنه وسلوك طريق الغي وإتباع السيئة دلالة وأنه من أهل النار ما لم يسبق بعلم الله في اللوح المحفوظ من خواتيم كلا الصنفين.

---

[1]- صحيح مسلم (2662/2050/4)، كتاب الْقَدَرِ، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ.

[2]- انظر: تفسير الطبري (276/13-278)، وتفسير السمعاني (234/2)، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ- 1997م.

[3]- انظر: أيسر التفاسير للجزائري (266/2)، والعذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (331/4-332)، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (409/1)، لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: 1316هـ)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ، وتفسير القاسمي(225/5).

المطلب الثاني: هبوط الآدمي

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[الأعراف : 179]

أولاً : المفردات اللغوية:

- لهم قلوب لا يفقهون بها: أي لا يفهمون بها الحق، والقلب هنا هو الذي يسمونه أحيانا (الضمير) ويراد به هنا العقل أو الوجدان أي محل الحكم على الأشياء المدركة، وسبب هذا الاستعمال أن آثار الأحداث من خوف أو سرور تنعكس عليه، فيحدث الانقباض أو الانشراح. وكثيرا ما يستعمل في القرآن بمعنى دقة الفهم والتعمق في العلم.[1]
- ولهم أعين لا يبصرون بها: دلائل قدرة الله، بصر عظة واعتبار.[2]
- ولهم آذان لا يسمعون بها: الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ.[3]
- أولئك كالأنعام: في عدم الفهم والبصر والاعتبار بل هم أضل من الأنعام لأنها تحرص على ما ينفعها، وتهرب مما يضرها، وهؤلاء يقدمون على النار معاندة الغافلون الكاملون في الغفلة. .[4]

ثانياً : البلاغة:

1- تقديم السمع على البصر: في مقام ذكر حواس العباد والاستفادة بها، وفيما يوحى إليهم من الرسالات، أو عدم الانتفاع بها في هذه المجالات، لأن الوليد يكتمل تمييزه بسمعه قبل بصره، ولأن المسموعات من جميع الجهات، والمرئيات من جهة واحدة، ولأن الانتفاع بالسمع في مقام الهدايات والنبوات أكثر.[5]

2- أولئك كالأنعام التشبيه هنا مرسل مجمل.[6]

---

[1]- انظر: تفسير الثعالبي (128/4)، وتفسير الرازي (410/15)، وأيسر التفاسير للجزائري (264/2)، وتفسير السمعاني(445/3)، واللباب في علوم الكتاب (111/14)، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ -1998م، وفتح القدير للشوكاني (544/3)، وتفسير الراغب الأصفهاني (92/1)، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999م.

[2]- انظر: تفسير الزمخشري (179/2)، أيسر التفاسير للجزائري (264/2).

[3]- تفسير النسفي (619/1).

[4] - أيسر التفاسير للجزائري (264/2)،

[5] - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (111/2).

[6] - صفوة التفاسير (449/1). التفسير المنير للزحيلي (161/9).

ثالثاً : المعنى العام:

للذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حُجَجه لرسله، فيعلموا توحيد ربِّهم، ويعرفوا حقيقة نبوّة أنبيائهم، فوصفهم ربُّنا جل ثناؤه بأنهم لا يفقهون بها؛ لإعراضهم عن الحق وتركهم تدبُّر صحة نبوّة الرسل، وكذلك لهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، فيتأملوها ويتفكروا فيها، فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم، وفسادِ ما هم عليه مقيمون، من الشرك بالله، وتكذيب رسله؛ فوصفهم الله بتركهم إعمالها في الحقّ، بأنهم لا يبصرون بها. وكذلك لهم آذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله، فيعتبروها ويتفكروا فيها، ولكنهم يعرضون عنها، ويقولون: ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[فصلت : 26]، وذلك نظير وصف الله إياهم في موضع آخر بقوله: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : 171].[1]

قال الباحث: وليس الغرض من نفي السمع والبصر نفي الإدراكات عن حواسهم، وإنما المقصود بيان حجبها عن إبصار الهدى وسماع المواعظ. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ٢٦أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة : 26-27]

أولئك الموصوفون بما ذكر من تعطيل عقولهم وحواسهم هم كالأنعام -البقر والإبل والغنم- لا همّ لهم إلا الأكل والشرب والتمتع بلذات الحياة والدنيا، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا منها لأن الأنعام تحرص على ما ينفعها، وتنفر مما يضرها، ولا تسرف في أكلها وشربها، وهؤلاء يقدمون على النار معاندة، وهم مسرفون في جميع اللذات، ولا يهتدون إلى ثواب، ولا قدرة للحيوانات على تحصيل الفضائل، وأما الإنسان فأعطي القدرة على تحصيلها.[2]

أولئك هم كاملو الغفلة عن آيات الله وعن استعمال مشاعرهم وعقولهم فيما خلقت من أجله، وهو الاستفادة من المسموعات، والانتفاع من المبصرات، وهم الأغبياء الجاهلون الذين لا ينظرون إلى المستقبل، وإنما انصرفوا إلى الحياة الدنيا، وتركوا الاشتغال بما يؤهلهم للخلود في نعيم الحياة الآخرة. وعلى هذا تكون غفلتهم بمعنى ترك التدبر، والإعراض عن الجنة والنار.[3]

---

[1] -انظر: تفسير الطبري (278/13)، تفسير ابن كثير (513/3)، تفسير أبي السعود (300/6)، تفسير المنار (357/9)، مباحث في إعجاز القرآن (14)، لمصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1426 هـ - 2005م.

[2]- انظر: تفسير ابن جزي (313/1)، صفوة التفاسير (448/1)، التفسير الواضح(113/2).

[3]- انظر: روح البيان (426/6)، التفسير المنير للزحيلي (168/9)، تفسير المنار (144/1).

هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم، هم كالأنعام، وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما أبصرته لما يصلح وما لا يَصْلُح، ولا تعقل بقلوبها الخيرَ من الشر، فتميز بينهما، فشبههم الله بها، إذ كانوا لا يتذكَّرون ما يرون بأبصارهم من حُججه، ولا يتفكرون فيما يسمعون من آي كتابه.[1]

إنهم لما لم يستعملوا تلك الحواس فيما جعلت لهم، وإنما جعلت لهم لمعرفة حقائق الأشياء، وما أدرج فيها من المعاني والحكمة، فصاروا في الحقيقة كمن لا حواس له؛ إذ لم ينتفعوا بها انتفاع من لهم تلك؛ بل كانوا كمن ليس لهم تلك؛ لذلك نفى عنهم، وقال قائلون: نفى عنهم هذه الحواس؛ لما لم ينتفعوا بها انتفاع من لهم تلك؛ بل كانوا كمن ليس لهم تلك الحواس للمعنى الذي جعلت تلك الحواس، فهم كالأنعام، بل هم أضل؛ لأن هَؤُلَاءِ إذا ضلوا الطريق فهدوا وأرشدوا لا يهتدون ولا يرجعون عن ذلك، والدواب إذا ضلوا الطريق فهدوا اهتدوا، وعرفوا، ومالوا إليه، فهم أضل من الأنعام لما ذكر.[2]

ثم بين سبحانه وتعالى أن هؤلاء الكفرة الذين ذَرَأهم لجهنم، أشدُّ ذهابًا عن الحق، وألزم لطريق الباطل من البهائم، لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز، فتختار وتميز، وإنما هي مسَخَّرة، ومع ذلك تهرب من المضارِّ، وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح. والذين وصفَ الله صفتهم في هذه الآية، مع ما أعطوا من الأفهام والعقول المميِّزة بين المصالح والمضارّ، تترك ما فيه صلاحُ دنياها وآخرتها، وتطلب ما فيه مضارّها، فالبهائم منها أسدُّ، وهي منها أضل، كما وصفها به ربُّنا جل ثناؤه.[3]

والأنعام فيها الشهوة ولا عقل لها، فليس لها منع يمنعها عن شهوتها والإنس والجن فيهم الشهوة، والعقل المانع من اتباعها، فالعصاة منهم أضل إذ لم يمنعهم عقلهم من شهوتهم، وأن الملائكة لهم العقل ولا شهوة فيهم؛ فليس لهم داعٍ يدعوهم إلى المعصية، وبنو آدم فيهم الشهوة التي تحضهم على المعصية، فإذا أطاعوا الله وتركوا شهواتهم كانوا أفضل من الملائكة.[4]

---

[1]– انظر: تفسير الطبري (280/13)، تفسير الماتريدي (97/5)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (613/3)، تفسير السعدي (309).

[2]– انظر: تفسير الماتريدي (97/5)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (331/2)، وإعراب القرآن وبيانه (20/7)، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى:1403هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، ودار اليمامة، دمشق، ودار ابن كثير، دمشق، الطبعة الرابعة، 1415هـ، والجدول في إعراب القرآن (25/19).

[3]– انظر: تفسير الطبري (281/13). تفسير مقاتل بن سليمان (236/3)، تفسير السمرقندي (569/1)، الهداية إلى بلوغ النهاية (2649/4).

[4] –انظر: تفسير ابن عرفة (267/2)، لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: 803هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2008م، وتفسير السمعاني (263/3)، وروح البيان (281/3).

والعجب كل العجب من أنفتهم من إتباع النبي ﷺ مع ما أيده الله به من الآيات المعجزة والدلائل الباهرة لأنه بشر مثلهم ولم يأنفوا من عبادة حجر لا قدرة له ولا تصرف.[1]

وقوله: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[الأعراف : 179]، يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفتُ صفتهم، القومُ الذين غفلوا يعني: سهوًا عن آياتي وحُججي، وتركوا تدبُّرها والاعتبارَ بها والاستدلالَ على ما دلّت عليه من توحيد ربّها، لا البهائم التي قد عرّفها ربُّها ما سخَّرها له.[2]

رابعاً : ما يستفاد من الآية:

1- الحواس كلها خدمة القلب؛ فالقلب أشرفها' والقلب هنا هو الذي يسمونه أحيانا (الضمير) ويراد به هنا العقل أو الوجدان أي محل الحكم على الأشياء المدركة، وسبب هذا الاستعمال أن آثار الأحداث من خوف أو سرور تنعكس عليه، فيحدث الانقباض أو الانشراح. وكثيرا ما يستعمل في القرآن بمعنى دقة الفهم والتعمق في العلم، واستدل العلماء بقوله تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف : 179] على أن محل العلم هو القلب لأنه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض الذم، مما يدل على أن محل الفهم والفقه هو القلب. [3]

2- ويستفاد : من أسباب استحقاق أهل النار دخول جهنم: أنهم لا يستعملون عقولهم استعمالا صحيحا للوصول إلى حقيقة الإيمان، وإدراك لذة السعادة الدنيوية والأخروية.

3- ليس الغرض من نفي السمع والبصر نفي الإدراكات عن الحواس، وإنما المقصود بيان حجبها عن إبصار الهدى وسماع المواعظ، وفي ذلك بيان أن البلاء كامن في الغفلة عن آيات الله والإعراض عنها.[4]

4- هبوط الآدمي إلى درك أهبط من درك الحيوان، وذلك عندما يكفر بربه ويعطل حواسه عن الانتفاع بها، ويقصر همه على الحياة الدنيا؛ لأن الأنعام لا قدرة لها على تحصيل الفضائل، وأما الإنسان فأعطي القدرة على تحصيلها، أولئك هم كاملو الغفلة عن آيات الله، وهم الأغبياء الجاهلون.[5]

---

[1] -أحكام القرآن (213/4)، لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405 هـ.

[2]- انظر: تفسير الطبري (280/13-281)، روح البيان (281/3).

[3] -انظر: تفسير ابن عرفة (267/2)، تفسير الرازي (532/24)، الموسوعة القرآنية(398/2).

[4]- انظر: اللباب في علوم الكتاب (384/1)، تفسير ابن جزي (313/1)، أيسر التفاسير للجزائري (266/2).

[5]- انظر: البحر المحيط في التفسير (229/5)، أيسر التفاسير للجزائري (266/2)، التفسير الوسيط لطنطاوي (441/5).

المطلب الثالث: الأمر بدعاء الله

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف : 180]

أولاً : المفردات اللغوية:

- الأسماء: جمع اسم: وهو ما يدل على الذات أو هو كل لفظ جعل للدلالة على المعنى إن لم يكن مشتقا، فإن كان مشتقا فهو صفة.[1]
- الحسنى: مؤنث الأحسن.[2]
- فادعوه بها: سموه ونادوه بها للثناء عليه أو لطلب الحاجات منه.[3]
- وذروا: اتركوا.[4]
- يلحدون في أسمائه: يميلون عن الحق، حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم، كاللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة: من المنان، وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد، والميل والجور والانحراف. ومنه اللحد في القبر انحرافه إلى جهة القبلة.[5]
- سيجزون: سيلقون في الآخرة جزاء أعمالهم.

ثانياً : المناسبة:

لما وصف الله تعالى المخلوقين لجهنم بأنهم هم الغافلون، لتعطيل عقولهم ومشاعرهم في فهم آيات الله وتزكية نفوسهم بالإيمان والعلم النافع، أمر بعده بذكر الله تعالى، فهو الدواء لتلك الغفلة، فقال: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : 180]، وهو كالتنبيه على أن الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله تعالى، والمخلّص عن عذاب جهنم هو ذكر الله تعالى.[6]

ثالثاً : البلاغة:

1- الحسنى تأنيث لكلمة «الأحسن» اسم تفضيل، وهي الأسماء الحسنى في صلاحية الألوهية لها، وصلاحيتها للألوهية. وحين تقول عنه سبحانه: إنه «رحيم»، فهذا أمر أحسن عندي وعندك لأنني أنظر إلى رحمته لي، وأنت تنظر إلى رحمته لك. وحين تقول: «غفار» فأنت وأنا وكل من يسمعها تعود عليه.[7]

---

[1]- انظر: تفسير القرطبي (326/7)، أيسر التفاسير للجزائري (264/2)، تفسير المنار(361/9).

[2] -انظر: أيسر التفاسير للجزائري (264/2)، التفسير الوسيط لطنطاوي (441/5).

[3]- انظر: تفسير الزمخشري (180/2)، التفسير الوسيط لطنطاوي (441/5).

[4]- التفسير الوسيط لطنطاوي (442/5).

[5] -انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (366/2)، أيسر التفاسير للجزائري(265/2).

[6]- انظر: التفسير المنير للزحيلي (172/9). التفسير الوسيط لطنطاوي (441/5).

[7]- تفسير الشعراوي (4480/7)، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم،1997م.

2- (سيجزون ما كانوا يعملون): السين هنا لتأكيد وقوع الفعل في المستقبل، وقد قدروا الباء، أي: سيجزون بما كانوا يعملون، وحذف الباء فيه إشارة بيانية، وهو توافق الجزاء مع العمل، حتى كان الجزاء هو العمل ذاته، لاتحاد السبب والمسبب، فكان جزاء وفاقا للعمل.[1]

رابعاً : المعنى العام:

قال الباحث: ذكرت أسماء الله تعالى الحسنى في سور أربعة: أولها: هذه السورة، وثانيها: في آخر سورة الإسراء في قوله: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء :110] ، وثالثها: في أول طه، وهو قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾[طه : 8]، ورابعها: في آخر الحشر، وهو قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾[الحشر: 24].

فسبحان من تعرف إلى أوليائه بنعوته وأسمائه فعرفهم أنه من هو، وبأي وصف هو، وما الواجب في وصفه، وما الجائز في نعته، وما الممتنع في حقه وحكمه فتجلى لقلوبهم بما يكاشفهم به من أسمائه وصفاته، فإن العقول محجوبة عن الهجوم بذواتها لما يصح إطلاقه في وصفه، وإن كانت واقفة على الواجب والجائز والممتنع في ذاته، فللعقل العرفان بالجملة، وبالشرع الإطلاق والبيان في الإخبار، أما قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : 180] يعني في الآخرة ففيه وعيد وتهديد لمن ألحد في أسماء الله عز وجل.[2]

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1- لا يوجد لغير الله اسم يوصف بأنه من الحسنى، إن قلت عن إنسان إنه «كريم»، فهذا وصف، وكذلك إن قلت إنه «حليم»، وكلها صفات عارضة في حادث، ولا تصير أسماء حسنى إلا إذا وصف الله بها. فأنت – مثلا – لك قدرة تفعل أفعالاً متعددة، ولله قدرة، لكن قدرتك حادثة من الأغيار، بدليل أنها تسلب منك لتصير عاجزاً، أما قدرة الله تعالى فلها طلاقة لا يحدها شيء. فهي قدرة مطلقة. وأنت قد تكون غنياً، لك غنى، ولله غنى، لَكنّ ثراءك محدود، وأمَّا غنى الله فإنه غير محدود.[3]

---

[1] – زهرة التفاسير (3015/6).

[2]– انظر: تفسير الرازي (412/15)، تفسير القشيري (590/1)، تفسير الخازن (276/2).

[3] –تفسير الشعراوي (4480/7).

2- عن رسول الله ﷺ : "إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها كُلَّها دخل الجنة"[1]. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما المقصود من الحديث أن هذه التسعة والتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ولهذا جاء في الحديث الآخر «أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»[2].

قال الباحث: وفي سنن الترمذي تعيين الأسماء الحسنى، وقد اختلف في الحكم على الحديث، والصحيح أنه ليس في صحيح الأحاديث تعيينها، وإنما قال في الصحيح: (إن لله تسعة وتسعين اسما) من غير تعيين.

3- في دعاء الله بأسمائه الحسنى وجهان: أحدهما: نداؤه بها عند الرغبة إليه في الدعاء والطلب. والثاني: تعظيمه بها تعبدا له بذكرها.[3]

4- من ظن أن في إثبات عدد الأسماء إثبات أعداد من الذات؛ إذ قد يسمي الشيء الواحد بأسماء مختلفة، ثم لا يوجب ذلك إثبات عدد ذلك ولا تجزئته؛ من نحو ما تسمي الحركة: (حركة، عرضا، شيئًا)، من غير أن أوجب ذلك إثبات عدد الحركة أو تجزئتها، وكذلك في جميع الأشياء؛ فعلى ذلك يخبر تعالى أنه ليس في إثبات عدد من الأسماء إثبات عدد من الذات؛ على ما ذكرنا، وقد روي على هذا المعنى أن رجلاً دعا في صلاته فقال: يا اللَّه، ويا رحمن، ويا رحيم، فقال رجل من المشركين: أليس يزعم مُحَمَّد وأصحابه أنهم يعبدون إلهًا واحدًا، فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟! فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف : 180].[4]

5- للدعاء شرائط منها أن يعرف الداعي معاني الأسماء التي يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة المدعوّ سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله ويعزم المسألة مع رجاء الإجابة ويعترف الله سبحانه وتعالى بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فإذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تأثير عظيم.[5]

---

[1] – مسند أحمد (16/ 291/ 10481)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

[2] –تفسير الخازن (275/2).

[3] –النكت والعيون (282/2)، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

[4] –تفسير الماتريدي (98/5–99).

[5]– تفسير الخازن (276/2).

6- الدعاء عبادة مشروعة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة : 186]، ولا يكون الدعاء لغير الله تعالى من أي مخلوق حي أو ميت، فالله وحده هو الذي يقصد في الدعاء، فهو الصمد أي الذي لا يقصد في المطالب غيره، قال تعالى:﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾[النمل : 62] ، أي لا يجيب المضطر إلا هو، فهو المستحق وحده للعبادة، المقصود بالدعاء.[1]

7- فوائد الأمر بذكر الله كثيرة: منها ترسيخ معالم الإيمان وتنميته، وتحقيق مراقبة الله والخشوع له، والرغبة فيما عنده، وتهوين شأن الدنيا ولذاتها، روى البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ قال: (من نزل به غم أو كرب أو أمر مهمّ، فليقل: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض، ورب العرش الكريم[2]).[3]

8- الإلحاد يقع في أسماء الله تعالى على وجوه:

أحدها: إطلاق أسماء الله عز وجل على غيره وذلك أن المشركين سموا أصنامهم بالآلهة واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان.

الوجه الثاني: وهو أن الإلحاد في أسماء الله هو تسميته بما لم يسمّ به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لأن أسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعو الله بأسمائه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم.

الوجه الثالث: مراعاة حسن الأدب في الدعاء فلا يجوز أن يقال يا ضارّ يا مانع يا خالق القردة على انفراد بل يقال يا ضار يا نافع يا خالق الخلق. الوجه الرابع: أن لا يسمي الله العبد باسم لا يعرف معناه فإنه ربما سماه باسم لا يليق إطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يسمى به لما فيه من الغرابة.[4]

---

[1]- انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (104/1)، لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى، 1403 هـ - 1983م، والنكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (514/3).

[2] - صحيح البخاري (8/ 75 / 6345)، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ ، بَابُ الدُّعَاءِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ.

[3]- انظر: تفسير ابن كثير (433/6)، التفسير المنير (178/9)، تفسير المنار (148/9).

[4] - انظر: تفسير ابن أبي حاتم (1623/5)، تفسير الثعلبي (311/4)، فتح البيان في مقاصد القرآن (85/5).

المطلب الرابع: صفات الأمة المحمدية

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[الأعراف : 181]

أولاً : المناسبة:

أخبر الله تعالى في الآيات السابقة أنه خلق لجهنم كثيرا من الخلق لأنهم أهملوا طاقات المعرفة لديهم من العقل والحواس، ثم أرشد إلى ما يصلح الناس ويقوي إيمانهم من الدعاء بأسمائه الحسنى، ثم ذكر هنا انقسام أمة الدعوة المحمدية فريقين: فريق المهتدين الذين يقضون بالحق والعدل، وفريق المكذبين الضالين.[1]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- وممن خلقنا أمة يهدون: هم أمة محمد ﷺكما في الحديث المتواتر (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...)[2]، وقيل: من الناس.[3]
- يهدون: يرشدون الناس إلى الحق والخير.[4]
- وبه يعدلون: أي وبالحق يحكمون.[5]

ثالثاً : البلاغة:

1- إضافةُ الآياتِ إلى نُونِ العظمةِ أفاد تشريفها واستعظامِ الإقدام على تكذيبها لأنها هي معيارُ الحقِّ، ومصداقُ الصدقِ والعدل.[6]

2- في تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ قصر؛ أي لا يعدلون بغيره، بل يزنون به الأعمال والأشياء والصلات كلها، فهو ميزان الوجود الإنساني، وبه قامت الإنسانية الفاضلة.[7]

---

[1]- التفسير الوسيط للزحيلي (756/1).

[2]- صحيح مسلم (1920/1523/3)، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[3]- انظر: تفسير السمرقندي (571/1)، أيسر التفاسير للجزائري (265/2).

[4] -تفسير الثعلبي (293/4).

[5]- زاد المسير في علم التفسير (162/2).

[6] -انظر: تفسير الرازي (306/14)، البحر المحيط في التفسير (92/5).

[7] -زهرة التفاسير (3016/6).

رابعاً : المعنى العام:

من الخلق الذين خلق الله، جماعة يهتدون بالحق، وبالحق يقضُون ويُنصفون الناس، يريد أمة محمد ﷺ وهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان، قال معاوية رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ ، يقول: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك[1]).[2]

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1- أخبر الله تعالى في هذه الآيات عن أمة الدعوة المحمدية، وجعلهم كغيرهم من أقوام الأنبياء فريقين: فريق المؤمنين المهتدين، وفريق الضالين المكذبين، أما المهتدون فوصفهم الله بأنهم يرشدون الناس إلى الحق، ويقضون بالحق والعدل، وهذا كما وصف بعض قوم موسى بالوصفين ذاتهما، وفي ذلك غاية التجرد والموضوعية والحياد وإنصاف الحقائق.

2- لا تخلو الدنيا في وقت من الأوقات من داع يدعو إلى الحق، وقيل: لا يخلو زمان من قائم بالحق يعمل به ويهدي إليه، واستدل بعض العلماء بهذه الآية على أن الإجماع حجة في كل عصر، وعلى أنه لا يخلو عصر من مجتهد إلى قيام الساعة.[3]

3- ويستفاد : دوام الحكم بالعدل ولو على جزء من الأرض تقوم به هذه الفئة تأخذ به وتدعوا إليه وتتمسك به مهما أصابهم من ألوان الابتلاءات والمحن.

4- ليس الناس جميعا أشرار، بل إنه من رحمة الله تعالى بعباده أن كان الوجود لا يخلو من الأخيار الذين يقاومون أهل الشر، ويدفعون شرهم ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة :251]، وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أخيار الناس ممن يؤم كل واحد منه الجماعة، ويعينها ويقصدها بخير.[4]

---

[1] – صحيح البخاري (3641 /207/4)، كتاب المناقب، بابٌ.

[2] – انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (142)، لعبد الله بن عباس، (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، وتفسير الطبري (285/13)، وتفسير الرازي (417/15)، وتفسير القرطبي (302/7)، وتفسير الجلالين (222).

[3]– انظر: تفسير الخازن (277/2)، التفسير الوسيط لطنطاوي (443/5).

[4] –زهرة التفاسير (3015/6).

5- ما كانت البشرية لتستحق التكريم لو لم تكن فيها دائما وفي أحلك الظروف، تلك الجماعة التي يسميها الله «أمة» بالمصطلح الإسلامي للأمة وهي: الجماعة التي تدين بعقيدة واحدة وتتجمع على آصرتها، وتدين لقيادة واحدة قائمة على تلك العقيدة، فهذه الأمة الثابتة على الحق العاملة به في كل حين، هي الحارسة لأمانة الله في الأرض، الشاهدة بعهده على الناس، التي تقوم بها حجة الله على الضالين المتنكرين لعهده في كل جيل.[1]

6- أفادت الآية تحقيق الحقِّ الذي به يُهدى الهادون، وبه يعدل العادلون، وحملُ الناسِ على الاهتداء به.[2]

7- أهل الجنة الذين خلقوا لها هم الذين يهدون بالكتاب والسنة ويقضون بهما.[3]

---

[1]- في ظلال القرآن (1402/3).

[2]- تفسير أبي السعود (297/3).

[3] -أيسر التفاسير للجزائري (267/2).

المبحث السادس:

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف (183- 186)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التكذيب بآيات الله سبب في الاستدراج والإهلاك.

المطلب الثاني: التفكر في أحوال الرسل سبب في وقوع الهداية بهم.

المطلب الثالث: من دواعي الإيمان: التفكر في خلق الله، واقتراب الأجل.

المطلب الرابع: ضلال من أعرض عن كتاب الله .

المطلب الأول: التكذيب بآيات الله سبب في الاستدراج والإهلاك.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٞ ﴾ [الأعراف : 182-183]

أولاً : المناسبة:

لما ذكر الله تعالى حال الأمة الهادية العادلة، ناسب ذكره حال المكذبين بآيات الله تعالى، وما عليهم من الوعيد، وذاك أن القلوب المحجوبة، والعيون المغلقة، تقود أصحابها إلى جهنم، وعلى كل امرئ يريد النجاة أن يفتح قلبه وعينه وذلك في مقدوره بيقين، ولذلك قال جل شأنه ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾، وفاقد الفكر والنظر لا يلومن إلا نفسه.[1]

ثانياً : البلاغة:

أتى في الاستدراج بأداة العظمة، وفي الإملاء بضمير الواحد، ولم يأت بهما على نهج واحد؛ لأن الاستدراج يكون بواسطة وبغيرها، فكأنه قال: سأستدرجهم بنفسي من غير واسطة تارة وبمن أتيح لهم النعم على يده من عبيدي وجنودي أخرى، وأما الإملاء وهو تطويل الأجل فلا يتصور أن يكون إلا من الله تعالى.[2]

ثالثاً : المفردات اللغوية:

1- سنستدرجهم: سنأخذهم قليلا قليلا، وننزلهم درجة بعد درجة إلى دركات العذاب، وندنيهم من الهلاك شيئا فشيئا.[3]

2- وأملي: أصل الإملاء من قولهم: مضى عليه مليٌّ، وهي الحين، ومنه قيل: انتظرتُك مليًّا، ليبلغوا بمعصيتهم ربهم، المقدارَ الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ثم يقبضهم إليه.[4]

3- كيدي متين: إن تدبيري الخفي شديد قوي لا يطاق.[5]

رابعاً : المعنى العام:

إن لله عز وجل مكراً بالمجرمين قد تذهلهم عنه لذاتٌ عاجلة، أو انتصاراتٍ خادعة، أو تقلب في البلاد مقرون بالسطوة والكبر، وهذه الأحوال من إملاء الله للمبطلين، ثم يجرهم حبل المنية إلى مصارعهم من حيث لا يعلمون.[6]

---

[1]- تفسير الرازي (418/15)، تفسير النيسابوري (353/3).

[2] -نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (178/8)

[3]- التفسير المنير للزحيلي (179/9)

[4]- تفسير الطبري (287/13)

[5]- التفسير المنير للزحيلي (180/9)

[6]- التفسير المنير للزحيلي (182/9)

إن الله ليس بغافل عن المكذبين بآياته، بل يستدرجهم بأن يدنيهم قليلاً قليلا إلى ما يهلكهم، وذلك بإدرار النعم عليهم، وإنسائهم شكرها فينهمكون في الغواية، ويتنكبون طرق الهداية لاغترارهم بذلك، وظنهم أنه لم يحصل لهم هذا النعيم والرزق الكثير إلا بما لهم عند الله من المنزلة والمكانة، وهكذا يملي لهم الله؛ فيطيل لهم المدة ويمهلهم ويؤخر عنهم العقوبة، وهم يتمادون في ضلالهم وطغيانهم حتى ينزل بهم العذاب وهم غافلون.[1]

يقول تعالى ذكره: والذين كذبوا: بأدلتنا وأعلامِنا، فجحدوها ولم يتذكروا بها، سنمهله بغِرَّته ونزين له سوء عمله، حتى يحسب أنه فيما هو عليه من تكذيبه بآيات الله إلى نفسه محسن، وحتى يبلغ الغايةَ التي كُتِبَتْ له المَهَل، ثم يأخذه بأعماله السيئة، فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعدَّ له. وذلك استدراج الله إياه. وأصل الاستدراج اغترارُ المستدرَج بلطف من استدرجه، حيث يرى المستدرَج أن المستدرِج إليه محسنٌ، حتى يورِّطه مكروهًا.[2] وقيل أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ محمدٍ والقرآن يعني: أهل مكَّة.[3]

ومعنى سنستدرجهم: أي سنأخذهم بالعذاب مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ"، وقيل: نزيّن لهم فنهلكهم فيقتل كل رجل منهم بغير قتلة صاحبه. وقيل: يذيقهم من بأسه قليلاً قليلاً.[4] وقيل: أن يلقى في أوهامهم أنهم من أهل الوصلة، وفى الحقيقة السابق لهم من القسمة حقائق الفرقة، وقيل: انتشار الصيت بالخير في الخلق، والانطواء على الشر في السر مع الحق، وقيل: ألا يزداد في المستقبل صحبة إلا ازداد في الاستحقاق نقصان رتبة، وقيل: الرجوع من توهم صفاء الحال إلى ركوب قبيح الأعمال، ولو كان صادقا في حاله لكان معصوما في أعماله، وقيل: دعاوى عريضة صدرت عن معان مريضة، وقيل: إفاضة البرّ مع الشكر[5].

وقيل: كلما جدَّدوا لنا معصية جدّدنا لهم نعمةً[6]، وقيل: نُسْبِغُ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ وَنُنْسِيهِمُ الشُّكْرَ[7].

---

[1]– التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (113/3).

[2]– تفسير الطبري (286/13)

[3]– الوجيز للواحدي (423)

[4] –تفسير السمرقندي (571/1)، وتفسير العز بن عبد السلام (516/1)، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م.

[5]– تفسير القشيري (592/1)،

[6] –الوجيز للواحدي (423)

[7]– تفسير القرطبي (329/7)

وفي اشتقاق الاستدراج قولان: أحدهما: أنه مشتق من الدرج لانطوائه على شيء بعد شيء.[1] والثاني: أنه مشتق من الدرجة لانحطاطه من منزلة بعد منزلة. [2] وفي المشار إليه باستدراجهم قولان: أحدهما: استدراجهم إلى الهلكة. والثاني: الكفر.[3]

وقوله: ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾يحتمل وجهين: "أحدهما: لا يعلمون بالاستدراج.[4] والثاني: لا يعلمون بالهلكة"[5].

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1- أمة الدعوة المحمدية، كغيرهم من أقوام الأنبياء فريقين: فريق المؤمنين المهتدين، وفريق الضالين المكذبين، وقد أخبر تعالى أنه سيستدرجهم بإدنائهم وتقريبهم إلى ما يهلكهم، ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم، عن طريق إمدادهم بالنعم والخيرات والأرزاق، كلما أتوا بجرم، أو أقدموا على ذنب، وأنه سيطيل لهم المدة، ويمهلهم مع إصرارهم على الكفر، ولا يعاجلهم بالعقوبة، وإنما يؤخر عقوبتهم، لإعطائهم فرصة للعودة إلى الحق، والاستجابة لدعوة الإيمان، وتصديق النبي المصطفى ﷺ. وفي فترة إمهالهم أنذرهم أنهم إن داموا على المعصية والكفر، فإن كيد الله، أي تدبيره شديد قوي محكم.[6]

2- الإمداد بالنعم والخيرات والأرزاق ليس دليلا على صلاح الإنسان، وإنما قد يكون استدراجا كما يستدرج العدو إلى مكان للقضاء عليه، فالظالم إذا لم يعاقب فوراً عليه ألا ينخدع بذلك، فقد يكون تركه طعماً للتعرف على المزيد من بغيه وجوره، كما تفعل أجهزة الأمن اليوم في كثيرٍ من حالات مراقبة تحركات المشبوهين، ثم يقع ذلك الظالم في قبضة الحكام لعقابه بالدنيا، أو تنزل به المصائب والدواهي، ثم يعاقبه الله بالعذاب الشديد بالآخرة. [7]

---

[1] –تفسير الماوردي (283/2)، التحرير والتنوير لابن عاشور (191/9).

[2] –تفسير العز بن عبد السلام (516/1)، تفسير الماوردي (283/2).

[3]– تفسير الرازي (418/15)، تفسير النيسابوري (353/3).

[4] –تفسير الماوردي (283/2)، زاد المسير لابن الجوزي (173/2).

[5] –زاد المسير لابن الجوزي (173/2)، تفسير القاسمي (305/9).

[6] –تفسير ابن عطية (482/2)، وإيجاز البيان عن معاني القرآن (70/1)، لمحمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو 550هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى – 1415 هـ.

[7] –التفسير المنير للزحيلي (182/9).

3- الاستدراج والمكر في حق الخلق غير المعنى الذي يضاف إلى اللَّه، والجهة التي تضاف إلى اللَّه غير الجهة التي تضاف إلى الخلق والجهة التي تضاف إلى الخلق مذمومة، والجهة التي تضاف إلى الله محمودة، وكذلك ما أضيف إلى اللَّه من المكر، والخداع والاستهزاء ونحوه، هو ما ذكرنا على اختلاف الجهات، والمعنى في الجهة التي تضاف إلى اللَّه غير الجهة التي تضاف إلى الخلق؛ لأن اللَّه تعالى يأخذهم بما يستوجبون ويستحقون بحق الجزاء والمكافأة، فلا يلحقه في ذلك ذم، وأما الخلق فيما بينهم يمكرون ويكيدون، لا على الاستحقاق والجزاء.[1]

المطلب الثاني: التفكر في أحوال الرسل سبب في وقوع الهداية بهم.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾[الأعراف : 184]

أولاً : تمهيد:

أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بآياتنا ما بصاحبهم يعني محمدا ﷺمن جنون، فقد كانوا يقولون: شاعر مجنون، مع أنهم يعرفون حاله من بدء نشأته، ويعلمون حقيقة دعوته، ودلائل رسالته، فهو رسول الله حقا، دعا إلى حق.

والتعبير: بصاحبهم للتذكير بأنهم يعرفون سيرته معرفة كاملة في سن الصبا وعهد الشباب والكهولة وبعد النبوة، إنه ليس بمجنون، بل هو منذر ناصح، ومبلغ أمين، فهو ينذركم ما يحل بكم من عذاب الدنيا والآخرة إذا لم تؤمنوا بدعوته.[2]

ثانياً : المناسبة:

لما تهدد الله المعرضين عن آياته، الغافلين عن التأمل في دلائله وبيناته، عاد إلى الجواب عن شبهاتهم. فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾.[3]

ثالثاً : المفردات اللغوية:

- التفكر: طلب المعنى بالقلب وذلك لأن فكرة القلب هو المسمى بالنظر، والتعقل في الشيء والتأمل فيه والتدبر له طلبا لذلك الانكشاف والتجلي، وذلك هو المسمى بنظر العقل وفكرته. [4]
- والجنة: حالة من الجنون.[5]
- نذير مبين: بين الإنذار، والإنذار :التعليم والإرشاد مع التخويف[6].

---

[1] -تفسير الرازي (222/28)، تفسير النيسابوري (171/2).

[2]-انظر : تفسير القشيري (592/1)، تفسير ابن كثير (517/3).

[3] -انظر : تفسير الرازي (419/15)، تفسير النيسابوري (355/3).

[4]- تفسير ابن عطية (483/2).

[5] -تفسير مقاتل بن سليمان (77/2).

[6]- تفسير الطبري (290/13)، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (368/4).

رابعاً : البلاغة:

1- دخول «من» في قوله: من جنة يوجب أن لا يكون به نوع من أنواع الجنون.[1]

2- تعيين النبي ﷺ، بقوله: (ما بصاحبهم)، أي الذي طالت خبرتهم به بكونه أمتنهم عقلاً وأفضلهم شمائل ولم يقل: ما برسولي ونحوه، لئلا يقول مُتَعَنِتُهم مالا يخفى.[2]

3- المبالغة في النفي بأربعة أوجه: الأول: إدخال لفظه من، الثاني: إفراد لفظة جنة فهو أعم من لو قيل: جنون، الثالث: بلفظ صاحب المضاف إليهم فهو إشارة إلى أنهم غافلون به وهو بين أظهرهم قديما وحديثا.[3]

خامساً : سبب النزول:

عن قتادة بن دعامة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا فدعا قريشا، فجعل يدعوهم فخذاً فخذا، يا بني فلان، يحذرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوت إلى الصباح، أو حتى أصبح، فأنزل الله تعالى: أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة، إن هو إلا نذير مبين.[4]

سادساً : المعنى العام:

كان الكفرة ينسبون رسول اللَّه ﷺ إلى الجنون، والذي حملهم على ذلك أنهم كانوا أهل العز والشرف في الدنيا، وكان لا يخالفهم أحد، ولا يستقبلهم بالمكروه إلا أحد رجلين: رجل ذو قوة وهيبة، وله أعوان وأنصار، أو رجل به جنون؛ لأنهم كانوا يقتلون من يخالفهم في شيء من الأمر فلما رأوا رسول اللَّه ﷺ خالفهم واستقبلهم بما يكرهون، ولم يروا له أنصارًا ولا أعوانًا ظنوا أنه لا يخالفهم إلا بجنون فيه، فنسبوه إلى الجنون لذلك، واللَّه أعلم.[5]

ويحتمل أن تكون نسبتهم إياه إلى الجنون لما حرم عليهم عبادة الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها، وهم قد رأوا العقلاء منهم قد عبدوا الأصنام ولم يحرموا ذلك، فلما حرم ذلك عليهم ظنوا أنه إنما حرم ذلك لآفة، لذلك حملهم بالنسبة إلى الجنون"[6].

وقيل: "كان يغشاه حالة عجيبة عند نزول الوحي فيتغير وجهه ويصفر لونه، وتعرض له حالة شبيهة بالغشي، فالجهال كانوا يقولون إنه جنون"[7].

---

[1]- انظر: تفسير الرازي (419/15)، تفسير الخازن (277/2)، اللباب في علوم الكتاب (405/9).

[2]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (180/8).

[3]- تفسير ابن عرفة (268/2).

[4] -تفسير الطبري (289/13)، بإسناد صحيح إلى قتادة.

[5] -انظر : التفسير المنير للزحيلي (183/9)،

[6]- انظر : تفسير الماتريدي (103/5).

[7]- انظر : تفسير الرازي (420/15)

قال الباحث: وأرى عدم تعليل قولهم بشيء لأنهم قد خبروا رجاحة عقل النبي ﷺ، وبين الله ذلك بقوله (ما بصاحبكم)، فيكون قولهم ليس إلا من باب الافتراء المحض، والصد عن دين الله بالطعن في رسوله ﷺ.

فبين سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه ليس به نوع من أنواع الجنون، وذلك لأنه عليه السلام كان يدعوهم إلى الله، ويقيم الدلائل القاطعة والبينات الباهرة، بألفاظ فصيحة بلغت في الفصاحة إلى حيث عجز الأولون والآخرون عن معارضتها، وكان حسن الخلق، طيب العشرة، مرضي الطريقة نقي السيرة، مواظبا على أعمال حسنة صار بسببها قدوة للعقلاء العالمين، ومن المعلوم بالضرورة أن مثل هذا الإنسان لا يمكن وصفه بالجنون، وإذا ثبت هذا ظهر أن اجتهاده على الدعوة إلى الدين إنما كان لأنه نذير مبين، أرسله رب العالمين لترهيب الكافرين، وترغيب المؤمنين.[1]

وفي ذلك توبيخ من الله ﷻ للمسرفين المسفهين لرسول الله عنادا ومكابرة، فقال أَما يستحيون من الله أولئك المسرفون المفرطون من نسبة الجنون إلى من فاق على عموم العقلاء بالرشد والهداية[2].

ولما نفى عز وجل أن يكون برسولهﷺ شيء مما نسبوه إليه وافتروه عليه حصر أمره في النذارة لأنها النافعة لهم، وجاء الوصف بـ(مبين) للدلالة على أنه إيضاح لا يصل غيره إليه، بدليل عجز الخلق عن معارضة شيء مما يأتي به من أنه أحسن الناس خَلقاً وأعلاهم خُلقاً وأفضلهم عشرة وأرضاهم طريقة وأعدلهم سيرة وأطهرهم سريرة وأشرفهم عملاً وأحكمهم علماً وأرصنهم رأياً وأعظمهم عقلاً وأشدهم أمانة وأظهرهم نبلاً.[3]

سابعاً : ما يستفاد من الآية:

1- يستفاد: دحض مزاعم المشركين مما نسبوه له ﷺ من افتراءٍ عليه ووصفه بما ليس فيه زوراً وبهتاناً ودليل ذلك والحجة الواضحة البرهان العظيم الذين عجزتم على الإتيان بسورة من مثله .

2- ويستفاد: إجحافكم لصاحبكم وابن بلدكم الذين أنتم أعلم الناس به وبصفاته ورجاحة عقله فأنتم بقولكم تتنكرون لذاتكم وتعاندون عقولكم وقلوبكم التي تقر بداخلها أنه ليس بينكم أرجح عقلاً ولا كاملاً ومكملاً منه ﷺ.

---

[1] –انظر : تفسير النيسابوري (356/3).

[2]– الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية (275/1)، لنعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ)، دار ركابي للنشر، مصر الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1999م، وفتح القدير للشوكاني (309/2).

[3]– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (180/8).

المطلب الثالث: من دواعي الإيمان: التفكر في خلق الله، واقتراب الأجل.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف : 185]

أولاً : تمهيد:

أرشد الحق تعالى عباده إلى التفكر والاعتبار، ويُعَلِّمُ هنا أهل الاستدلال كيفيته وهو: أن ينظر الإنسان في عجائب ملكوت السموات والأرض، وما اشتملتا عليه من ضروب المصنوعات، وعجائب المخلوقات، فيتحقق بوجود الصانع القادر على كل شيء.[1]

ثانياً : المناسبة:

لما كان النظر في أمر النبوة مفرعا على تقرير دلائل التوحيد، فذكر عقيبه ما يدل على التوحيد فذكر الله عز وجل " قدرته في خلقه ووصف حاجتهم إليه، وما خلق من شيء سمعوه ولم يروه، فاغتروا به، ولو شاهدوا ذلك بقلوبهم لآمنوا بالغيب، فأداهم الإيمان إلى مشاهدة الغيب الذي غاب عنهم، وورثوا درجات الأبرار فصاروا أعلاما للهدى".[2]

ثالثاً : البلاغة:

1- الاستفهام في أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض للإنكار والتقريع والتوبيخ ولقصد التعجيب من إعراضهم عن النظر في الآيات البينة الدالة على كمال قدرته وتفرده بالإلوهية، وفي هذا الاستفهام من التقريع والتوبيخ ما لا يقادر قدره[3].

2- أمر النبوة متفرع على التوحيد، والدليل عليه أنه لما قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾أتبعه بذكر ما يدل على التوحيد، ولولا أن الأمر كذلك، لما كان إلى هذا الكلام حاجة.[4]

رابعاً : المعنى العام:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ في أنفسهم، وفي أُولَئِكَ الذين عبدوا من الأصنام والأوثان؛ ليظهر لهم أنهم على باطل وسفه، وأن الحق هو ما يدعوهم إليه مُحَمَّد ﷺ، لا ما هم عليه.[5]

---

[1] -البحر المديد لابن عجيبة (289/2)، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، وحسن عباس زكي، القاهرة، الطبعة 1419 هـ.

[2] -تفسير الرازي (420/15)، وتفسير التستري (70)، تفسير النيسابوري (356/3).

[3] -فتح القدير للشوكاني (309/2).

[4] -تفسير الرازي (421/15).

[5] -انظر : تفسير الماتريدي (5/ 103).

وقيل: أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي خلق السموات والأرض وَما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ في السماء من الشمس والقمر والنجوم وما خلق الله في الأرض من الجبال والبحار وغير ذلك فيعتبروا، ويؤمنوا بأن الذي خلق الذي ترون، هو رَبّ واحد لا شريك له.[1]

قال الباحث: واختلاف وجهي النظر باختلاف المخاطب، فإن كان المقصود به اليهود، كان التفسير الأول أنسب، وإن كان المشركون من قريش، كان التفسير الثاني أنسب.

ولما نبه الله تعالى على هذه الأسرار العجيبة والدقائق اللطيفة، أردفه بما يوجب الترغيب الشديد في الإتيان بهذا النظر والتفكر فقال: ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾[الأعراف : 185]، فالناس في (مغاليط آمالهم ناسون لو شيك آجالهم، فكم من ناسج لأكفانه! وكم من بان لأعدائه! وكم من زارع لم يحصد زرعه! هيهات! الكبش يعتلف والقصاب مستعد له!) ويقال سرعة الأجل تنغص لذة الأمل، وإذا كان هذا الاحتمال قائما وجب على العاقل المسارعة إلى هذه الفكرة، والمبادرة إلى هذه الرؤية، سعيا في تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم. [2]

ولما ذكر تعالى هذه البيانات الجلية والدلائل العقلية قال: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف : 185]، وذلك لأنهم إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن مع ما فيه من هذه التنبيهات الظاهرة والبينات الباهرة، فكيف يرضى منهم الإيمان بغيره.

وقيل: فما لهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا، وقيل: فبأي حديث بعد انقضاء أجلهم يؤمنون.[3]

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1- الحقُ ملزمٌ وإن كان لا يعلم ذلك إلا بالتنكر والتدبر؛ لما لحق هَؤُلَاءِ من الوعيد الشديد والعقاب العظيم لما تركوا التفكر، وكان لهم سبيل الوصول إلى معرفة ذلك.[4]

2- أن التقليد غير جائز ولا بد من النظر والاستدلال، والدليل على أن الأمر كذلك قوله: أولم يتفكروا.[5]

3- عدم اختصاص الدِلالة المذكورة بجلائل المصنوعاتِ دون دقائِقها والمعنى أولم ينظروا في ملكوتُ السموات والأرض وما خُلق فيهما من جليل ودقيقٍ مما ينطلق عليه اسمُ الشيءِ ليدلَّهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وبسائر شئونه التي ينطِق بها تلك الآياتُ فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فإن كلَّ فردٍ من أفراد الأكوانِ مما عز وهان دليلٌ لائحٌ على الصانع المجيد وسبيلٌ واضحٌ إلى عالم التوحيد.[6]

---

[1] –انظر : تفسير السمرقندي (1/ 572).

[2] –انظر : تفسير الرازي (421/15)، تفسير القشيري (593/1).

[3] – انظر : تفسير الرازي (421/15)، تفسير أبي السعود (299/3).

[4]– انظر: تفسير الماتريدي (103/5).

[5] – انظر : تفسير الرازي (421/15)

[6] – انظر: تفسير أبي السعود (299/3)، روح البيان (289/3)، تفسير الألوسي (81/1)

4- كل ما تفكر البشر مما علموا من ملك الله كالقطرة في البحر، وكيف يمكن لعقولهم الإحاطة بكمال ملك الله وملكوته، بعد أن سمع قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر : 31]، فإذا استحضر الإنسان ذلك فهم قولهم:﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة : 32] ونعم ما قال أبو العلاء المعري:

يا أيها الناس كم لله من فلك ... تجري النجوم به والشمس والقمر

هنا على الله ماضينا وغابرنا ... فما لنا في نواحي غيره خطر.[1]

5- ويستفاد: دلالة الآية على أن للإيمان طريقين: أحدهما سمعي، والآخر عقلي، والجمع بين الأمرين سبيل الأنبياء والصديقين وأن كل طريق مكمل للآخر وبذلك لم يحجر الله تعالى على أصحاب العقول عقولهم بل دلهم على كيفية استغلالها الاستغلال الأمثل.

المطلب الرابع: ضلال من أعرض عن كتاب الله

﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الاعراف : 186]

أولاً : المناسبة:

لما كان إعراض المكذبين بآيات الله من أعجب العجب، دل ذلك على أن الأمر ليس إلا بيد الله فناسب قوله تعالى ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ بوجه من الوجوه[2].

ثانياً : المفردات اللغوية:

- ويذرهم: يتركهم.[3]
- في طغيانهم: الطغيان: تجاوز الحد في الكفر والشر والظلم. [4]
- يعمهون: يترددون تحيرا.[5]

---

[1]- انظر: تفسير الرازي (276/14).

[2] -انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (185/8).

[3]- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (542/1).

[4] -الوجوه والنظائر(315)، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007م.

[5] -تفسير مجاهد (196)، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر الطبعة الأولى، 1410 هـ - 1989م.

ثالثاً : **البلاغة:**

1- لما دل بالإفراد على أن كل فرد في قبضته، وكان التقدير: بل يستمر على ضلاله، وعطف عليه بضمير الجمع دلالة على أن جمعهم لا يغني من الله شيئاً فقال: ﴿وَيَذَرُهُمْ ﴾أي يتركهم على حالة قبيحة.

2- توحيدُ الضمير في حيز النفي نظراً إلى لفظ (مَنْ) وجمعُه في حيز الإثبات نظراً إلى معناها؛ للتنصيص على شمول النفي والإثباتِ للكل[1].

3- عبر بالظرف إشارة إلى إحاطة حكمه بهم فقال: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ أي تجاوزهم للحدود حال كونهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي يتحيرون ويترددون في الضلال لا يعرفونه طريقاً ولا يفهمون حجة[2].

رابعاً : المعنى العام:

يقول تعالى ذكره: إن إعراض هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا، التاركي النظر في حجج الله والفكر فيها، لإضلال الله إياهم، ولو هداهم الله لاعتبرُوا وتدبَّروا فأبصروا رُشْدهم؛ ولكن الله أضلَّهم، فلا يبصرون رشدًا ولا يهتدون سبيلا ومن أضلَّه عن الرشاد فلا هادي له إليه، ولكن الله يدعهم في تَمَاديهم في كفرهم، وتمرُّدهم في شركهم، يترددون، ليستوجبوا الغايةَ التي كتبها الله لهم من عُقوبته وأليم نَكاله[3].

ولو كانت الهداية الأمر والبيان على ما قاله قوم، لكان ذلك من غيره، وكذلك لو كان الإضلال والإزاغة والنهي هو التخلية، لكان ذلك يكون من غيره، وكل من أراد اللَّه أن يهديه أضله غيره، وكل من أضله اللَّه هداه غيره، فذلك محال مع ما في كل ما أضاف اللَّه الإضلال إلى الخلق ذمه، وفيما أضاف الهداية إليه مدحه، ثم أضافهما جميعًا إلى نفسه؛ دل أن هنالك زيادة معنى ليس ذلك في الإضافة إلى الخلق، وهو ما ذكر في غير موضع: إما خلق فعل الضلال من الكافر، وخلق فعل الاهتداء والإيمان من المؤمن، أو كان منه التوفيق والمعونة في الهدى، والخذلان في الكفر، وهذان الوجهان اللذان ذكرناهما لا يكونان من الخلق، إنما يكونان من اللَّه[4].

---

[1]- انظر: تفسير أبي السعود (300/3).

[2] -انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (444/7)، بيان المعاني (393/3).

[3] -تفسير الطبري (291/13)، التفسير المنير للزحيلي (185/9)،

[4]- انظر: تفسير الماتريدي (105/5)، التفسير المنير للزحيلي (185/9).

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1- أفادت الآية أن الذين كتب الله عليهم الضلالة، لا هادي لهم يرشدهم، فعليك يا أكمل الرسل أن لا تجهد في هدايتهم ولا تصغي أيضا الى أباطيلهم إذ أمرهم مفوض الى الله، وَكيف تجتهد وتسعى في إيمانهم إذ هم قوم يتركهم الله باسمه المذل المضل فِي طُغْيانِهِمْ المتجاوز عن الحد يتحيرون إلى أن يأخذهم مع أباطيلهم يترددون وفي سكرتهم يعمهون[1].

2- الهدى والضلال من الله، بمعنى أن الله هو الخالق لأفعال العباد، سواء في حال الخير أو في حال الشر، وأنه جعل القرآن أعظم أسباب الهداية للمتقين، لا للجاحدين المعاندين.[2]

3- لا إجبار من الله على الضلال، وإنما نسب الضلال إلى الله في الآية من قبيل النسبة إلى النظام الذي وضعه والسنة التي قضى بها في خلق الإنسان، وربط أعماله بأسباب تترتب عليها مسبباتها، فإذا اختار العبد الضلالة فلن يجد غير الله هاديا له، ولا يهديه أحد سوى الله. ومن سنته تعالى أنه يترك هؤلاء الضالين يترددون حيرة في متاهات ضلالهم، ولا يجدون سبيلا للخروج مما هم فيه. فكما أن من اختار أصل الهداية يزيده الله هدى ويوفقه لمتابعة طريق الهدى، ويمكنه من الوصول إلى هدفه، كذلك من اختار طريق الضلالة، يتركه الله في ضلاله، ويزيده ضلالا، ويحجب عنه النور الذي يؤدي به إلى الخير، ويلقي على قلبه حجابا كثيفا يمنع نفاذ الخير إليه، فلا يهتدي إلى الحق والخير أبدا، كما قال: كلا، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.[3]

4- ويستفاد: إمهال الله عز وجل لهؤلاء الضالين وإعطائهم الفرصة تلو الأخرى من أجل الرجوع عن ضلالهم وغيهم، إلا أن إصرارهم على سلوك كل الطرق إلا طريق الهداية يكونون قد صعبوا المسألة على أنفسهم واستمرءوا الضلالة فأصبحوا من أهلها ولا تنفك عنهم بسبب ما اقترفوا ورضوا لأنفسهم فتنفذ خياراتهم بذلك.

---

[1]- انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (276/1).

[2]- انظر: التفسير المظهري (434/3)، تفسير الألوسي (110/5)، حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (237/4)، اللباب في علوم الكتاب (87/9)، تفسير البيضاوي (43/3).

[3]- انظر: البحر المحيط في التفسير (202/1)، القرآن ونقض مطاعن الرهبان (340/1).

المبحث السابع

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (187، 188)

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: مرد علم الساعة إلى الله.

المطلب الثاني: أشراط الساعة مقدمات لوقوعها.

المطلب الثالث: لا يعلم الغيب إلا الله.

المطلب الرابع: طلب النفع والضر من مالكه.

المطلب الخامس: إقرار الغاية من إرسال الرسل.

توطئة:

تحدثت الآيات السابقة عن الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، رغم أنه أعطاهم الإمكانات والقدرات التي تمكنهم من معرفة الحق والاهتداء إليه، لكنهم عطلوا هذه القدرات، ولم يستخدموها في الخير، فكانوا كالأنعام بل هم أضل، حيث ألحدوا في أسماء الله الحسنى، وغفلوا عن الآخرة، واستدرجوا بالنعم، فازداد كفرهم وتكذيبهم واتهامهم للرسول ﷺ بالجنون، وجاءت هذه الآيات لتبين أن كفر هؤلاء تمادى بهم فأنكروا الساعة، وأخذوا يسألون الرسول ﷺ عن ميقات مجيئها، ساخرين مستهزئين، وكان الرد عليهم بأن علم الساعة عند الله سبحانه، وأن الرسول لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله.[1]

وتتصل هذه الآيات بموضوع السورة اتصالا وثيقا، فهؤلاء المشركون لم يتوقفوا في ضلالهم وشركهم عند الإلحاد في أسماء الله الحسنى واتهام الرسول ﷺ بالجنون، بل أنكروا الساعة أيضا وأخذوا يسألون عن موعدها في تهكم وسخرية، وهذا إمعان في الضلال والشرك، يبين استعداد كثير من الناس لاتباع الشيطان والاستجابة لنزغه، والانحراف عن الحق والهدى. [2]

ويستخلص: أن من سلك مسلك الضلال والغي يصل به تماديه إلى أبعد الحدود فلا يكون له ضابط ولا وازع يردعه وهو بذلك مستعد لتسخير كامل إمكانياته وكافة طاقاته من أجل النيل ممن يعارضونه نهجاً وطريقا.

المطلب الأول: مرد علم الساعة إلى الله.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : 187]

أولاً : تمهيد:

كان المشركون يسألون الرسول ﷺ عن الساعة، متى تأتي؟ وهو سؤال يقصدون منه الاستعجال والتحدي، فأمر الله سبحانه رسولهﷺ بأن يجيبهم بقوله: إنما علمها عند ربي فلا يعلم وقوعها، ولا يجليها، ولا يظهرها لوقتها ولا يكشف عنها إلا الله سبحانه، وفي استئثار الله سبحانه بعلم الساعة حكمة عظيمة وتدبير بليغ كسائر الأشياء التي أخفاها الله وأستأثر بعلمها.[3]

---

[1]– انظر: التفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية (3/217 – 218).

[2] – انظر: التفسير المنير للزحيلي (9/191).

[3] –انظر: التفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية (3/215)

ثانياً : المناسبة:

لما تكلم الله تعالى في التوحيد والنبوة والقضاء والقدر، أتبعه بالكلام عن المعاد. وكذلك لما قال تعالى في الآية المتقدمة عن أجل الإنسان: وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم بقصد الحث على التوبة والإصلاح، وهو الساعة الخاصة، قال بعده: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ للإرشاد إلى النظر والتفكر في أمر الساعة العامة التي تنتهي بها الدنيا كلها، ويموت بها جميع الناس، ولبيان أن وقت الساعة مكتوم عن الخلق.[1]

ثالثاً : سبب النزول:

كانت اليهود تقول للنبي ﷺ: (إن كنت نبيا فأخبرنا عن الساعة متى تقوم؟) . وأخرج ابن جرير الطبري[2] عن قتادة أن المشركين قالوا ذلك، لفرط الإنكار.[3]

ويميل الباحث إلى قول من قال أنها نزلت في قريش لأن الآية مكية، وكانوا يسألون عن وقت الساعة، استبعاداً لوقوعها وتكذيباً بوجودها، كما قال تعالى: ويقولون: وَ ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس : 48].

رابعاً : المفردات اللغوية:

1- يسألونك: أي أهل مكة. [4]

2- عن الساعة: القيامة، وهو الوقت الذي ينتهي فيه العالم. ويموت أهل الأرض جميعاً عند النفخة الأولى للصور. وهذا اصطلاح شرعي، ويستعمل عادة بأل، فإذا ذكر بدون «أل» في القرآن فمعناه الساعة الزمانية، وهو لغة: جزء قليل غير معين من الزمن. وعند الفلكيين: جزء من أربع وعشرين جزءا متساوية من اليوم. [5]

3- أيان مرساها: متى زمن إرسائها واستقرارها وحصولها، ومنه: إرساء السفينة أي إيقافها بالمرساة التي تلقى في البحر، فتمنعها من الجريان. [6]

4- لا يجليها: لا يظهرها ولا يكشفها. لوقتها اللام بمعني في، أي في وقتها، كما يقال: كتبت هذا لغرة المحرم أي في غرته. [7] وقيل: لا يجلي نفس الطبع من الهوى إلى طاعته، إلا هو[8].

---

[1] -انظر: التفسير المنير للزحيلي (191/9).

[2]- تفسير الطبري (292/13).

[3] انظر: التفسير المنير للزحيلي (190/9).

[4]- انظر: التفسير المنير للزحيلي (189/9).

[5]- انظر: تفسير الرازي (423/15).

[6] -انظر: تفسير العز بن عبد السلام (516/1)،

[7]- انظر: التفسير المنير للزحيلي (190/9).

[8]- انظر: تفسير التستري (70).

خامساً : البلاغة:

1- في التعبير بالإرساء الدال على الاستقرار إشارة إلى أن قيام الساعة إنهاء لحركة العالم، وانقضاء عمر الأرض. [1]، والتعبير عن مجيئها بمرساها، إشارة إلى أنها غائب ينتظر مجيئه، حيث لا يدرى أحد متى تطلع، وتبلغ الغاية التي تصل إليها، وتلقى مراسيها عندها[2].

2- وتكرار هذا الجواب: علمها عند الله بعد تكرار السؤال مبالغة في التأكيد، بل ليس هذا تكريراً ولكن أحد العلمين لوقوعها، وهو الجواب الأول، والآخر لكنهها، وهو الجواب الثاني.

3- والتعبير (بإنما) المفيد للحصر للإشعار بأنه- سبحانه- هو الذي استأثر بعلم ذلك ولم يخبر أحدا به من ملك مقرب أو نبي مرسل.[3]

4- وفي التعبير بقوله: (عند ربي) إشارة إلى أن ما هو شأن الرب لا يكون للمخلوق، وأن مهمة النبي الإنذار بوقوعها، لا بتحديد زمنها، حتى لا يضطرب شأن العالم، فلو علمت لاضطرب الناس واختل العمران. [4]

5- وقوله لا يجليها لوقتها إلا هو بيان لاستمرار إخفائها إلى حين قيامها وإقناط كلي عن إظهار أمرها بطريق الإخبار. [5]

6- وذكر الساعة أولا، والاستفهام عن زمن وقوعها ثانيا على قاعدة تقديم الأهم، وهو المقصود بالذات. [6]

7- ومن اللطائف : الإجابة على السؤال بما هو أهم من الإجابة وأدعى بمعرفته والتنبيه إلى الاهتمام بما هو أهم وما تكون فيه المصلحة العليا وما يعود بالنفع .

---

[1]- انظر: انظر: تفسير المنار لمحمد رضا (388/9).

[2]- انظر: التفسير القرآني للقرآن (531/5).

[3]- انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (448/5).

[4]- انظر: التفسير المنير للزحيلي (192/9).

[5] -انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (448/5).

[6] -انظر: تفسير المنار لمحمد رضا (388/9)

سادساً : المعنى العام:

يسألونك يا محمد عن وقت الساعة، متى يكون؟ ومتى يحصل ويستقر؟ كما قال تعالى:﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأحزاب : 63] .[1] قل لهم: إن علم الساعة مقصور على الله وحده، فلا يطلع عليه أحد من الخلق، فإنه هو الذي يعلم جلية أمرها، ومتى يكون على التحديد، ولا يظهرها في وقتها المحدود إلا الله، ولا يعلم بها أحد حتى ولو كان ملكا مقربا أو نبياً مرسلا، كما قال تعالى:﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت : 47]، وقال سبحانه:﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان : 34] . فكل من الساعة العامة (القيامة)، والساعة الخاصة (أجل الإنسان) من الغيبيات التي اختص الله بعلمها، لتكون فترة الاختبار صحيحة وعامة غير متأثرة بدافع العلم بها أو بقصد النفعية، ولا مختصة بزمن معين يطلع عليه الخلق، ولتبقى رهبتها مهيمنة على النفوس.[2]

والسائل عن الساعة رجلان: منكر يتعجب لفرط جهله، وعارف مشتاق يستعجل لفرط شوقه، والمتحقق بوجوده ساكن في حاله فسيان عنده قيام القيامة ودوام السلامة. وقد استأثر الحق سبحانه بعلم الساعة فلم يطلع على وقتها نبياً ولا صفيا، فالإيمان بها غيبي، ويقين أهل التوحيد صادق عن شوائب الريب. ثم معجل قيامتهم يوجب الإيمان بمؤجلها.[3]

ويستخلص: أن تفرد الله عز وجل بأجل الساعة ووقت حدوثها هيمنة الله ﷻ على هذا الكون وعظمته وقوته وجبروته وأن بيده مكامن القوة وجريان الأمور تحت سيطرته وإرادته، وفيه سياسة الابتلاء لخلقه والتصديق بكلامه والتسليم لأمره وما يحيد عن ذلك إلا مضل كافر مشكك.

---

[1] –انظر: التفسير المنير للزحيلي (191/9).

[2]– انظر: تفسير الطبري (291/13 – 294)، أيسر التفاسير للجزائري (271/2).

[3] –انظر: تفسير القشيري (594/1)، تفسير الماتريدي (106/5).

سابعاً : ما يستفاد من الآية:

دلت الآية على أحكام عديدة مستنبطة من كل جملة فيها، وهي ما يأتي:

1- لا يعلم وقت قيام الساعة، ولا مقدار شدتها ومهابتها، ولا يعرف كنهها وحقيقتها إلا الله عز وجل، لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان : 34] وهي محققة المجيء والحدوث لقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾[غافر : 59]، وقريبة الوقوع لقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه : 15]، وتقع كلمح البصر أو أقرب لقوله سبحانه:﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل : 77] . وعبر بلفظ ربي للتنبيه على أن الساعة من شؤون ربوبيته. [1]

2- أن سؤال المشركين عن الساعة كان بقصد التهكم والسخرية والتحدي، فهم لا يؤمنون بالساعة، ولا يصدقون بمجيئها، ولكن لشدة عنادهم كانوا يقولون: إن كنت صادقا في أن الساعة حق، فلتأتنا بها.[2]

3- أن الإيمان باليوم الآخر لما كان امتدادا للإيمان بالله وأسمائه فإن النفس البشرية تتطلع إلى معرفة ميقاته، وتتطلع إلى الساعة المؤذنة به، وقد يسعى البعض إلى رسول الله ﷺ يحاول عن طريقه اكتشاف ذلك المجهول الغائب! فنزل الوحي رافضاً لهذه المحاولات وكاشفاً أن علم الساعة لله وحده، أما نحن فساعتنا تبدأ من حين الوفاة، عندئذ ننتقل إلى العالم الآخر، ونعرف أن الحياة الدنيا وهم كبير.[3]

4- ويستفاد: الحكمة التشريعية في كون وقت الساعة مكتوما عن الخلق: هو حمل المكلفين على المسارعة إلى التوبة، وأداء الواجبات، وسداد الحقوق إلى أصحابها.

---

[1]- انظر: التفسير المنهجي، لمجموعة من المؤلفين (189/3)، التفسير المنير للزحيلي (194/9).

[2]- انظر: التفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية (219/3).

[3]- انظر: نحو تفسير موضوعي لمحمد الغزالي (123).

المطلب الثاني: أشراط الساعة مقدمات لوقوعها.

﴿... ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ...﴾ [**الأعراف** : 187]

أولاً : تمهيد:

لما خفي علم الساعة على أهل السموات والأرض كانت ثقيلة، لأن كل مخفي علمه ثقيل على القلوب.

وقيل: المعنى لا تطيقها السموات والأرض لعظمها، لأن السماء تنشق والنجوم تتناثر والبحار تنضب، وقد قضى الله سبحانه ألا تأتي الساعة إلا فجأة على غفلة.[1]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- ثَقُلَتْ عظمت، وخفيت.[2]
- بَغْتَةً فجأة على غفلة، من غير توقّع ولا انتظار. [3]

ثالثاً : المعنى العام:

اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية، فقال بعضهم: معنى ذلك: ثقلت الساعة على أهل السموات والأرض أن يعرفوا وقتها ومجيئها، لخفائها عنهم، واستئثار الله بعلمها. وقال آخرون: معنى ذلك: أنها كبرت عند مجيئها على أهل السموات والأرض.[4]

قال الباحث: وأولى ذلك بالصواب –عندي– قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها، أن يعرفوا وقتها وقيامها؛ لأن الله أخفى ذلك عن خلقه، فلم يطلع عليه منهم أحدا. وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله:﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة، فالذي هو أولى: أن يكون ما بين ذلك أيضا خبراً عن خفاء علمها عن الخلق، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك.

رابعاً : ما يستفاد من الآية

1- إنّ يوم السّاعة عظيم الثّقل على القلوب، بسبب أنّ الخلق يصيرون بعدها إلى البعث والحساب والسؤال، ولكون الخوف من الله في ذلك اليوم شديدا على الخلائق[5]، وثقل الساعة على السموات والأرض يشير إليه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[الرعد : 48] وقوله سبحانه:﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: 1-4] ،

---

[1]- انظر: التفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية (215/3).

[2]- انظر: الصحيح المسبور لحكمت ياسين (369/2).

[3]- انظر: التفسير المنير للزحيلي (190/9).

[4]- تفسير الطبري (13/ 295).

[5]- التفسير المنير للزحيلي (194/9-195)

ففي هذا اليوم تتغير معالم الوجود السماوي والأرضي، لما يقع فيه من أهوال، فكيف يستعجلون هذا الهول، وينادون به أن يطلع عليهم؟ ..ألا ما أشد جهلهم وغباءهم .. أما المؤمنون، فإنهم مع إيمانهم بالله واستعدادهم للقائه مشفقون من لقاء هذا اليوم العظيم، كما يقول سبحانه وتعالى:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾[الشورى : 18].[1]

2- لا تجيء الساعة إلا بغتة فجأة، على حين غفلة من الخلق، فعن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ قال: (تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة، فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب، فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلط في حوضه، فما يصدر حتى تقوم)[2]، وسمّيت القيامة بالسّاعة لوقوعها بغتة، أو لأن حساب الخلق يقضى فيها في ساعة واحدة، أو لأنها على طولها كساعة واحدة عند الخلق.[3]

- **للسّاعة أشراط أو علامات ثلاث:**

- ما وقع بالفعل منذ زمان مثل قتال اليهود وفتح بيت المقدس والقسطنطينية.
- ما حدث بعضه ويتوالى ظهوره مثل كثرة الفتن، وكثرة الدّجالين، وكثرة الزّنا، وكثرة النّساء وتشبههن بالرّجال، والمجاهرة بالكفر والإلحاد والشرك.
- ما سيقع قبيل قيام الساعة من علامات صغرى وكبري، مثل أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشّاء يتطاولون في البنيان، ومثل طلوع الشّمس من مغربها. [4]

---

[1]- التفسير القرآني للقرآن (532/5)

[2]- صحيح مسلم (2270/4 /2954)، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ قُرْبِ السَّاعَةِ.

[3]- الصحيح المسبور لحكمت ياسين (369/2)،

[4] -انظر : التفسير المنير للزحيلي (195/9).

المطلب الثالث: لا يعلم الغيب إلا الله.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام 187]

أولاً : تمهيد:

قل، يا محمد، لسائليك عن وقت الساعة وحين مجيئها: لا علم لي بذلك، ولا علم به إلا عند الله الذي يعلم غيب السموات والأرض.[1]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- حفي عنها: عالم بها أو مبالغ في السؤال عنها، من حفي عن الشيء: إذا سأل عنه، فإن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه، استحكم علمه به، ولذلك عدي بعن. والحفي: المستقصي في السؤال عن الشيء المعتني بأمره، والإحفاء: الاستقصاء، ومنه: إحفاء الشارب. وحفي عن الشيء: إذا بحث للتعرف عن حاله.[2]

ثالثاً : البلاغة:

- كأنك حفي عنها: تشبيه مرسل مجمل، لذكر أداة التشبيه وهي الكاف، وحذف وجه الشبه.[3]
- كرر (يسألونك، وإنما علمها عند الله) للتأكيد، ولما جاء به من زيادة قوله (كأنك حفي عنها)، وعلى هذا تكرير العلماء والحذاق، وفي هذا النوع من التكرير نكتة لا تلقى إلا في الكتاب العزيز، وهو أجل من أن يشارك فيها. وذاك أن المعهود في أمثال هذا التكرار أن الكلام إذا بني على مقصد واعترض في أثنائه عارض فأريد الرجوع لتتميم المقصد الأول وقد بَعُد عهده، طرى بذكر المقصد الأول لتتصل نهايته ببدايته.[4]
- أجاب عن الأول بقوله: إنما علمها عند ربي، وأجاب عن الثاني بقوله: إنما علمها عند الله والفرق بين الصورتين أن السؤال الأول كان واقعا عن وقت قيام الساعة. والسؤال الثاني كان واقعا عن مقدار شدتها ومهابتها، وأعظم أسماء الله مهابة وعظمة هو قوله عند السؤال عن مقدار شدة القيامة الاسم الدال على غاية المهابة.[5]
- عبر هنا بلفظ الجلالة الله إشارة إلى استئثار الله بعلمها لذاته، كما عبر هناك بلفظ ربي للتنبيه على أن الساعة من شؤون ربوبيته. [6]

---

[1] –تفسير الطبري (301/13).

[2] –تفسير التستري (70)، الصحيح المسبور لحكمت ياسين (369/2).

[3] –انظر : التفسير المنير للزحيلي (189/9).

[4] –انظر : التفسير الوسيط لطنطاوي (449/5).

[5]– انظر : تفسير الرازي (425/15)، التفسير القرآني للقرآن (533/5).

[6] –انظر: التفسير المنير للزحيلي (193/9).

رابعاً : المناسبة:

- لما كان المشركون يطلبون من الرسول أن يخبرهم عن بعض أمور غيبية، ويربطون بين تصديقه في دعوى الرسالة وإخباره لهم عن الغيب، جاءت الآيات تأمره أن يعلن أنه لا علم له بذلك، وأن الله اختص بعلمها.

خامساً : المعنى العام:

- اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (حفي عنها) فقال بعضهم: يسألونك عنها كأنك حفي بهم. وقالوا: معنى قوله: "عنها" التقديم، وإن كان مؤخرا. وقال آخرون: بل معنى ذلك: كأنك قد استحفيت المسألة عنها فعلمتها.

ويرى الباحث أن أولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: كأنك حفي بالمسألة عنها فتعلمها.

فإن قال قائل: وكيف قيل: حفي عنها، ولم يقل: "حفي بها"، إن كان ذلك تأويل الكلام؟ قيل: إن ذلك قيل كذلك، لأن الحفاوة إنما تكون في المسألة، وهي البشاشة للمسئول عند المسألة، والإكثار من السؤال عنه، والسؤال يوصل ب "عن" مرة، وب "الباء" مرة. فيقال: "سألت عنه"، و"سألت به". فلما وضع قوله: "حفي" موضع السؤال، وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما "السؤال"، وهو "عن".[1]

سادساً : ما يستفاد من الآية:

- يستفاد: أن النبي ﷺ لم يكن عالماً بالساعة ولا كثير السؤال عنها.
- علم الساعة من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه.[2]

المطلب الرابع: طلب النفع والضر من مالكه.

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ ...﴾ [الأعراف : 188)

أولاً : تمهيد:

أمر الله نبيه ﷺ بتصريح الإقرار بالتبري عن حوله ومنته، وأن قيامه وأمره ونظامه بطول ربه ومنته ولذلك تتجنس على الأحوال، وتختلف الأطوار فمن عسر يمسني، ومن يسر يخصني، ولو كان الأمر بمرادي، ولم يكن بيد غيري قيادي لتشابهت أحوالي في اليسر، ولتشاكلت أوقاتي في البعد من العسر.[3]

---

[1]– انظر: تفسير الطبري (297/13 – 300)، تفسير الرازي (424/15).

[2]– انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (1/ 59)

[3]–انظر: تفسير القشيري (594/1)،

ثانياً : المفردات اللغوية:

- الْغَيْبَ: هو ما غاب عنّا، وهو إما حقيقي: لا يعلمه أحد إلا الله، وإما إضافي نسبي يعلمه بعض الخلق بتعليم الله كالأنبياء والرّسل.[1]
- الْخَيْر: ما يرغب الناس فيه عادة من المنافع المادية كالمال، والمعنوية كالعلم. السُّوءُ ما يرغب عنه الناس لضرره كالفقر وغيره. [2]

ثالثاً : سبب النزول:

روي أن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربّك بالرّخص والغلاء حتى نشتري فنربح، وبالأرض التي تجدب لنرتحل إلى الأرض الخصبة، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[3]

رابعاً : المناسبة:

بعد أن أخبر الله تعالى عن أنّ وقت الساعة (القيامة) لا يعلمه إلا الله وحده، أمر رسوله ﷺ أن يبيّن للناس أنه لا يدّعي علم الغيب، إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ وبشير، كما قال تعالى في سورة يونس: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [يونس : 48-49].[4]

خامساً : المعنى العام:

أمر الله تعالى رسوله أن يفوّض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه، كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[الجن : 26-27].

يقول ﷻ: قل أيها الرّسول للناس: إنّي لا أملك لنفسي ولا لغيري جلب أي نفع، ولا أستطيع دفع ضرر عنّي ولا عن غيري، إلا بمشيئة الله وقدرته، فيلهمني إيّاه ويوفّقني له،﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأنفال : 188] كالمال ونحوه من المنافع، ولاجتنبت ما يكون من الشّرّ قبل أن يكون، وتوقيت المضارّ قبل أن تقع.[5]

---

[1]- التفسير المنير للزحيلي (196/9)

[2]- تفسير مقاتل بن سليمان (79/2)

[3]- تفسير الرازي (425/15)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (411/1).

[4]- تفسير الرازي (425/15 - 426)، التفسير المنير للزحيلي (196/9).

[5] - انظر : تفسير الطبري (301/13 - 302)، (185/2)، تفسير العز بن عبد السلام (517/1)، تفسير التستري (70)، تفسير الزمخشري، التفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية (216/3).

سادساً : ما يستفاد من الآية:

1- هذه آية من أصول العقيدة والدين، بينت حقيقة الرسالة، وميزتها عن الربوبية، وهدمت قواعد الشرك والوثنية، فما الرسول إلا بشر ليس له شيء من صفات الله وأفعاله، ولا سلطان له بالتأثير في الأشياء، لا نفعاً ولا ضرا، ولا خيراً ولا شرا، ولا إيماناً ولا كفرا، وليس أدل على الإقناع بعدم علم الرسول بالغيب من أنه لو كان عالماً بالغيب، لحقق لنفسه منافع الدنيا وخيراتها، من مال ومجد، وعظمة دولة، ونصر حربي، وتفوق دائم، وأرباح ومكاسب كثيرة، ولدفع عن نفسه آفات الدنيا ومضارها، كالفقر والمرض والجرح والهزيمة ونحوها من ألوان السوء والشر، ولحذر من مكر الأعداء ومكائدهم.[1]

2- أي إنسان لو كان عالماً بالغيب لاستكثر من الخير، وتوقى من أن يصيبه شر أو مكروه، ولكن حكمه الله تعالى أن لا يطلع الناس على الغيب وإن رسول الله ﷺ على الرغم من منزلته الرفيعة عند الله تعالى لا يعلم الغيب.[2]

3- من خصائص الإسلام التوكيد على نبوة محمد وعبوديته، إنه ليس آلها ولا شبه آله ولا جزء إله، وكذلك سائر الملائكة والبشر، ومن زعم غير هذا فهو كذوب.[3]

4- المراد بالخير في هذه الآية الكريمة قيل: المال، ويدل على ذلك كثرة ورود الخير بمعنى المال في القرآن كقوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات : 8] وقوله ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾[البقرة : 180]وقوله ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة : 215]. إلى غير ذلك من الآيات.[4]

5- ويستفاد: أن النفع والضر بيد الله وليس على المرء المسلم إلا الرضا بأقدار الله عز وجل والتسليم المطلق والاعتقاد الجازم أن هناك حكمة لله بالغة في مجريات حياته وأن الإنسان أعجز من أن يملك لنفسه الضر والمنفعة.

المطلب الخامس: إقرار الغاية من إرسال الرسل.

﴿...إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : 188)

أولاً : تمهيد:

ما الرسول ﷺ إلا مبلغ عن الله لأحكامه أنذر بها قوما، وبشّر بها آخرين، ولا علم له بغيب الله سبحانه.[5]

---

[1] – انظر: التفسير المنير للزحيلي (198/9).

[2]–انظر: التفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية (219/3)

[3] – نحو تفسير موضوعي لمحمد الغزالي لسور القرآن الكريم (123)

[4]–انظر : الصحيح المسبور لحكمت ياسين (370/2).

[5]– انظر: التفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية (216/3)

ثانياً : المفردات اللغوية:

- الإنذار: التبليغ المقترن بالتخويف من العقاب على الكفر والمعاصي.[1]
- والتبشير: التبليغ المقترن بالترغيب في الثواب مع الإيمان والعمل الصالح.[2]
- إن أنا إلا نذير: مخوف بالنار لمن لا يصدق بما جئت به.[3]
- وبشير: بالجنة، لمن اتبعني وآمن بي.[4]
- لقوم يؤمنون: يصدقون بالبعث.[5]

ثالثاً : المناسبة:

لما بين الله تفرده بخصائص لا يشاركها فيها بشر ولو كان هذا البشر محمداً ﷺ فعند عتبة الغيب تقف الطاقة البشرية، ويقف العلم البشرى، وتقف القدرة البشرية، إذ علم الغيب إنما هو لله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ناسب بيان القرآن لوظيفة الرسول ﷺ في قوله ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾أي: ما أنا إلا عبد أرسلني الله نذيرا وبشيرا، وليس من مهمتي أو وظيفتي معرفة علم الغيب، وبهذا الإعلان من جانب الرسول ﷺ للناس عن وظيفته، تتم لعقيدة التوحيد الإسلامية كل خصائص التجريد المطلق من الشرك في أية صورة من صوره.[6]

رابعا : البلاغة :

وفى قوله تعالى: (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) إشارة إلى أن رسالة الرسول ﷺ إنما تؤثر أثرها، وتعطى ثمرتها لمن كان على استعداد للتعامل معها والإيمان بها، والانتفاع بالخير الذي تحمله بين يديها .. فكأن الرسول ﷺ- والأمر كذلك- رسول إلى هذا الصنف من الناس، الذين يسمعون، فيعقلون، فيؤمنون .. أما من سواهم من أهل السفاهة والضلال، فليس هو منهم في شيء، إذ كانت بضاعته كاسدة عندهم، لا يأخذون منها شيئا .. كالأعمى .. ضوء الشمس عنده كظلمة الليل .. فآية الشمس عنده آية غير عاملة .. ![7]

---

[1]- انظر: تفسير الرازي (426/15).

[2]- انظر: الوجيز للواحدي (425).

[3] - انظر:تفسير البغوي (311/3).

[4]- انظر: تفسير السمرقندي (573/1).

[5] - انظر:التفسير المنير للزحيلي (196/9).

[6]- التفسير الوسيط لطنطاوي (451/5).

[7] -التفسير القرآني للقرآن (536/5).

خامساً : المعنى العام:

يا قوم إنما أنا نذير بعواقب الشرك والمعاصي بشير بنتائج الإيمان والتوحيد والعمل الصالح كما قال تعالى: فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين، وتنذر به قوما لدا، فلست بإله أعلم الغيب، ووظيفتي هذه صراحة هي البشارة والنذارة ينتفع بها المؤمنون خاصة.[1]

سادساً : ما يستفاد من الآية:

1- وظيفة الرسالة تبليغ الوحي المنزل، والتعليم والإرشاد. [2]

2- النبي ﷺ وإن كان نذيراً وبشيراً للكل إلا أن المنتفع بتلك النذارة والبشارة هم المؤمنون.[3]

3- ويستفاد: إثبات الحجة على الناس يوم القيامة حتى لا يدعي مدعي أن الدين لم يصله ولم يكن هناك رسلٌ لتبليغه دين الله فثبتت عليهم الحجة على مر العصور والأزمنة بإرسال الله رسله وأنبياءه تترى ينتفع بإنذارهم وتبليغهم المؤمنون وتكون حجة بالغة على المعرضين والمكذبين.

---

[1]- تفسير الطبري (303/13)، أيسر التفاسير للجزائري (271/2).

[2] -التفسير المنير للزحيلي (197/9).

[3] - تفسير الرازي (426/15).

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثاني من الحزب الثامن عشر

سورة الأعراف الآيات (189 . 206)

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (189 . 193)

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (194 . 198)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (199 . 202)

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (203 . 206)

المبحث الأول : المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (189 . 193)

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : أصل خلق البشر آدم وحواء .

المطلب الثاني: الحكمة في كون الزوج من جنس الزوجة.

المطلب الثالث : الزواج أهميته والحث عليه.

المطلب الرابع : خداع إبليس وتضليله للإنسان .

المطلب الخامس : التنديد بالشرك والمشركين.

تمهيد:

موضوع الآيات عود على بدء، فقد بدئت السورة بالكلام عن التوحيد واتباع القرآن، ثم ختمت بالكلام عن التوحيد وعن القرآن، والتذكير بالنشأة الأولى، كما ذكر بها سابقا، لترسيخ العقيدة بوجود الله ووحدانيته، والامتناع عن الشرك، والعهد عن وسوسة الشيطان.

المطلب الأول : أصل خلق البشر آدم وحواء .

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفس وَاحِدَة... ﴾ [الأعراف : 189]

أولاً : المفردات اللغوية:

- من نفس واحدة: أي من آدم، أو من جنس واحد. [1]

ثانياً : المعنى العام:

الله هو الذي خلقكم في الأصل من نفس واحدة، قال جمهور المفسرين: المراد بالنفس الواحدة: آدم عليه السلام، ثم خلق منه زوجته حواء، ثم انتشر الناس منهما، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾[الحجرات : 13] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء : 1]، ورأى بعض المفسرين أن المعنى: خلقكم من جنس واحد وطبيعة واحدة، وجعل زوجه من جنسه، ليسكن إليها، ويطمئن بها، كما خلق من كل الأنواع زوجين اثنين، كما قال ﷻ :﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[الذاريات : 49]. [2]

ثالثاً : ما يستفاد من الآية:

1. في قوله: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) دلالة أن ليس لأحد من البشر على آخر فضل من جهة الخلقة والنسبة؛ إذ كلهم إنما خلقوا من نفس واحدة، وهم إخوة وأخوات، وإن كان لأحد فضل على آخر فإنما يكون لأعمال يكتسبها، وأخلاق محمودة ومحاسن يختارها وأما من جهة الخلقة فلا فضل لبعض على بعض؛ كقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات : 13].[3]
2. أخرج سبحانه وتعالى النسمة من نفس واحدة وأخلاقهم مختلفة، وهممهم متباينة، كما أن الشخص من نطفة واحدة وأعضاؤه وأجزاؤه مختلفة. فمن قدر على تنويع النطفة المتشاكلة أجزاؤها فهو القادر على تنويع أخلاق الخلق الذين أخرجهم من نفس واحدة.[4]

---

[1]- تفسير ابن أبي حاتم (1631/5).

[2] -انظر: تفسير الطبري (303/13)، و الكشف والبيان عن تفسير القرآن (314/4)، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2002م.

[3]- تفسير الماتريدي (114/5، 115)

[4]- تفسير القشيري (594/1)

3. ويستفاد: أن أصل خلق البشر من نفس واحده وهو آدم عليه السلام وأن الخلق تم بمشيئة الله وإرادته وبيده ثم تكاثر الخلق في الأرض.
4. ويستفاد: إثبات وجود فترة من الزمن مضت لم يكن فيها الإنسان قد خلق ووجد ثم كانت النشأة الأولى لحواء بخلق آدم عليه السلام.

المطلب الثاني: الحكمة في كون الزوج من جنس الزوجة.

﴿... وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا... ﴾[الأعراف : 189]

أولاً : المفردات اللغوية:

- وجعل منها زوجها: خلق زوجها حواء ليسكن إليها ليأنس بها ويطمئن إليها ويألفها.[1]

ثانياً : البلاغة:

1- ذكر في قوله: ليسكن، بعد ما أنث في قوله: واحدة؛ ذهاباً إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم. ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها، فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى.[2]

2- استعمل البيان القرآني لفظ (زوج) حيثما تحدث عن آدم وزوجته، فكلمة (زوج) تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف: حكمة وآية، أو تشريفاً وحكما، فإذا تعطلت آية الزوجية من السكن والمودة والرحمة بخيانة أو تباين في العقيدة أو بعقم أو ترمل، فامرأة لا زوج: كقوله تعالى: ﴿ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾[يوسف : 30]، وقوله تعالى: ﴿امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾[التحريم: 10]، وقوله تعالى:﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: 5].[3]

ثالثاً : المعنى العام:

قوله: ليسكن إليها أي ليأنس بها ويطمئن ويألفها، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[الروم : 21] وهذا التآلف قائم في أعماق كل من الرجل والمرأة، ففي عهد الشباب لا تسكن النفس إلا بالاقتران بزوج آخر، ولا نجد ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين، والجنس ميال بطبيعته إلى جنسه والتعاون على شؤون الحياة يحتاج إلى التزاوج، وبقاء النوع الإنساني مرهون بهذا الترابط بين الجنسين: الذكر والأنثى.[4]

---

[1]- تفسير الثعلبي (314/4).

[2] -الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (186/2)، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ.

[3] -انظر: الإعجاز البياني (230)، لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفاة: 1419هـ)، دار المعارف، الطبعة الثالثة، وألف سؤال وجواب في القرآن لقاسم عاشور(19).

[4] -انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (410/3)، تفسير الطبري (86/20)، التفسير المنير للزحيلي (201/9)، روائع البيان تفسير آيات الأحكام للصابوني (296/2)، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية لعلي صبح (248).

رابعاً : ما يستفاد من الآية:

1. ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر،لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس، وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ، كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه.[1]
2. قوله جل ذكره: ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾، فيه رد المثل إلى المثل، وربط الشكل بالشكل، ليعلم العالمون أن سكون الخلق مع الحق لا إلى الحق، وكذلك أنسل الخلق من الخلق لا من الحق، فالحق تعالى قدوس، منزه عن رجوع شيء إلى حقيقته حقا.[2]
3. أشارت الآية الكريمة إلى أن الزواج هو أحسن وضع طبيعي، وأنسب مجال حيوي لإرواء الغريزة وإشباعها، فيهدأ البدن من الاضطراب، وتسكن النفس من الصراع، ويكف النظر عن التطلع إلى الحرام، وتطمئن العاطفة إلى ما أحل الله.[3]
4. ويستفاد: أن الزوجة هي السكن للزوج ومكان استقراره وأنسه وأن الله زودها بخصائص للتعايش والقدرة على التحمل وأصل هذه الخصائص عند الرجل كونها جزء منه وبذلك يكون على الزوجين تنمية هذه الخصال والاهتمام بها وأن أي أمر منفر خلاف ذلك فهو طارئ مكتسب دخيل يجب مقاومته ومحاربته لتعود الأمور إلى نصابها وهذا مسئولية كلا الطرفين ولا يتحمله طرف دون طرف.

المطلب الثالث: الزواج أهميته، والحث عليه.

﴿... فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[الأعراف : 189]

أولاً : المفردات اللغوية:

- تغشاها: جامعها، مثل غشيها.[4]
- حملت: علقت منه حملا خفيفا هو النطفة، والحمل بفتح الحاء: ما كان في بطن أو على شجرة، وبالكسر: ما كان على ظهر.[5]
- فمرت به: استمرت حاملة له إلى وقت ميلاده.[6]
- فلما أثقلت: صار الحمل ثقيلا وقرب وضعها .[7]
- صالحا: أي ولداً أو نسلاً صالحاً أي سوياً سليماً في الجسم والفطرة.[1]

---

[1]- تفسير الزمخشري (186/2)

[2] -تفسير القشيري (595/1)

[3]- ألف سؤال وجواب في القرآن لقاسم عاشور (128)

[4] -تفسير السمرقندي (574/1)

[5] -مجاز القرآن(236/1)، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: 209هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة 1381 هـ، وتفسير ابن أبي حاتم (1631/5).

[6] -انظر: تفسير مجاهد (348)، مجاز القرآن لمعمر بن المثنى (236/1)، غريب القرآن لابن قتيبة(151).

[7] -معاني القرآن وإعرابه للزجاج (395/2)

ثانياً : البلاغة:

– فلما تغشاها: كناية عن الجماع أحسن كناية.[2]

ثالثاً : المعنى العام:

ذكر الله تعالى ثمرة هذا التزاوج بين الرجل والمرأة فقال: (فَلَمَّا تَغَشَّٰىهَا) وهو كناية عن الوقاع، أي فلما حدث الوطء أو الوقاع أو الجماع بين الجنسين، بدأ تكون الجنين، وحدث الحمل الخفيف، وهو أول الحمل الذي لا تجد فيه المرأة ثقلا ولا ألما، إنما هي النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ويرتفع الحيض عادة ببدء الحمل، وتستمر المرأة في متابعة أعمالها المعتادة دون مشقة، وهذا هو المراد من قوله: فمرت به أي استمرت بذلك الحمل الخفيف.[3]

فلما أثقلت المرأة الحامل أي صارت ذات ثقل بحملها بسبب كبر الولد في بطنها، وحان وقت الوضع، دعوا الله ربهما، أي دعا الزوجان وهما آدم وحواء مقسمين: لئن آتيتنا ولدا صالحا، أي بشرا سويا، تام الخلق، سليم الفطرة، لنكونن لك من الشاكرين نعمتك، المشتغلين بشكر تلك النعمة.[4]

رابعاً : ما يستفاد من الآية:

1. ينتقل القرآن من تربية الفرد إلى بناء الأسرة، لأنها نواة المجتمع، فشرع الزواج استجابة لغريزة الجنس، وإبقاء على النوع الإنساني في تناسل طاهر ونظيف، وأقام الروابط بينهما على أساس من الود والرحمة، ومراعاة خصائص كل من الرجل والمرأة: قال تعالى :﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[الروم : 21].[5]
2. رغّب الإسلام في الزواج، ودلّ على ذلك آيات قرآنية كريمة، منها قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء : 1]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل : 72] .[6]
5. من رحمة الله تعالى بالأم أن جعل خلق الجنين واكتمال الحمل على مراحل متدرجة من الأخف إلى الأثقل، كيلا تشعر بالثقل المفاجئ، ولتظل قائمة بأعمالها المعتادة دون إرهاق.[7]

---

[1]– غريب القرآن لابن قتيبة (151).

[2] – معاني القرآن وإعرابه (395/2)، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ – 1988م.

[3]– انظر: الجامع لأحكام القرآن (337/7)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ – 1964م، وفتح القدير للشوكاني (312/2)، وفتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (97/5).

[4] –تفسير النسفي(624/1)، تفسير الخازن(280/2)

[5]– الواضح في علوم القرآن للبغا ومستو (159)

[6]– ألف سؤال وجواب في القرآن(125)، لقاسم عاشو، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى،1422 هـ–2001م.

[7] –انظر: التفسير القرآني للقرآن للخطيب (538/5)، التفسير الوسيط لطنطاوي (453/5)، التفسير الوسيط للزحيلي (762/1).

6. يفهم من ظاهر قوله تعالى:﴿ دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾: أن الحمل مرض من الأمراض، ولأجل عظم الأمر جعل موتها شهادة، كما ورد في حديث تعداد الشهداء قال النبيﷺ: (الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة)[1] أي تموت وفي بطنها ولد، فيكون حال الحامل في رأي الإمام مالك حال المريض في أفعاله بعد مضي ستة أشهر من الحمل، أي المريض مرض الموت، وهو الذي لا تنفذ تبرعاته من هبة ومحاباة في بيع إلا في ثلث ماله. وقال الأئمة الثلاثة: إنما يكون ذلك في الحامل بحال الطلق، فأما قبل ذلك فلا لأن الحمل عادة، والغالب فيه السلامة. ورد المالكية بقولهم: كذلك أكثر الأمراض غالبة السلامة، وقد يموت من لم يمرض. ويعد الزاحف في الصف للقتال والمحبوس للقتل في قصاص بمنزلة الحامل والمريض المخوف عليه، ما كان بتلك الحال، في رأي الإمام مالك، فلا يتبرع إلا في الثلث.[2]
7. نعمة الولد من أجل النعم، وفي الحديث (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ)[3].[4]
8. ويستفاد: الحث على الزواج وتعدده منية الولد وإكثار النسل لما في ذلك من زيادة الأجر بأجرهم حال صلاحهم.
9. ويستفاد: ما يجلبه الولد الصالح لأهله ونفسه وللمجتمع وأن صلاحه يعم بخلاف الولد الطالح وما يترك من سوء أثره على نفسه وأهله والمجتمع بأسره.

المطلب الرابع : خداع إبليس، وإيقاعه ابن آدم في الشرك.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [الأعراف : 190]

أولاً : البلاغة:

– شركاء: أخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة لعدم قصد واحد بعينه وتسميته، وهذه هي عادة العرب، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران : 173] ، وإنما كان القائل ذلك واحدًا.[5]

---

[1]– انظر : مسند أحمد (39/ 163).

[2] – انظر : تفسير القرطبي (339/7، 340)، أحكام القرآن لابن العربي (356/2)،

[3] – انظر : سنن الترمذي (3/ 652).

[4]–انظر : البحر المحيط لابن حيان(246/5).

[5]– انظر: تفسير الطبري (316/13)، تفسير الثعلبي (316/4)، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب(2675/4).

ثانياً : المعنى العام:

لما آتى الله الزوجين ما طلبا، ورزقهما ولدا صالحا سويا كامل الخلقة، جعل الزوجان لله شركاء أي شريكا فيما آتاهما وأعطاهما، فتعالى أي تعاظم وتنزه الله عما يشركون وينسبون له من الولد والشريك.[1]

ذكر بعض المفسرين أن المراد آدم وحواء، بالاعتماد على حديث ضعيف في الترمذي وغيره[2]، وهو ما رواه سمرة عن النبي ﷺ قال: "لما ولدت حواء، طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث– وكان اسم إبليس حارثا بين الملائكة– فإنه يعيش، فسمته، فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره"[3].

وتؤيده روايات إسرائيلية كثيرة لا ثبات لها، فلا يعول عليها[4]، وأمثال ذلك لا يليق بالأنبياء.

والواقع على افتراض أن المراد بالنفس الواحدة: آدم أن نسبة هذا الجملة إلى آدم وحواء يراد به بعض أولادهما، قال الحسن البصري[5]: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادا، فهودوا ونصروا .[6]

ويؤيد الباحث هذا التأويل عن الحسن رضي الله عنه، ويراه من أحس التفاسير، وأولى ما حملت عليه الآية، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله: فتعالى الله عما يشركون، أي بصيغة الجمع. فذكر آدم وحواء أولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين.

---

[1]– تفسير القرآن العزيز (159/2)، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة الطبعة الأولى، 1423هـ – 2002م.

[2] –الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم عرض ودراسة (591)، للدكتور أحمد بن عبد العزيز بن مُقْرِن القُصَيِّر، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، 1430 هـ.

[3]– انظر: تفسير الطبري (620/10)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (395/2)، تفسير ابن أبي حاتم (1633/5)، تفسير السمعاني (239/2)، الدر المنثور للسيوطي(624/3)، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي (455/3).

[4]– تفسير ابن جزي (316/1).

[5] هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، السيد الإمام، أبو سعيد البصري، إمام زمانه علما وعملا، ومناقبه جليلة وأخباره طويلة، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر –رضي الله عنه– وذلك سنة إحدى وعشرين وتوفي سنة عشر ومائة. انظر: (غاية النهاية في طبقات القراء 1/ 235).

[6]– انظر: تفسير الطبري (309/13)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (395/2)، وتفسير ابن أبي حاتم (1634/5)، وتفسير الماتريدي (112/5)، والوجيز للواحدي (426)، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي، بيروت الأولى، 1420 هـ، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن (258/2)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (486/2)، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ.

ثالثاً : ما يستفاد من الآية:

1. لو كانت القصة في حق آدم، فيكون للعرب بها تعلق واقتداء، فيقولون: إنه أشرك، ونحن نشرك، فدل أنه ليس على ما قالوا، ولكن على الوجه الذي ذكرناه، وكيف تصح في حق آدم عليه السلام، مع نبوته وعلمه الكثير الذي حصل من قوله:﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة : 31]، وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلة التي وقع فيها لأجل وسوسة إبليس.[1]
2. على المسلم أن يواجهه البلاء بالدعاء والتضرع في الخير والشر ولكن شر الناس من يبتهل إلى الله عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء، وشدة التضرع والبكاء، فإذا أزيلت شكاته، ودفعت بمنته آفاته ضيع الوفاء، ونسى البلاء، وقابل الرفد بنقض العهد، وأبدل العقد برفض الود، أولئك الذين أبعدهم الله في سابق الحكم، وخرطهم في سلك أهل الرد.[2]
3. ويستفاد: أن الإنجاب والعقم بيد الله يهب ويمنع كما يشاء والزواج لزوم توفر ذلك.

المطلب الخامس : التنديد بالشرك والمشركين.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٢ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف : 191-193]

أولاً : المفردات اللغوية:

- وهم يخلقون: أجريت الأصنام مجرى العقلاء أولي العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة. والمعنى: أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون.[3]

ثانيا : البلاغة:

- (أيشركون) الاستفهام إنكاري لإنكار الواقع بمعنى التوبيخ، أي أتشركون بالله في العبادة ما لا يخلق شيئا وهو ذاته مخلوق، وذكر شركهم ولم يذكر من يشاركونه، وهو الله، تساميا لاسم الله تعالى عن أن يذكر مقارنا بالأوثان.[4]
- (أيشركون ما) ، فأخرج ذكرهم ب "ما" لا ب "من" مخرج الخبر عن غير بني آدم، لأن الذي كانوا يعبدونه إنما كان حجرًا أو خشبًا أو نحاسًا، أو بعض الأشياء التي يخبر عنها ب "ما" لا ب "من"، فقيل لذلك: "ما"، ثم قيل: "وهم"، فأخرجت كنايتهم مُخْرَج كناية بني آدم، لأن الخبر عنها بتعظيم المشركين إياها، نظير الخبر عن تعظيم الناس بعضهم بعضًا.[5]

---

[1]- تفسير الماتريدي (114/5)، تفسير الرازي (427/15).

[2]- تفسير القشيري (595/1)

[3] -تفسير الزمخشري (188/2)، تفسير السمعاني (240/2).

[4]- زهرة التفاسير لأبي زهرة لأبي زهرة (3032/6).

[5]- انظر: تفسير الطبري (319/13)، زاد المسير لابن الجوزي (178/2)، تفسير النسفي(625/1)

- (يخلق، يخلقون) وحد بحسب ظاهر اللفظ، وجمع باعتبار المعنى، والتعبير بفعل المضارع " يخلقون " لتصوير حدوث خلقهم، وكون مثله مما يتجددون فيهم وفي أمثالهم من المشركين، وهذا أسوأ فضائحهم في الشرك.[1]
- (أدعوتموهم) جملة فعلية: وقوله: (أم أنتم صامتون) جملة اسمية. وثبت أن عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يجوز إلا لفائدة وحكمة، وتلك الفائدة هي كون إحداث الدعاء واستصحاب الحال الثابتة قبله واستمرارها سواء، وهي تصديق بنفي شعورهم بالحاجة إلى دعائهم، وعدم خطورهم بالبال عند الشدائد.[2]
- (صامتون) لم يقل: صمتم، أو تصمتون ؛ لأن إشراكهم بهم كان قد وهن بحيث لم يكونوا يدعونهم عند الاضطرار وكوارث الخطوب بل يدعون الله وحده، وإنما كانوا يتحدثون بتقاليدهم الوثنية فيهم والرجاء بشفاعتهم.[3]

ثالثاً : المعنى العام:

فند الله تعالى آراء المشركين، ونقض الشرك من جذوره، فقال: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْءا ﴾ [الأعراف : 191]،[4] أي أيشركون بالله شيئا لا يستطيع إطلاقاً خلق أي شيء؟ أو أيشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئا، ولا يستطيع ذلك؟ وإنما الله هو الخالق لهم ولأولادهم ولكل مخلوق، كما قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج : 73]. وهذه الأصنام مخلوقة مصنوعة، كما قال تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُ شَيْءا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف : 191]،[5] أي وهم لا يستطيعون لعابديهم تحقيق أي معونة أو نصر، بل إنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم على من يعتدي عليهم بإهانة أو سب أو أخذ شيء مما عندهم من طيب أو حلي، فلا نصر لأنفسهم ممن أرادهم بسوء. وقال: يخلقون لأنهم اعتقدوا أن الأصنام تضر وتنفع، فأجريت مجرى الناس.[6]

---

[1]– السراج المنير للشربيني (545/1)، تفسير المنار لمحمد رضا (438/9)

[2]– انظر: تفسير الرازي (431/15)، تفسير ابن جزي (316/1)، تفسير النيسابوري (361/3)

[3]– تفسير المنار لمحمد رضا (438/9).

[4]– انظر: تفسير ابن جزي (316/1)، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (104/5)، تفسير المراغي(142/9)

[5]– انظر: تفسير ابن جزي (316/1)، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (104/5)، تفسير المراغي(142/9)

[6] –انظر: تفسير ابن كثير (530/3)، ومحاسن التأويل (237/5)، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ، وتفسير المنار لمحمد رضا (438/9).

فهذا كله إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان، وهي مخلوقة لله، مربوبة، مصنوعة لا تملك شيئا من الأمر، ولا تضر ولا تنفع، ولا تسمع ولا تبصر، ولا تنتصر لعابديها، بل هي جماد لا تتحرك، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم.[1]

ثم ذكر الله تعالى أن هذه الأصنام لا تصلح تبعاً فضلاً عن أن تكون متبوعة، فقال: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى...﴾[الأعراف : 193] أي وإن تدعوا هذه الأصنام إلى ما هو هدى ورشاد، أو إلى أن يهدوكم إلى ما تريدون تحقيقه، لا يستجيبون لكم ولا ينفعونكم، فهم في الحالين عديمو النفع، فإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى، لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبكم، ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف : 194].[2]

سواء لديكم دعاؤكم إياهم، أو سكوتكم عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم، ولا خير يرتجى منهم، إذ هم لا يفهمون الدعاء، ولا يسمعون الأصوات، ولا يعقلون الكلام، ومثل من كانت هذه صفته، لا يصلح رباً معبودا، وإنما الرب المعبود هو السميع البصير، العليم الخبير، الناصر القادر، النافع من يعبده، الضار من يعصيه، الهادي إلى الرشاد، المنقذ من الردى، المجيب للمضطر إذا دعاه.[3]

وعبر بالجملة الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار: أم أنتم صامتون بدلاً عن الجملة الفعلية المشعرة بالتجدد المتكرر: «أم صمتم» لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر، دعوا الله دون أصنامهم، كقوله:﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ [الروم : 33] فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقيل لهم: إن دعوتموهم، لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم، وبين ما أنتم عليه من الاستمرار على سكوتكم ومن عادة صمتكم عن دعائهم. أي فلا فرق بين تجديد دعاء الأصنام بفعل متجدد وبين الاستمرار والثبات على حال الصمت وعدم دعائها، وبذلك صلح عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية الذي لا يجوز إلا لفائدة وحكمة.[4]

---

[1]– انظر: الصحيح المسبور لحكمت ياسين (371/2)، صفوة التفاسير (452/1).

[2] –انظر: تفسير السعدي(312)، في ظلال القرآن لسيد قطب (1414/3)

[3]– تفسير النيسابوري (361/3).

[4] –انظر: تفسير الطبري (318/13)، تفسير ابن أبي حاتم (1635/5)، تفسير الماتريدي (115/5)، تفسير السمرقندي (575/1)،

رابعاً : ما يستفاد من الآية:

1- كما لا يجوز أن يكون الربّ مخلوقاً لا يجوز أن يكون غير الرب خالقا، فمن وصف الحقّ بخصائص وصف الخلق فقد ألحد، ومن نعت الخّلق بما هو من خصائص الرب فقد جحد.[1]

2- احتج أهل السنة بقوله: أيشركون ما لا يخلق شيئا، وهم يخلقون على أن العبد لا يخلق ولا يوجد أفعاله، وإنما الذي يخلق هو الإله، فلو كان العبد خالقا لأفعال نفسه، كان إلها.[2]

3- ويستخلص: أنا الإله الذي يستحق العبادة ويذعن له بالربوبية ويسلم له الأمر كله هو ذلك الإله الذي له صفات الكمال والتمام ومنزه عن النقائص ولديه القدرة على الخلق ويتعدى ذلك بالقدرة على إلحاق النفع والضرر بخلقه والتكرم على عباده بالنصر والتمكين دون أن يقدر عليه أحد أو يستطيع أحد أن يغير مجرى الأحداث كما أرادها هو سبحانه وتعالى.

---

[1] -انظر : تفسير القشيري (595/1)

[2] - انظر: تفسير الرازي (431/15)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي (423/9).

المبحث الثاني:

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (194 . 198)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : إقامة الحجة على المشركين.

المطلب الثاني: التوكل على الله في الوقوف أمام الباطل.

المطلب الثالث: تجسيد الباطل بأبشع الصور.

المبحث الثاني:

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (194 . 198)

تمهيد

الخطاب للمشركين من أول الحديث في عبادتهم الأوثان، والله سبحانه وتعالى يتدرج في تصويره لما يعبدون من أحجار لَا تنفع ولا تضر ولا تسمع، وليس فيها حياة إلى فرض أن فيها حياة، وفي هذا الفرض البعيد لَا يعلون عليكم معشر المشركين، بل ينهدون إلى أن يكونوا عبادا مثلكم والمعبود يجب أن يكون أعلى منكم لتسجدوا له، فكيف تعبدون مثلكم، ولماذا تختارونه للعبادة وهو على أكثر تقدير له – مثلكم؟!.[1]

المطلب الأول : إقامة الحجة على المشركين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف : 194-195]

أولاً : المناسبة:

لما كانت الآيات السابقة تحكي حال أصحاب الوثنية الساذجة، وتخاطب عقولهم البشرية لإيقاظها من تلك الغفلة التي لا تليق بالعقل البشري، ينتقل من القصة ومن أسلوب الحكاية في الفقرة السابقة، إلى مواجهة مشركي العرب وإلى أسلوب الخطاب انتقالاً مباشراً، كأنه امتداد للحديث السابق عليه عن تلك الآلهة.[2]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- إن الذين تدعون: أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله. وأصل الدعاء: النداء، ويقصد به غالبا دفع ضرر أو جلب خير.[3]
- عباد أمثالكم: مملوكة لله مسخرة، وليسوا بآلهة.[4]
- فليستجيبوا لكم: دعاءكم، ويثيبونكم عليه.[5]
- إن كنتم صادقين: في أنها آلهة، لها منفعة وثواب، أو شفاعة ونصرة.[6]
- فلا تنظرون: تمهلون، فإني لا أبالي بكم.[7]

---

[1]– انظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة لأبي زهرة (3034/6)، أيسر التفاسير للجزائري (276/2).

[2]– في ظلال القرآن لسيد قطب (1415/3).

[3] –تفسير الماتريدي (116/5).

[4]– تفسير مقاتل بن سليمان (81/2)

[5] –التفسير الوسيط للواحدي (436/2)

[6]– تفسير السمرقندي.

[7] –تفسير السمعاني (241/2)، تفسير البغوي (315/3).

ثالثاً : البلاغة:

- وصفت الأصنام بأنها عباد، وأشير إليها بضمير العقلاء في قوله: ﴿ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُم ﴾وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ولم يقل: التي، مع أنها جمادات غير عاقلة، إنزالا لها منزلة العقلاء بحسب اعتقاد المشركين أنها تضر وتنفع، فتكون عاقلة فاهمة، فوردت الألفاظ على وفق معتقداتهم، وسماها عبادا لأنها مخلوقة مذللة.[1]
- حصر العبادة الحقيقية في الدعاء، وهو حصر على سبيل المبالغة كأن ما عدا الدعاء لا يعد بالنسبة إليه.[2]
- ألهم أرجل يمشون بها: إطناب يراد به زيادة التقريع والتوبيخ، والاستفهام: استفهام إنكار، أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالا منهم؟![3]
- قدم الأرجل لأن أول ما يخشى من الشيء انتقاله، ولما كان المخشي بعد الانتقال مد اليد للبطش بها ذكرها، ولما كان المخوف بعد البطش باليد البصر خوفا من الدلالة ذكره، ولما كان الإنسان ربما خاف مما يقصد ضره فتغيب عنه فلا يصل إليه بعد ذلك إلا بالسمع فذكره.[4]

رابعاً : القراءات:

قرأ سعيد بن جبير[5]: إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم بتخفيف إن ونصب: عباد أمثالكم، والمعنى: ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم.[6]

---

[1] –انظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن لنجم الدين النيسابوري (353/1)، وباهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (551/1)، لمحمود بن أبي الحسن علي بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، أبو القاسم، الشهير ببيان الحق (المتوفى: بعد 553هـ)، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، 1419 هـ - 1998م.

[2]–انظر : تفسير المنار لمحمد رضا (344/5).

[3]– انظر : تفسير أبي السعود (306/3)، فتح القدير للشوكاني (316/2).

[4] – انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (196/8).

[5] هو: سعيد بن جبير بن هشام، الإمام العالم، أبو عبد الله الأسدي، الوالي مولاهم الكوفي. قرأ على ابن عباس وقرأ عليه أبو عمرو والمنهال بن عمرو، وقد حدث عن ابن عباس وعدي بن حاتم وابن عمر وعبد الله بن معقل وأبي هريرة –رضي الله عنهم– وغيرهم، وروى عنه خلق كثير، وعن أشعث بن إسحاق قال: كان يقال لسعيد بن جبير جهبذ العلماء وعن ابن عباس –رضي الله عنه– قال: يا أهل الكوفة، تسألوني وفيكم سعيد بن جبير! خرج سعيد مع ابن الأشعث على الحجاج ثم اختفى وتنقل في النواحي ثم أتى به الحجاج فقتله، لكونه قوى نفسه ولم يعتذر إليه، وكان سعيد من سادة التابعين علما وفضلا وصدقا وعبادة. انظر: (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ص: 38).

[6]– انظر: تفسير ابن عطية (489/2)، وتفسير القرطبي (72/16)، ومشكل إعراب القرآن (307/1)، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ.

خامساً : المعنى العام:

إن تلك الأصنام التي تعبدونها وتسمونها آلهة من دون الله، وتدعونها لدفع الضر أو جلب النفع هم عباد أو عبيد مثل عابديها، في كونهم مخلوقات لله مثلهم، خاضعون لإرادته وقدرته، بل الأناس أكمل منها لأنها تسمع وتبصر وتبطش، وتلك لا تفعل شيئا من ذلك. وإذا كانت على هذا النحو فكيف يصح عقلا تقديسها وعبادتها من مخلوق مثلها، بل أسمى وأكمل منها؟ وإنما الذي يستحق العبادة هو الرب الخالق الذي خضعت له جميع الكائنات، ودانت له الأسباب.[1]

وكيف تترك رسالة بشر خصه بالعلم والمعرفة، وازدانت عقيدته بالحق والنور والفائدة العظمى، وتعبد حجارة من دون الله، لا تضر ولا تنفع؟ وإن كنتم صادقين في تأليههم واستحقاقهم العبادة، والتماس النفع أو الضر منهم، فادعوهم واطلبوا منهم طلبا ما، فليستجيبوا لكم دعاءكم، إما بأنفسهم، وإما بتوسطهم عند الله، ولما ظهر لكل عاقل أنها لا تقدر على الإجابة، ظهر أنها لا تصلح للعبادة.[2]

ثم ترقى القرآن في الجواب عليهم، وأبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم، وأثبت أنهم ليسوا أمثالهم، بل أدنى منهم رتبة، فذكر أعضاء أربعة هي الأرجل والأيدي والأعين والآذان، وكلها معطلة القوة والحركة والإدراك، مع أن هذه الأعضاء إن كان فيها هذه القوى فهي وسائل الكسب في الحياة.[3]

فليس للأصنام أرجل يمشون بها إلى جلب نفع أو دفع ضر، وليس لهم أيد يبطشون بها ويصولون بها لتحقيق ما ترجون منهم من خير، أو تخافون من شر، وليس لهم أعين يبصرون بها أحوالكم، ولا آذان يسمعون بها نداءكم وكلامكم وفهم مطالبكم، فهم ليسوا مثلكم، بل دونكم في التكوين والصفات والقوى، ومن يخلو من منافع هذه الأعضاء، لا يستحق العبادة، فإن الإنسان أفضل بكثير من هذه الأصنام، بل لا تصح المقارنة بين مزايا الإنسان وهذه الأصنام، إذ هم حجارة صماء، أو طين وماء، أو عجوة أو حلاوة، ومع كل هذا أمر النبي ﷺ بأن يتحداهم، ويدعوهم للاختبار العملي، فقيل له: قل يا محمد الرسول لهؤلاء الوثنيين: نادوا شركاءكم وآلهتكم من دون الله، واستنصروا بها علي، وتعاونوا على كيدي، فلا تؤخروني طرفة عين، وابذلوا جهدكم، وأوقعوا الضرر بي كيف شئتم، ولا تمهلون ساعة من نهار، أنتم وشركاؤكم، فلا أبالي بكم. ولا يقول هذا إلا واثق بعصمة الله، وكانوا قد خوفوه آلهتهم. وهذا رد على تهديدهم وقولهم: إنا نخاف عليك من آلهتنا!![4]

---

[1] –انظر: تفسير الطبري (321/13)، زاد المسير لابن الجوزي (179/2)، تفسير القرطبي (342/7)، تفسير البيضاوي (46/3).

[2]– انظر: تفسير الزمخشري (189/2)، تفسير الرازي (432/15)، البحر المحيط لابن حيان(249/5)، تفسير النيسابوري (362/3)، تفسير ابن جزي (317/1)،

[3] –تفسير السعدي(312)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (278/1).

[4]– انظر: تفسير الطبري (322/13)، تفسير الماتريدي (117/5)، تفسير السمرقندي (575/1)، الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب(2684/4)، التفسير الوسيط للواحدي (436/2)، السراج المنير للشربيني (547/1)، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (106/5).

سادساً : ما يستفاد من الآية:

1- يقبح من الإنسان العاقل أن يشتغل بعبادة هذه الأصنام المعطلة القوى المحركة والمدركة، لفقدها الأرجل والأيدي والأعين والآذان لأن المعبود يتصف بهذه القوى وغيرها، والإنسان الذي يعبدها أفضل منها بكثير، بل لا مجال للمقارنة بينه وبينها أصلا، فكيف يليق بالأفضل الأكمل الأشرف أن يشتغل بعبادة الأخس الدون، الذي لا يحس منه فائدة البتة، لا في جلب المنفعة، ولا في دفع المضرة؟! فهي ليست عباداً أمثال الإنسان، وإنما هي حجارة وخشب، فأنتم تعبدون ما أنتم أشرف منه.[1]

2- القلوب أربعة منها: القلب الأغلف فذلك قلب الكافر، الذي يعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئا.[2]

3- إذا قرنت الضرورة بالضرورة تضاعف البلاء، وترادف العناء فالمخلوق إذا استعان بمخلوق مثله ازداد بعد مراده عن النّجح. وكيف تشكو لمن هو ذو شكاية؟! هيهات! إن ذلك خطأ من الظن، وباطل من الحسبان.[3]

4- قدح الله عز وجل في إلهية الأصنام لأجل أنها ليس لها شيء من الأعضاء، ودل القرآن الكريم على إثبات اليد لله تعالى، ودل العقل على أنه يمتنع أن تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص، ولذلك فوضنا حقيقتها وماهية معرفتها إلى الله تعالى، وهذا هو طريق السلف.[4]

5- بيان العيوب جائز إن كان فيه مصلحة دينية؛ كالاستدلال على إبطال الشرك وإظهار استحالة أن تكون الأصنام شركاء لله تعالى، فذلك هو الذي يتميز به الحق عن الباطل، وينهض به المحق ولا يستطيعه المبطل، وأما السب فإنه مقدور للمحق وللمبطل فيظهر بمظهر التساوي بينهما، ولذلك نهينا عنه.[5]

6- إنها كلمة صاحب الدعوة، في وجه الجاهلية.. ولقد قالها رسول الله ﷺ كما أمره ربه وتحدى بها المشركين في زمانه وآلهتهم المدعاة: ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [الأعراف : 195] لقد قذف في وجوههم ووجوه آلهتهم المدعاة بهذا التحدي.. وقال لهم: ألا يألوا جهداً في جمع كيدهم وكيد آلهتهم بلا إمهال ولا إنظار! وقالها في لهجة الواثق المطمئن إلى السند الذي يرتكن إليه. ويحتمي به من كيدهم جميعاً، وإنها لكلمة صاحب الدعوة إلى الله- بعد رسول الله ﷺ- في كل مكان وفي كل زمان.[6]

---

[1] -انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (195/8)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (277/1)، تفسير أبي السعود(306/3).

[2]- في ظلال القرآن لسيد قطب (1415/3)، والتفسير القرآني للقرآن (541/5)، لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: 1390هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.

[3]- تفسير القشيري (596/1).

[4]- تفسير الرازي (395/12).

[5]- التحرير والتنوير لابن عاشور (430/7).

[6]- انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (1415/3).

7- ويستفاد: أن وثنية مشركي العرب كانت وثنية ساذجة سخيفة في ميزان العقل البشري في أية مرحلة من مراحله! ومن ثم كان القرآن ينبه فيهم هذا العقل وهو يواجههم بسخافة ما يزاولونه من الشرك بمثل هذه الآلهة، إن أصنامهم هذه الساذجة بهيئتها الظاهرة: ليس لها الجوارح التي تتوافر لهم هم. فكيف يعبدون ما هو دونهم من هذه الأحجار الهامدة؟.

المطلب الثاني: التوكل على الله في الوقوف أمام الباطل.

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ **[الأعراف: 196]**

أولاً: المناسبة:

لما بين عز وجل في الآيات المتقدمة أن هذه الأصنام لا قدرة لها على النفع والضر، بين بهذه الآية أن الواجب على كل عاقل عبادة الله تعالى لأنه هو الذي يتولى تحصيل منافع الدين ومنافع الدنيا، أما الأولى فبسبب إنزال الكتاب وأما الثانية فبسبب تولي الصالحين.[1]

ثانياً: المفردات اللغوية:

- إن وليي الله: أي متولي أموري.[2]
- وهو يتولى الصالحين: من عباده فضلا عن أنبيائه، بنصره وحفظه، فلا يضرهم عداوة من عاداهم.[3]

ثالثاً: البلاغة:

- قدم تنزيل الكتاب (التوحيد) إشارة إلى أنه الأهم.[4]
- خص اسم الذات بتنزيل الكتاب وجعلت الآية تعليلا للدلالة على تفخيم أمر المنزل وأنه الفارق بين الحق والباطل وأنه المجلي لظلمات الشرك والمفحم لألسن أرباب البيان والمعجز الباقي في كل أوان وهو النور المبين والحبل المتين وبه أصلح الله تعالى شؤون رسوله ﷺ حيث كمل به خلقه وأقام به أوده وأفسد به الأباطيل المعطلة.[5]
- إجراء الصفة لاسم الله بالموصولية لما تدل عليه الصلة من علاقات الولاية، فإن إنزال الكتاب عليه وهو أمي دليل اصطفائه وتوليه.[6]
- مجيء المسند فعلا مضارعا لقصد الدلالة على استمرار هذا التولي وتجدده وأنه سنة إلهية، فكما تولى النبي يتولى المؤمنين أيضا، وهذه بشارة للمسلمين المستقيمين على صراط نبيهم ﷺ بأن ينصرهم الله كما نصر نبيه وأولياءه.[7]

---

[1] – انظر : تفسير الرازي (433/15).

[2]– انظر: تفسير الجلالين (224).

[3]– السراج المنير للشربيني (547/1).

[4]– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (197/8).

[5]– تفسير الألوسي (136/5).

[6] –التحرير والتنوير لابن عاشور (224/9).

[7]– المرجع السابق (224/9).

رابعاً : المعنى العام:

يعلن الرسول ﷺ ثقته الكبرى بالله وتحقيره هذه المعبودات، مع قلة الأعوان والنصراء في مكة فقال بتعليم الله له: إن وليي الله، أي الله حسبي وكافيني، وهو نصيري وناصري عليكم، ومتولي أمري في الدنيا والآخرة، وعليه اتكالي، وإليه ألجأ، وهو الذي نزل علي القرآن الذي يدعو إلى التوحيد، وينبذ الشرك، وأعزني برسالته، وهو الذي يتولى كل صالح بعدي، وهو كل من صلحت عقيدته، وسلمت من الخرافات والأوهام، وصلحت أعماله، ومن عادته تعالى أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائه، ولا يخذلهم. الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات.[1]

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1- إن متولي أمور النبي ﷺ في الدنيا والآخرة بنصره وحفظه هو الله تعالى الذي يتولى الصالحين من عباده ويحفظهم. جاء في صحيح مسلم عن عمرو بن العاصﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سر يقول: (ألا إن آل أبي- يعني فلانا- ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين)[2].

2- الولي في لغة العرب: هو الذي انعقد بينك وبينه سبب ولاية يجعلك تواليه ويواليك. والله جل وعلا انعقد بينه وبين رسوله موجب الولاية، الرسول يوالي ربه بالطاعات، والله يوالي نبيه بالإعانة والنصر والثواب الجزيل، ولذلك لا تكون ولاية الله إلا للمتقين من عباده، قال تعالى:﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس : 62 -63]، فمن قام بحق الله تولى أموره على وجه الكفاية، فلا يخرجه إلى أمثاله، ولا يدع شيئا من أحواله إلا أجراه على ما يريده بحسن أفضاله.[3]

3- ليست الولاية خصوصية للرسول ﷺ، بل هي لكل واحد من أتباعه الصالحين في أي وقت، أمام أي عدو، وبذلك ينشر الله ﷻ الطمأنينة الإيمانية في قلوب أتباعه صلى الله عليه وسلم. وكل من يحمل من أمر دعوته صلى الله عليه وسلم شيئا ما سوف يكون له هذا التأييد.[4]

---

[1]- انظر: تفسير ابن كثير (530/3)، والصحيح المسبور لحكمت ياسين (372/2)، والتفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية (151)، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، وتفسير الماتريدي (118/5)، وتفسير السمرقندي (576/1)، وتفسير السمعاني (241/2)، وتفسير السمعاني (241/2)، وزاد المسير لابن الجوزي (180/2)، وتفسير ابن جزي (317/1)، والبحر المديد لابن عجيبة(295/2)، وتفسير القاسمي (240/5)، وتفسير المنار لمحمد رضا (442/9)، وتفسير الشعراوي (4528/8)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (457/5).

[2] -صحيح مسلم (1/ 197/ 215)، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مُوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُقَاطَعَةِ غَيْرِهِمْ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ.

[3]- العذب النمير للشنقيطي(430/4)، تفسير القشيري (597/1).

[4]- تفسير الشعراوي (4530/8).

4- صاحب الدعوة إلى الله يرتكن إلى الله. فإن أصابه أذى من أعدائه علم أن ذلك بإذن ربه الذي يتولاه. لا عجزاً من ربه عن حمايته من أذاهم –سبحانه وتعالى!– ولا تخلياً منه سبحانه عن نصرة أوليائه.. ولكن ابتلاء لعباده الصالحين للتربية والتمحيص والتدريب. واستدراجا لعباده الطالحين للإعذار والإمهال والكيد المتين![1]

5- يخبر التاريخ أن الغلبة والعزة والتمكين لأولياء الله وأن الهزيمة والهوان والدثور كانت للطواغيت الذين قتلهم الصالحون. وكانت التبعية ممن بقي منهم ممن شرح الله صدره للإسلام لهؤلاء السابقين، الذين احتملوا الأذى بثقة في الله لا تتزعزع، وبعزمة في الله لا تلين! إن صاحب الدعوة إلى الله– في كل زمان وفي كل مكان– لن يبلغ شيئا إلا بمثل هذه الثقة، وإلا بمثل هذه العزمة، وإلا بمثل ذلك اليقين: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف : 196].[2]

6- الواجب على العاقل عبادة الله تعالى لأنه هو الذي يحقق له منافع الدين بإنزال الكتاب المشتمل على العلوم العظيمة في الدين، ومنافع الدنيا بتولي الصالحين من عباده وحفظه لهم ونصرته إياهم، فلا تضرهم عداوة من عاداهم. وما أروع ذلك الموقف العملي للخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بالاستدلال بهذه الآية، فإنه ما كان يدخر لأولاده شيئا، فقيل له فيه، فقال: ولدي إما أن يكون من الصالحين، أو من المجرمين، فإن كان من الصالحين فوليه الله، ومن كان الله له وليا، فلا حاجة له إلى مالي، وإن كان من المجرمين، فقد قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: 17] ومن رده الله لم أشتغل بإصلاح مهماته.[3]

7- وجوب التوكل على الله تعالى، وطرد الخوف من النفس والوقوف أمام الباطل وأهله في شجاعة وصبر وثبات واعتماداً على الله تعالى وولايته إذ هو يتولى الصالحين.[4]

8- ويستفاد: إن التمسك بالكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ والعمل بما جاء فيه ودراسة السنن الإلهية والاعتماد على من أنزل هذا الكتاب والسير على نهج الصالحين من الرسل والأنبياء ومن اقتفى أثرهم وتخلق بأخلاقهم والعمل والرجاء للوصل إلى مراتبهم من الصلاح بذلك يتحقق ولاية الله لهم ونصرتهم وظهورهم على من عادهم إذا رجوه من ربهم واستوجبوا ذلك.

---

[1]– في ظلال القرآن لسيد قطب (1416/3).

[2]– في ظلال القرآن لسيد قطب (1417/3).

[3]– انظر: تفسير الرازي (433/15)، تفسير النيسابوري (362/3)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد للجاوي (413/1).

[4]– أيسر التفاسير للجزائري (277/2).

المطلب الثالث : تجسيد الباطل بأبشع الصور .

﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾**[الأعراف : 197 – 198]**

أولاً : المناسبة:

هذه الآيات تأكيد لما سبق بيانه أن الأصنام لا تصلح للألوهية، بقصد غرس التوحيد في القلوب، واستئصال جذور الشرك من النفوس، فلا غرو أن يتكرر الكلام فيه في القرآن، نفياً وإثباتاً ليتأكد في النفوس، ويثبت في القلوب، وبه تخلع جذور الوثنية، ويحل محلها نور الوحدانية.[1]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- وإن تدعوهم: أي الأصنام.[2]
- وتراهم: أي الأصنام يا محمد.[3]
- ينظرون إليك: أي يقابلونك كالناظر، حيث ركبت لها حدق عيون من معادن أو جواهر براقة، فهم يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا بصورة من ينظر إلى من يواجهه.[4]

ثالثاً : البلاغة:

1- (الذين تدعون، وإن تدعوهم) التفات من صيغة الغيبة، إلى صيغة الخطاب، لتأكيد ما تقدم من خيبة الأصنام في تحقيق النصر، على سبيل التوبيخ على عبادة غير الله.[5]

2- سلوك طريق الموصولية في التعبير عن الأصنام للتنبيه على خطأ المخاطبين في دعائهم إياها من دون الله مع ظهور عدم استحقاقها للعبادة.[6]

3- لما كان دعاء الجماعة أقرب إلى السماع من دعاء الواحد، نسق على ما قبله قوله: {وإن تدعوهم}، ولما كان حالهم في البصر بالنسبة إلى كل أحد على حد سواء، قال مفردا للمخاطب: {وتراهم}. [7]

4- تكرار وصف الأصنام بأنها عاجزة عن نصر عابديها، ونصر أنفسها، وفائدة التكرار أن المعنى الأول مذكور على جهة التقريع، وهذا مذكور على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة، وبين من لا تجوز، مع ما يحصل في تكريره من تأكيد مضمونه.[8]

---

[1]– انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (198/8)، تفسير المراغي (143/9).

[2] تفسير الماتريدي (115/5).

[3] تفسير السمرقندي (576/1).

[4] انظر: تفسير الثعلبي (317/4)، التفسير الوسيط للواحدي (436/2).

[5] – انظر : البحر المحيط لابن حيان(248/5).

[6]– انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور (224/9).

[7] – انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (199/8).

[8]– انظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن (352/1)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (551/1)

رابعاً : المعنى العام:

إن الذين تعبدونهم وتدعونهم من دون الله لنصركم ودفع الضر عنكم عاجزون، لا يستطيعون نصركم، ولا نصر أنفسهم ضد من يحقرهم أو يسلبهم شيئا مما يوضع عليهم من طيب أو حلي، أو يريدهم بسوء، فقد كسر إبراهيم عليه السلام الأصنام وأهانها غاية الإهانة فما دفعت عن نفسها الأذى ولا انتقمت منه، كما أخبر تعالى عنه في قوله:﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات : 93] ، وقال تعالى ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[الأنبياء : 58].[1]

وروي عن معاذ بن جبل ومعاذ بن عمرو بن الجموح ﷺ وكانا شابين من الأنصار قد أسلما، لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنهما كانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطباً للأرامل، ليعتبر قومهما بذلك، ويرتئوا لأنفسهم رأيا آخر. وكان لعمرو بن الجموح وكان سيد قومه صنم يعبده ويطيبه، فكانا يجيئان في الليل، فينكسانه على رأسه، ويلطخانه بالعذرة، فيجيء عمرو بن الجموح ﷺ ، فيرى ما صنع به، فيغسله ويطيبه، ويضع عنده سيفا، ويقول له: انتصر، ثم يعودان لمثل ذلك، ويعود إلى صنيعه أيضا، حتى أخذاه مرة، فقرناه مع كلب ميت، ودلياه في حبل في بئر هناك، فلما جاء عمرو، ورأى ذلك نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل، وقال: تالله لو كنت إلها مستدن ... لم تك والكلب جميعا في قرن، ثم أسلم وحسن إسلامه، وقتل يوم أحد شهيدا ﷺ.[2]

وكما هم عاجزون عن النصرة عاجزون عن الإرشاد والهداية، فقال تعالى:﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ [الأعراف : 198] أي وإن تدعوا هذه الأصنام إلى أن يهدوكم إلى سواء السبيل وتحقيق النصر، لا يسمعوا دعاءكم، فضلا عن المساعدة والمعونة والإمداد، وتراهم أيها المخاطب المتأمل يقابلونك بعيون مصورة صناعية، وهي جماد لا تبصر شيئا، ولا تدرك المرئي لأن لهم صورة الأعين، وهم لا يرون بها شيئا، فهم فاقدو السمع والبصر، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾[فاطر : 14]، وإذ فقدوا السمع والبصر، فكيف يرجى منهم نصر أو عون، وكيف يخاف منهم إحداث ضرر أو أذى لمن يحتقرهم، وكيف يليق بكم أن تتخذوهم آلهة؟![3]

---

[1] – انظر: تفسير المنار لمحمد رضا (442/9)، تفسير المراغي (145/9)، تفسير الماتريدي (118/5)، تفسير السمرقندي (576/1)

[2]– انظر: تفسير ابن كثير (529/3)، تفسير المنار لمحمد رضا (443/9)، تفسير المراغي (145/9)

[3]– انظر: تفسير الطبري (323/13)، تفسير الماوردي (287/2)، تفسير الرازي (434/15)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (199/8)، روح البيان (296/3)، التفسير الحديث لدروزة عزت (551/2).

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1. الدعاء في مثل هذه الآيات معناه العبادة، من باب تسمية الكل باسم الجزء، ,وغايته دفع الضر أو جلب النفع، الموجه إلى من يعتقد الداعي أن له سلطاناً يمكنه به أن يجيبه إلى ما طلبه بذاته، أو بحمله للرب الخالق على ذلك، بحيث يجيب دعاء الداعي لأجله، وفي ذلك إشارة إلى أهمية الدعاء ومكانته قال ﷺ : (الدعاء هو العبادة)[1].[2]
2. جواز المبالغة في التنفير من الباطل والشر بذكر العيوب والنقائص، وإنما تكرر القول ببيان ذلك وترددت الآيات فيه؛ أن أمر الأصنام وتعظيمها كان متمكنا من نفوس العرب في ذلك الزمن ومستولياً على عقولها فأوعب القول في ذلك لطفاً من الله تعالى بهم.[3]
3. كان بعض ذوي الفطرة السليمة ينظر إلى النبي – ﷺ – فيعرف من سيماه في وجهه أنه حر صادق، غير مخادع ولا مماذق، فيقول: والله ما هذا الوجه وجه كاذب، وما زال من المعهود بين الناس أن أصحاب البصيرة والفضيلة من الناس يعرف بعضهم بعضا بذلك من أول العهد بالتلاقي، بما يتوسمون من ملامح الوجه ومعارفه، وينبغي على أصحاب الفطر السليمة معرفة الباطل بمجرد النظر في وجهه، والنظر في عينه.[4]
4. إذا كانت آلهة العرب الساذجة لا تسمع، وعيونها المصنوعة من الخرز أو الجوهر تنظر ولا تبصر! فإن بعض الآلهة الجديدة كذلك لا تسمع ولا تبصر.. الوطن. والقوم. والإنتاج. والآلة. وحتمية التاريخ! إلى آخر تلك الآلهة المدعاة في الجاهلية الحديثة! والذي يبصر منها ويسمع– وهي الآلهة المدعاة من البشر، التي تعطى خصائص الألوهية فتشرع بأمرها وتحكم– هي كذلك لا تسمع ولا تبصر.. هي من الذين يقول الله فيهم: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[الأعراف : 179] ! إن صاحب الدعوة إلى الله، إنما يصادف حالة واحدة من الجاهليات المتعددة.. وإنما ينبغي أن يقول ما أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف : 195 – 198].. فإنما هم هم.. في كل أرض وفي كل حين!!![5]

---

[1] –مسند أحمد (30/ 298 /18352)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط.

[2] –انظر : تفسير المنار لمحمد رضا (441/9).

[3] –انظر : أيسر التفاسير للجزائري (277/2)، تفسير ابن عطية (490/2).

[4] – تفسير المنار لمحمد رضا (444/9).

[5] –في ظلال القرآن لسيد قطب (1417/3).

5. توحيد العبادة ونفي الشرك فيها هو أس الإسلام، ولا يتقرر في الأذهان، ويثبت في الجنان، ويكمل بالوجدان، إلا بتكرار الآيات فيه نفياً وإثباتاً لمضمون كلمة (لا إله إلا الله)، فإن القول إذا قيل فتح حظاً في النفس، فإذا تكرر عمقه، ولا يزال يتعمق حتى يستكن فيها، فإذا كتب الله تعالى له الهداية استرشد.[1]
6. ويستفاد: إن هذه الآلهة التي يتخذها هؤلاء الجاهلون قديماً وحديثاً وإن تعددت أشكالها وهيئاتها سواء كانت جامدة كالأصنام أو كانت فيها بعض مظاهر الحياة وامتلاكها لبعض صور القوة الظاهرة التي ينخدع بها أتباعهم في كل زمان ومكان لن يتغير نعتها ولا وصفها الذي أخبر الله تعالى به فهم لن يستطيعوا أن يحققوا النصر الحقيقي لأنفسهم فضلاً عن من تبعهم فهم على أبصارهم غشاوة لا يبصرون من خلالها الحق وذلك بملء إرادتهم وقد يكون السبب كبرهم وعنادهم وكرههم لأهل الحق لا غير.

[1] –تفسير المنار لمحمد رضا (440/9).

المبحث الثالث :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (199 . 202)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بالتزام الآداب والتحلي بأكمل الأخلاق.

المطلب الثاني: الاستعاذة بالله علاج الوسوسة والغضب وتزيين الباطل.

المطلب الثالث: فضيلة التقوى.

المطلب الرابع: سجية إخوة الشياطين وطبيعتهم.

المبحث الثالث :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (199 . 202)

تمهيد:

لما بين الله تعالى فيما سبق أن الله هو الذي يتولى نبيه والمؤمنين الصالحين بالحفظ والتأييد، وأن الأصنام وعابديها لا يقدرون على الإيذاء والإضرار، بين في هذه الآية ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم في معاملة الناس، وهي آية تشمل أصول الفضائل، فهي من أسس التشريع التي تلي أصول عقيدة التوحيد المبينة بأتم بيان. ثم أعقب ذلك بوصية وقائية، وهي اتقاء وساوس الشياطين من الجن، بعد الأمر بالإعراض عن الجاهلين السفهاء، اتقاء لشر الفريقين.[1]

المطلب الأول : الأمر بالتزام الآداب والتحلي بأكمل الأخلاق .

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[الأعراف : 199]

أولاً :المفردات اللغوية:

- العفو: اليسر من أخلاق الناس، ولا تبحث عنها، والمعنى: خذ ما عفا وتيسر من أخلاق الناس.[2]
- بالعرف: المعروف.[3]

ثانياً : المعنى العام:

جمعت الآية أصول الفضائل الثلاث وهي:

1- الأخذ بالعفو: وهو السهل من أخلاق الناس وأعمالهم، دون تكليفهم بما يشق عليهم ومن غير تجسس، وإنما يؤخذ بالسمح السهل، واليسر دون العسر، كما ورد في الحديث عن أنس ابن مالك عن النبي ﷺ: (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)[4] .[5]

---

[1] -التفسير الحديث لدروزة عزت (553/2).

[2] -انظر: تفسير مجاهد (349)، وتفسير القرآن (64/1)، لأبي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: 197هـ)،، تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2003م، وتفسير عبد الرزاق (103/2).

[3]- مجاز القرآن (236/1)، غريب القرآن لابن قتيبة(176).

[4]- صحيح البخاري (1/ 25 /69)، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا.

[5] -انظر: تفسير الزمخشري (189/2)، تفسير النسفي(626/1)، البحر المحيط لابن حيان(256/5)، السراج المنير للشربيني (547/1).

ويدخل في العفو: صلة القاطعين أرحامهم، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين. وهذا هو الصنف الأول من الحقوق التي تستوفى من الناس وتؤخذ منهم بطريق المساهلة والمسامحة، ويشمل ترك التشدد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية، والتخلق مع الناس بالخلق الطيب، وترك الغلظة والفظاظة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران : 159]، ومن هذا القسم: الدعوة إلى الدين الحق بالرفق واللطف، كما قال تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : 125].[1]

قال الباحث: إن المراد بالعفو: الأخذ باليسر والسماحة ودفع الحرج والمشقة عن الناس في الأقوال والأفعال، (وما خير ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما)[2].

2- الأمر بالعرف وهو المعروف والجميل من الأفعال: وهو كل ما أمر به الشرع، وتعارفه الناس من الخير، واستحسنه العقلاء، فالمعروف: اسم جامع لكل خير من طاعة وبر وإحسان إلى الناس. وهذا هو النوع الثاني من الحقوق التي لا يجوز التساهل والتسامح فيه، ويراد به ما هو معهود بين الناس في المعاملات والعادات.[3]

3- الإعراض عن الجاهلين: ويتمثل بعدم مقابلة السفهاء والجهال بمثل فعلهم، وترك معاشرتهم وصيانة النفس عنهم، وعدم مماراتهم والحلم عنهم، والصبر على سوء أخلاقهم والغض على ما يسوءك منهم. فإذا تكلم الجاهل الأحمق بما يسوء الإنسان، فليعرض عنه، ويقابله بالعفو والصفح، لقوله تعالى في وصف المؤمنين: والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين، وقوله تعالى في فضيلة العفو: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة : 237].[4]

---

[1]- انظر: تفسير السمرقندي (576/1)، والهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب(2687/4)، تفسير القرطبي (344/7)، والبرهان في علوم القرآن (226/3)، ومناهج المفسرين (18)، لمنيع بن عبد الحليم محمود (المتوفى: 1430هـ)، دار الكتاب المصري، القاهرة،، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1421 هـ - 2000م، وتاريخ نزول القرآن (289)، لمحمد رأفت سعيد، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2002م.

[2] صحيح البخاري (8/ 160 /6786)، كِتَابُ الحُدُودِ، بَابُ إِقَامَةِ الحُدُودِ وَالِانْتِقَامِ لِحُرُمَاتِ اللَّهِ.

[3] -انظر: تفسير النسفي(626/1)، البحر المحيط لابن حيان(256/5)، تفسير أبي السعود (308/3)، روح البيان (298/3)، تفسير القاسمي (242/5).

[4]- انظر: تفسير المراغي (148/9)، التفسير القرآني للقرآن للخطيب (825/3)، روح البيان (298/3)، تفسير الألوسي (137/5)، الموسوعة القرآنية (544/9)،

هذه المبادئ الثلاثة هي أصول الفضائل ومكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير.
فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: لَقِيتُ رسول اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ: (يَا عُقْبَةُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: «تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ)[1]. وقال جعفر الصادق ﷺ: (أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها)[2]. وقال عبد الله بن الزبير ﷺ: والله ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (أثقل شيء في الميزان خلق حسن)[3].[4]

ثالثاً : ما يستفاد من الآية:

1. تضمنت آية: خذ العفو أصول الفضائل والأخلاق الاجتماعية، وهي تلي في المرتبة أصول العقيدة، ففي المعاملات والعادات ولدى التعامل مع الآخرين تظهر أخلاق الناس، وما أحوج الإنسان إلى هذه الأصول الخلقية في تعامله مع الغير.[5]
2. هذه الأوامر الخلقية الثلاث، وإن كان الخطاب فيها من الله لنبيه ﷺ، فهو تأديب لجميع خلقه، وكل أصحاب الدعوة مأمورون بما أمر به رسول الله ﷺ. فالتعامل مع النفوس البشرية لهدايتها يقتضي سعة صدر، وسماحة طبع، ويسرا وتيسيرا في غير تهاون ولا تفريط في دين الله.[6]
3. أخذ العفو الميسر الممكن من أخلاق الناس في المعاشرة والصحبة، والعفو عن أخطائهم وضعفهم ونقصهم.. كل ذلك في المعاملات الشخصية لا في العقيدة الدينية ولا في الواجبات الشرعية. فليس في عقيدة الإسلام ولا شريعة الله يكون التغاضي والتسامح.[7]
4. لا يذكر المعروف في القرآن إلا في الأحكام المهمة، مثل قوله تعالى في وصف الأمة الإسلامية: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران : 103]، وفي تبيان الحقوق الزوجية: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[البقرة : 228]، وفي الحفاظ على رباط الزوجية: ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾[البقرة : 229] ، فأمسكوهن بمعروف.[8]

---

[1]– مسند أحمد ط الرسالة (28/ 569 /17334)، وحسنه شعيب الأرناؤوط.

[2]– فتح الباري لابن حجر (8/ 306)، ومدارج السالكين لابن قيم الجوزية (2/ 290).

[3] –مسند الحميدي (1/ 379)، وحسن إسناده حسين سليم أسد.

[4] –انظر: تفسير عبد الرزاق (105/2)، تفسير الطبري (330/13)، تفسير ابن أبي حاتم (1638/5)، التفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية (41)، أيسر التفاسير للجزائري (278/2)، تفسير الشعراوي (4535/8).

[5] –تفسير المنار لمحمد رضا (444/9)، تفسير المراغي (147/9)، .

[6] –انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب (1419/3).

[7]– انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب (1419/3)، التفسير المنير للزحيلي (220/9).

[8] –التفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية (13)، التفسير الوسيط للزحيلي (767/1).

5. ذكر المفسرون مثل القرطبي والرازي وابن كثير وغيرهم– أن هذا الآية محكمة غير منسوخة، كما قال مجاهد وقتادة، بدليل ما رواه البخاري عن عبد الله بن عباسﷺ قال: (قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولا كانوا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فتستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه فاستأذن لعيينة. فلما دخل قال: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل! قال: فغضب عمر، حتى هم بأن يقع به. فقال الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله قال لنبيه ﷺ :(خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين)وإن هذا من الجاهلين. فوالله، ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا» عند كتاب الله ﷻ[1]).[2]
6. النفس حين تعتاد هذا المعروف يسلس قيادها بعد ذلك، وتتطوع لألوان من الخير دون تكليف وما يصد النفس عن الخير شيء مثلما يصدها التعقيد والمشقة والشد في أول معرفتها بالتكاليف! ورياضة النفوس تقتضي أخذها في أول الطريق بالميسور المعروف من هذه التكاليف حتى يسلس قيادها وتعتاد هي بذاتها النهوض بما فوق ذلك في يسر وطواعية ولين.[3]
7. ويستفاد من الآية أيضاً أنه: قد ينتهي السكوت عن الجاهلين، والإعراض عن جهالتهم إلى تذليل نفوسهم وترويضها، بدلا من الفحش في الرد والإصرار على العناد. فإن لم يؤد إلى هذه النتيجة فيهم، فإنه يعزلهم عن الآخرين الذين في قلوبهم خير. وما أجدر صاحب الدعوة أن يتبع هذا التوجيه الرباني العليم بدخائل النفوس.

---

[1] صحيح البخاري (6/ 60 /4642)، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ}.

[2] –انظر: تفسير الطبري (344/4)، وتفسير الرازي (435/15)، وتفسير المنار لمحمد رضا (445/9)، والتفسير القرآني للقرآن للخطيب (765/5)، والناسخ والمنسوخ (190)، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، 1408هـ، وتفسير الألوسي (137/5)، ودراسات في علوم القرآن (247)، لمحمد بكر إسماعيل (المتوفى: 1426هـ)، دار المنار، الطبعة الثانية 1419هـ–1999م، وناسخ القرآن ومنسوخه (442/2)، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، 1423هـ/2003م.

[3] – في ظلال القرآن لسيد قطب (1419/3).

المطلب الثاني: الاستعاذة بالله علاج الوسوسة والغضب وتزيين الباطل .

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[الأعراف : 200]

أولاً: المناسبة:

- ناسب الأمر بالإعراض عن الجاهلين وهم السفهاء اتقاء لشرهم، الأمر بالاستعاذة من الشياطين، تجنبا للوقوع في مفاسدهم وشرورهم.[1]
- (سميع عليم) وفى سورة فصلت: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت : 36] فوردت الصفتان في سورة الأعراف على طريقة التنكير ووردتا في السورة الأخرى معرفتين؟ والجواب: أن سورة الأعراف تقدم فيها نفي السمع والبصر عن آلهتهم، ولم يتقدم في السور الأخرى شيء من ذلك فيستدعى ذلك التوهم مفهوماً ينفيه التعريف للصفتين، فجاء كل على ما يناسب.[2]
- معلوم أن الوسوسة كأنها حروف خفية في قلب الإنسان، ولا يطلع عليها أحد، فلهذا السبب كان ذكر السميع العليم أولى بهذا الموضع من سائر الأذكار.[3]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- ينزغنك: يصيبنك، أو يصرفنك، والنزغ كالنخس: إصابة الجسم بشيء محدد كالإبرة ونحوها، والمراد منه هنا: وسوسة الشيطان.[4]
- فاستعذ: أي الجأ إليه وتذكره.[5]

ثالثاً : البلاغة:

1- ينزغنك من الشيطان نزغ: النزغ: إدخال الإبرة ونحوها في الجلد، وفيه استعارة لأنه شبه وسوسة الشيطان وإغراءه الناس على المعاصي بالنزغ.[6]

2- ختم الآية بقوله (سميع عليم) للدلالة على أن الاستعاذة باللسان لا تفيد إلا إذا حضر في القلب العلم بمعنى الاستعاذة، فكأنه تعالى قال: اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك، فإني سميع، واستحضر معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك، فإني عليم بما في ضميرك.[7]

---

[1]-انظر : تفسير الرازي (435/15)، التفسير الوسيط لطنطاوي (301/12).

[2]- انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (223/1، 224)، البرهان في توجيه متشابه القرآن (222)، غرائب التفسير وعجائب التأويل (431/1)، تفسير القرآن الكريم لابن القيم (686).

[3] -انظر : تفسير الرازي (71/1).

[4]- انظر: تفسير السمرقندي (577/1)، تفسير القرطبي (348/7)، تنوير المقباس للفيروزآبادي(144)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد للجاوي (413/1)،

[5]- انظر: تفسير الماتريدي (121/5)، زاد المسير لابن الجوزي (14/1)، تفسير ابن كثير (530/3)، أوضح التفاسير (578/1).

[6]- انظر: البحر المحيط لابن حيان(257/5)، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (109/5)، التحرير والتنوير لابن عاشور (229/9).

[7] -انظر:تفسير الرازي(436/15)،اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي(433/9)،تفسيرالثعالبي (107/3).

رابعاً : المعنى العام:

قال تعالى: (وإما ينزغنك) أي وإما يعرض لك الشيطان بوسوسته، وينخس في قلبك بحملك على خلاف ما أمرت به، ويحاول إيقاعك في المعاصي، أو يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهل، ويحملك على مجازاته، بجعلك ثائرا هائجا، فالجأ إلى الله واطلب النجاة من ذلك بالله، واستجر بالله من نزغه، واذكر الله في القلب واللسان، يصرف عنك وسوسة الشيطان، والله سميع للقول من جهل الجاهلين والاستعاذة بالله من نزغ الشيطان (وسوسته) ولغير ذلك من كلام خلقه، لا يخفى عليه منه شيء، عليم بالفعل، وبما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه.[1]

والاستعاذة مطلوبة عند تلاوة القرآن في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل : 98]، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون.[2]

والخطاب في آية (وإما ينزغنك)ونحوها موجه إلى كل المكلفين، وأولهم الرسول ﷺ . ويدأب الشيطان على إلقاء وساوسه في قلب كل إنسان، روى مسلم عن ابن مسعودﷺ أن النبي ﷺ قال: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم)[3].

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1. الأمر بالاستعاذة بالله عند وسوسة الشيطان وإغرائه بالمعصية: وذلك بأن يتذكر المرء عظيم نعم الله عليه، وشديد عقابه، فيدعوه كل واحد من الأمرين إلى الإعراض عن هوى النفس، والإقدام على طاعة أمر الشرع.[4]
2. الخطاب وإن كان للرسول ﷺ، إلا أنه تعليم وتأديب عام لجميع الخلق، والرسول ﷺ قد ينزغه الشيطان، والنزغ: الابتداء في الوسوسة.[5]

---

[1]– انظر: تفسير الثعلبي (319/4)، التفسير الوسيط للواحدي (438/2)، الوجيز للواحدي (428)، تفسير البغوي (317/3)، تفسير القرطبي (348/7)، تفسير الخازن(284/2).

[2] –انظر: تفسير الطبري (295/17)، تفسير الماتريدي (569/6)، تفسير ابن كثير (110/1).

[3] –صحيح مسلم (4/ 2167/ 2814)، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا.

[4]– تفسير الرازي (436/15).

[5]– انظر: أحكام القرآن (576/2)، أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1424 هـ، 2003م، وتفسير الرازي (436/15)، وتفسير الخازن(97/3)، وتفسير النيسابوري (305/4)، ونيل المرام من تفسير آيات الأحكام (359)، والقرآن ونقض مطاعن الرهبان(688/1).

3. التعقيب: (إنه سميع عليم) .. يقرر أن الله سبحانه سميع لجهل الجاهلين وسفاهتهم عليم بما تحمله نفسك من أذاهم، وفي هذا ترضية وتسرية للنفس، فحسبها أن الجليل العظيم يسمع ويعلم! وماذا تبتغي نفس بعد ما يسمع الله ويعلم ما تلقى من السفاهة والجهل وهي تدعو إليه.[1]

المطلب الثالث : فضيلة التقوى .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾[الأعراف : 201]

أولاً : المناسبة:

- لما كان لا يحصل للنبي ﷺ إلا شيء خفيف جدا كما نبه عليه بالنزغ، ولما كان لا يستعيذ بالله إلا المتقون فكان كأنه قيل: افعل ذلك عند أول نزغه لتكون من المتقين.[2]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- مسهم طائف: أصابهم شيء ألم بهم، أي وسوسة ما.[3]
- تذكروا: عقاب الله وثوابه.[4]
- فإذا هم مبصرون: الحق من غيره، فيرجعون.[5]

ثالثاً : البلاغة:

{إذا مسهم طائف} أي طواف على أنه مصدر، وهو إشارة إلى أن الشيطان دائر حولهم لا يفارقهم، فيكون قد مسهم مسا هو أكبر من النزغ لكونه أطاف بهم من جميع الجوانب.[6]

رابعاً : المعنى العام:

يوضح الله تعالى طريق التخلص من وساوس الشيطان، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾، أي إن عباد الله المتقين، الذين أطاعوه فيما أمر، وتركوا عنه ما زجر، إذا أصابهم طائف من الشيطان، أي ألمت بهم لمة منه، تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه، وذكروا عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فأبصروا السداد، وعرفوا طريق الحق والخير، ودفعوا ما وسوس به الشيطان إليهم، ولم يتبعوه أنفسهم، فإذا هم أولو بصيرة ووعي وعقل، وقد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه. وهذا الاعتصام بالله من الشيطان عمل وقائي، ولا شك أن الوقاية خير من العلاج.

فإذا وقع الإنسان في معصية بادر إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الله من قريب، حتى يمحو الله عنه أثر الذنب.[7]

---

[1]- في ظلال القرآن لسيد قطب (1419/3).

[2]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (205/8).

[3]- معاني القرآن وإعرابه للزجاج (396/2)، معاني القرآن للنحاس (120/3).

[4]- السراج المنير للشربيني (548/1)، العذب النمير للشنقيطي(446/4).

[5] -تفسير الجلالين (225)، السراج المنير للشربيني (548/1).

[6] -نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (205/8).

[7] -انظر:تفسير الزمخشري(191/2)،البحر المحيط لابن حيان(257/5)،التفسير الواضح لمحمد حجازي(799/1)

ومن المعروف أن للإنسان نزعة إلى الخير ونزعة إلى الشر، وبمقدار ما يجاهد به نفسه، ويتغلب على هوى نفسه، ووسوسة شيطانه، كان مثابا مقربا إلى الله تعالى، قال النبي ﷺ فيما رواه الترمذي وغيره عن ابن مسعودﷺ: (إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك، فليعلم أنه من الله، فليحمد الله على ذلك، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ من الشيطان، ثم قرأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾)[1][البقرة : 268].[2]

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1. الناس قسمان: المؤمنون المتقون، وإخوان الشياطين. أما المؤمنون المتقون فإنه إذا مسهم طائف من الشيطان وألمت بهم لمة تحملهم على المعاصي، تذكروا أمر الله ونهيه، وثوابه وعقابه، فأبصروا الحق وحذروا وسلموا، وإن تورطوا في المعصية ندموا وتابوا ورجعوا إلى الله تعالى. وأما إخوان الشياطين: وهم شياطين الإنس أو الفجار من ضلال الإنس أو الكفار والمشركون، فتمدهم الشياطين في الغي والضلال، ويغوون الناس، فيكون ذلك إمدادا منهم لشياطين الجن على الإغواء والإضلال. فبين الفريقين تعاون على الضلال والإثم. وسموا بإخوان الشياطين لأنهم يقبلون منهم.[3]
2. البصيرة حارسة للقلب، الذي هو بيت الرب، فإذا نامت طرقها الشيطان، فإن كان نومها خفيفا أحست به وطردته، وهذه بصيرة المتقين، الذين ذكرهم الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ [الأعراف : 202]، وإذا كان نومها ثقيلا سرق الشيطان ما فيها، ولم تفطن به، وهذه بصيرة الغافلين، الذين هم إخوان الشياطين.[4]
3. مس الشيطان للمتقي من باب الترقية له، والتحويش إلى ربه، فالنفس الزكية، المتقية لله تعالى بهداية الكتاب والسنة لا يكاد الشيطان يضلها، وإذا طاف بها طائف من وسوسته في حال الغفلة كان هو المذكر لها فإذا هي مبصرة قائمة بما يجب عليها. فمثلها في عدم تأثير الوسوسة فيها أو عدم إفسادها لها كمثل البدن القوي في عدم استعداده لفتك جراثيم الأمراض به، كما أن النفس الفاسدة الفطرة بالشرك أو النفاق والمعاصي وسوء الأخلاق تكون مستعدة لطاعة الشيطان كاستعداد البدن الضعيف والمزاج الفاسد لتأثير ميكروبات الأمراض.[5]

---

[1] سنن الترمذي (5/ 219 /2988)، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ، وصححه الألباني، في: (التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان 2/ 314).

[2]– انظر: تفسير ابن عطية (491/2)، تفسير البيضاوي (47/3)، تفسير الثعالبي (107/3)، التحرير والتنوير لابن عاشور (297/24).

[3]– تفسير الرازي (438/15)، التفسير المنير للزحيلي (223/9).

[4]– البحر المديد لابن عجيبة(298/2).

[5]– انظر : البحر المديد لابن عجيبة(299/2)، تفسير المنار لمحمد رضا (429/7).

4. في التعبير بالنزغ في مقام النبيﷺ، وبالمسّ وبالطائف في جانب المتقين، إشارة إلى أن ما يكيد به الشيطان للنبيّﷺ هو شيء عارض، لا يكاد يجاوز اللحظة العابرة، واللمسة المذعورة.. أما ما يكيد به الشيطان للمؤمنين فهو مس يكاد يحتويهم، ويطوف بهم، ويشتمل عليهم.. وذلك لأن النبي الكريم في مقامه العالي، من التقوى، ومن اليقظة، هو في حصن حصين، بحيث لا يكاد يجد الشيطان منفذا، وإن وجده فهو أضيق من سمّ الخياط.. وهكذا المؤمنون وما في قلوبهم من تقوى، فكلما كان رصيد المؤمن من التقوى عظيما، كلما أثر الشيطان فيه ضعيفا، لأن التقوى هي الحصن الذي يحتمي فيه المؤمن من أن يطوف الشيطان به، وكلما كان هذا الحصن متين الأركان، متماسك البنيان كلما ضاقت منافذ الشيطان وسدّت دون كيده الأبواب!.[1]

المطلب الرابع : سجية إخوة الشياطين وطبيعتهم .

﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف : 202]

أولاً : المناسبة:

أتبع سبحانه وتعالى الخبر عن إخوان الشياطين وركوبهم معاصيه، وصفهم بتماديهم فيها، وهو الأولى؛ لكونه عقيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها. وذلك لأن الضدية مناسبة يحسن بها عطف حال الضد على ضده، فلما ذكر شأن المتقين في دفعهم طائف الشياطين، ذكر شأن أضدادهم من أهل الشرك والضلال.[2]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- وإخوانهم: أي شياطين الإنس من ضلال الإنس أو الكفار والمشركون، وقيل المراد بهم: شياطين الجن.

ويرى الباحث الجمع بين القولين بأن لكل كافر أخ من شياطين الإنس والجن.[3]

- يمدونهم في الغي: يعاونهم الشياطين في الضلال.[4]
- ثم لا يقصرون: لا يكفون عن إغوائهم، فتراهم يستمرون فيها.[5]

---

[1] –انظر : التفسير القرآني للقرآن للخطيب (550/5).

[2]– تفسير الطبري (340/13)، التحرير والتنوير لابن عاشور (233/9)

[3]– انظر: تفسير الماتريدي (124/5)، وتفسير الرازي (438/15)، وتفسير القاسمي (244/5)، وفي ظلال القرآن لسيد قطب (1420/3)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (47/2)، لمحمد الأمين ابن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، دار الفكر، بيروت، 1415 هـ - 1995م.

[4] –تفسير الثعلبي (320/4)، تفسير البغوي (262/2).

[5] –انظر: تفسير البيضاوي (47/3)، تفسير الخازن(285/2)، حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي(247/4).

ثالثاً : البلاغة:

- وإخوانهم: جمع الضمير في هذه الكلمة وأفرد الشيطان لأن المراد به الجنس، كقوله: ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ﴾[البقرة : 257].[1]
- سماهم إخوانا لاجتماعهم على الضلالة كالإخوة من النسب في التعاطف به وحنين بعضهم إلى بعض لأجله كما سمى المؤمنين إخوانا بقوله تعالى إنما المؤمنون أخوة لتعاطفهم وتواصلهم بالدين.[2]
- (يمدونهم) عامة ما جاء في التنزيل مما يحمد ويستحب أمددت على أفعلت، كقوله: ﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون : 55] ، وقوله :﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ ﴾[الطور : 22]، وقوله:﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل : 36]، وما كان بخلافه فإنه يجيء على مددت قال:﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة : 15] من باب الاستهزاء والتهكم.[3]

رابعاً : القراءات:

الوجه هاهنا (لا يَقصورن) وهي فتح الياء، ومن ضم الياء (لا يُقصرون) استعمل ما هو للخير لضده كقوله: ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران : 21].[4]

خامساً : المعنى العام:

يذكر الله مدى تأثير الشيطان على الجاهلين الفاسدين فقال: وإخوانهم أي وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين، فإن الشياطين يتمكنون من إغوائهم، ويمدونهم في الغي أي الضلال، ويكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم، ولا يقصرون أبدا في حملهم على المعصية أي لا يمسكون عن إغوائهم، ولا يكفون عن إفسادهم، حتى يصروا على الشر والفساد لأنهم لا يذكرون الله إذا نزغ بهم الشيطان، ولا يستعيذون من وسواسه، إما لعدم إيمانهم، أو لخلو قلوبهم من التقوى.[5]

---

[1]– تفسير الزمخشري (191/2)، تفسير النسفي(627/1).

[2] –أحكام القرآن للجصاص (214/4).

[3]– انظر: تفسير الرازي (438/15)، تفسير القرطبي (352/7)، تفسير الألوسي (162/1)، تفسير النيسابوري (366/3).

[4]– انظر: الكنز في القراءات العشر (489/2)، لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1425 هـ – 2004م، وسراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (232)، لأبي القاسم علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعي المقرئ (المتوفى: 801هـ)، راجعه: علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة، 1373 هـ – 1954م، وشرح طيبة النشر في القراءات العشر (241)، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1420 هـ – 2000م، والمكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر (140)، لعمر بن قاسم بن محمد ابن علي الأنصاري أبو حفص، سراج الدين النشّار الشافعي المصري (المتوفى: 938هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ – 2001م.

[5]– انظر: تفسير الطبري (338/13)، تفسير ابن أبي حاتم (1643/5)، تفسير الماتريدي (124/5)، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب(2697/4)،

ما يستفاد من الآية:

1. عدوى الشر تجيء من إخوان السوء، وهم الذي يمدون في الغي ويجعلون الضال يسير شاردًا عن هداه، فالشر يستمر مع مقاومة الفطرة باستمرار دعاة الغي وأنصاره، وكان مدهم وتزيينهم مستمرا يغذي شجرة الشر، كما يغذي الماء القذر النبات الخبيث الذي لَا يكون إلا نكدا، فالشر يتغذى بدعاة الشر، وينمو ويغلظ سوقه بهم، سواء أكانوا آحادا، أم كانوا جماعات، ومن يرد إصلاح جماعة لَا يصلح آحادها ابتداء إنما يصلح نية الإخوان الذين يسيطرون على جوها العام أولا، ثم يصلحون الآحاد، فيصلحون بالجولة الأولى.[1]
2. أفاد قوله تعالى «ثم» تبعيد عدم الإقصار عن المدد، إذ يجب على العاقل إذا أقبل على غي أن يمسك عنه سريعا، دون أن يتمادى فيه وينهمك، ولهذا قيل: الرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل. [2]
3. النفوس إخوان القلب، فان النفس والقلب توأمان، فالقلب يمد النفس في الطاعة ولولا ذلك ما صدر من القلب معصية؛ لأنه جبل على الاطمئنان بذكر الله وطاعته، ثم لا يسأم كل واحد منهما من فعله ولا يدع ما جبل عليه؛ لئلا يأمن أرباب القلوب من كيد النفوس أبدا، ولا يقنط أرباب النفوس المسرفين على أنفسهم من رحمة الله من إصلاح أحوال قلوبهم أبدا.
4. البصيرة حارسة للقلب، الذي هو بيت الرب، فإذا نامت طرقها الشيطان، فإن كان نومها خفيفا أحست به وطردته، وهذه بصيرة المتقين، الذين ذكرهم الله تعالى بقوله:﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ [الأعراف : 202]، وإذا كان نومها ثقيلا سرق الشيطان ما فيها، ولم تفطن به، وهذه بصيرة الغافلين، الذين هم إخوان الشياطين.[3]

---

[1]- زهرة التفاسير لأبي زهرة لأبي زهرة (3042/6).

[2]- تفسير النيسابوري (366/3).

[3]- البحر المديد لابن عجيبة(298/2).

المبحث الرابع :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (203 . 206)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: القرآن أعظم المعجزات.

المطلب الثاني: وجوب الاستماع والإنصات عند تلاوة القرآن الكريم.

المطلب الثالث: ذكر الله رغبة ورهبة.

المطلب الرابع: الملائكة قدوة لنا في السجود.

المبحث الرابع :

المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (203 . 206)

المطلب الأول : القرآن أعظم المعجزات.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَآ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ **[الأعراف : 203)**

أولاً : المناسبة:

بعد أن ذكر الله تعالى فيما سبق إغواء الشياطين وإضلالهم، بين في هذه الآية نوعا خاصا من أنواع الإغواء والإضلال، وهو أنهم كانوا يطلبون آيات كونية معينة، ومعجزات مخصوصة، على سبيل التعنت، كقوله تعالى حكاية عنهم: وقالوا: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإسراء:90-91]، فإذا لم تأتهم بما طلبوا، قالوا: هلا اختلقتها من عند نفسك، جريا على اعتقادهم بأن القرآن من عند محمد: وقالوا: ما هذا إلا إفك مفترى.[1]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- وإذا لم تأتهم بآية: أي وإذا لم تأت أهل مكة بآية مما اقترحوا أو بآية من القرآن.[2]
- قالوا: لولا اجتبيتها: أي قالوا: هلا اخترعتها أو اختلقتها وأنشأتها من عندك، أو هلا طلبتها من الله.[3]
- إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي: أي إنما أنا متبع الوحي، ولست بمختلق للآيات من عند نفسي، أو لست بمقترح لها.[4]
- هذا بصائر: هذا القرآن بصائر للقلوب، أي مبصر لها، بها يبصر الحق، ويدرك الصواب، وهو حجج مبينات.[5]

---

[1]- انظر: تفسير الرازي (438/15)، تفسير النيسابوري (367/3)، أيسر التفاسير للجزائري (280/2).

[2]- انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (82/2)، وغريب القرآن (176)، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، تحقيق: سعيد اللحام ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (397/2).

[3]- انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (319/1)، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى - 1416 هـ، والبحر المحيط لابن حيان(260/5)، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن (284/3).

[4]- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (314)، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ -2000م، والتفسير الوسيط لطنطاوي (461/5).

[5]- تفسير البيضاوي (47/3)، تفسير أبي السعود (309/3).

ثالثاً : البلاغة:

- لما كان المقام داعيا إلى السؤال في تعليم الجواب، أسعف ذلك بقوله: {قل}.[1]
- هذا بصائر: تشبيه بليغ أي هذا كالبصائر، حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه، وأصله: هذا بمنزلة بصائر القلوب.[2]
- استخدام اسم الإشارة (هذا) للتنبيه على أن ما يوحى إليه يجب أن يكون مستحضرا في سائر الأذهان، حاضرا بين عيني كل إنسان.[3]

رابعاً : المعنى العام:

إذا لم تأت أيها الرسول أهل مكة بآية مما اقترحوا حدوثه، أو بآية من القرآن، قالوا: هلا اختلقتها وتقولتها من تلقاء نفسك، لزعمهم أن القرآن من عند محمد، وأنه متمكن من الإتيان بالآيات الكونية والمعجزات المخصوصة، أو هلا طلبتها من الله الذي يلبي لك حاجتك. فقل لهم يا محمد: إنما أنا متبع وحي ربي فقط، ولست بمفتعل أو مختلق للآيات، أو لست بمقترح لها، ولست قادرا على إيجاد الآيات. ونظير ذلك قوله تعالى: وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات، قال الذين لا يرجون لقاءنا: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، قل: ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي، إن أتبع إلا ما يوحى إلي.[4]

ثم نبههم الحق تعالى إلى ما يحقق الهدف، وأرشدهم إلى أن هذا القرآن أعظم المعجزات، وكأنه قال لهم: ما لكم تطلبون شيئا لا يفيدكم؟ وإنما لديكم هذا القرآن الذي يشتمل على مبصرات للقلوب، وحجج بينات، وبراهين نيرات، ودلائل واضحات من الله على صدقي، وأنه من عند الله، بها يبصر الحق، ويدرك الصواب، ويعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى، أو هو بمنزلة بصائر القلوب، كما قال تعالى في موضع آخر: قد جاءكم بصائر من ربكم، فمن أبصر فلنفسه، ومن عمي فعليها.[5]

وهذا القرآن هدى للحيارى إلى طريق الاستقامة، وهو أيضا رحمة في الدنيا والآخرة لمن يؤمن به، كما قال تعالى:﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام : 155]، فمن آمن به وعمل بأحكامه، فهو من المفلحين دون سواهم. وهذه الخصائص الثلاث متفاوتة البيان بحسب أحوال طالبي المعارف، فأعلاها الحق اليقين، وثانيها منهج الاستقامة للمعتدلين، وثالثها طريق الرحمة العامة بالمؤمنين.[6]

---

[1]– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (207/8).

[2] –تفسير القاسمي (244/5)، صفوة التفاسير (454/1).

[3]– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (208/8).

[4] –انظر: تفسير الطبري (340/13)، الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب(2700/4)، تفسير الزمخشري (192/2)، تفسير ابن عطية (493/2)، تفسير البيضاوي (47/3).

[5] – انظر : تفسير الزمخشري (192/2)، الموسوعة القرآنية (545/9).

[6]– انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (279/1)، إعراب القرآن للنحاس (87/2)، الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب(2700/4)، تفسير ابن عطية (493/2)، تفسير السعدي(314)، العذب النمير للشنقيطي(453/4).

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1. كان لأهل مكة مع النبي ﷺ مواقف تعنت وتشدد، ومطالب شبه مستحيلة، تهربا من الإيمان، وإصرارا على الكفر، وإمعانا في إيذاء النبي ﷺ، واتهامه بأخطر أنواع الاتهام، وهو افتراء القرآن وتمكنه من الإتيان بما شاؤوا من المعجزات وخوارق العادات.[1]
2. تقتصر مهمة النبي ﷺ على اتباع الوحي وامتثال ما أمر الله به، فإن أظهر الله معجزة أو آية على يديه قبلها، وإن منعها عنه لم يسأله إياها، إلا أن يأذن له في ذلك، فإنه حكيم عليم.[2]
3. هذا القرآن أعظم المعجزات وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبينات، فهو متصف بخصائص ثلاث: مبصر بالحق في دلالته على التوحيد والنبوة والمعاد وتنظيم الحياة بأحسن التشريعات، وهاد مرشد إلى طريق الاستقامة، ورحمة في الدنيا والآخرة، لكن لقوم يؤمنون بالله وبالحياة الآخرة، فمن آمن به وحافظ عليه وحكم به فأولئك هم المفلحون دون سواهم.[3]
4. الناس في معارف التوحيد والنبوة والمعاد قسمان: أحدهما: الذين بلغوا في هذه المعارف إلى حيث صاروا كالمشاهدين لها وهم أصحاب عين اليقين. والثاني: الذين ما بلغوا إلى ذلك الحد إلا أنهم وصلوا إلى درجات المستدلين: وهم أصحاب علم اليقين، فالقرآن في حق الأولين وهم السابقون بصائر، وفي حق القسم الثاني وهم المقتصدون هدى، وفي حق عامة المؤمنين رحمة، ولما كانت الفرق الثلاث من المؤمنين لا جرم قال: لقوم يؤمنون.[4]
5. ويستفاد: عدم مجاراة الكفار وعدم الاستجابة لما يريدون من طلبات بحجة الإثبات واستغلال الوقت والجهد مع المؤمنين في معرفة أمور دينهم من باب أولى .

---

[1]- انظر: تفسير النيسابوري (367/3)، تفسير الشعراوي (4540/8)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (207/8).

[2]- انظر : القرآن ونقض مطاعن الرهبان (705/1)، التفسير الحديث لدروزة عزت (560/2)، زهرة التفاسير لأبي زهرة لأبي زهرة (3049/6).

[3]- انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (279/1)، التفسير الواضح لمحمد حجازي(801/1)، التفسير القرآني للقرآن للخطيب (552/5)، أيسر التفاسير للجزائري (281/2).

[4] -انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (112/5)، تفسير الرازي (439/15)، تفسير المنار لمحمد رضا (460/9).

المطلب الثاني: وجوب الاستماع والإنصات عند تلاوة القران الكريم.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : 204]

أولاً : المناسبة:

لما ذكر الله تعالى أن القرآن بصائر للناس وآيات بينات للمؤمنين، وهدى ورحمة لهم، أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظاما له واحتراما، وتوصلا لنيل الرحمة به، والفوز بالمنافع الكثيرة التي يشتمل عليها، لا كما كان يفعل كفار قريش في قولهم:﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت : 26].[1]

ثانياً : سبب النزول:

عن أبي هريرةﷺ قال:نزلت:(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) في رفع الأصوات في الصلاة خلف النبي ﷺ. وأخرج أيضا عنه قال: كانوا يتكلمون في الصلاة، فنزلت: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ الآية. وأخرج عن الزهري قال: (نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئا قرأه). وقال سعيد بن منصور في سننه عن محمد بن كعب قال: كانوا يتلقفون من رسول الله ﷺ إذا قرأ شيئا قرءوا معه، حتى نزلت هذه الآية. وعقب السيوطي على هذه الروايات فقال: ظاهر ذلك أن الآية مدنية. يظهر من هذه الروايات أن الآية نزلت في الصلاة.

والذي يراه الباحث: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والأقرب أن يكون ذلك عاماً لا يخصصه شيء، فالاستماع إلى هذا القرآن والإنصات له حيثما قرئ هو الأليق بجلال هذا القول، وبجلال قائله سبحانه وتعالى.

ثالثاً : المفردات اللغوية:

– فاستمعوا: الفرق بين السمع والاستماع: أن الأول يحصل ولو بغير قصد، والثاني لا يكون إلا بقصد ونية.[2]

– وأنصتوا: الإنصات: هو السكوت للاستماع، من غير شاغل يشغل عن الإحاطة بكل ما يقرأ.[3]

رابعاً : المعنى العام:

إذا قرئ القرآن الكريم فأصغوا إليه أسماعكم، لتفهموا آياته وتتعظوا بمواعظه، وأنصتوا له عن الكلام مع السكون والخشوع، لتعقلوه وتتدبروه، ولتتوصلوا بذلك إلى رحمة الله بسبب تفهمه والاتعاظ بمواعظه، فإنه لا يفعل ذلك إلا المخلصون الذين استنارت قلوبهم بنور الإيمان.[4]

---

[1]– انظر: تفسير الرازي (439/15)، تفسير النيسابوري (367/3)، روح البيان (303/3).

[2]– روح البيان (303/3)، تفسير المنار لمحمد رضا (461/9).

[3]– انظر: العذب النمير للشنقيطي(458/4)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم (445)، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ)، مكتبه السنة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1423 هـ – 2003م، وفقه قراءة القرآن الكريم(57)، لأبي خالد سعيد عبد الجليل يوسف صخر المصري، مكتبة القدسى، القاهرة، الطبعة الأولى، 1418 هـ – 1997م.

[4]– تفسير المراغي (155/9)، بيان المعاني (137/4).

والآية تدل على وجوب الاستماع والإنصات للقرآن، سواء أكانت التلاوة في الصلاة أم في خارجها، وهي عامة في جميع الأوضاع وكل الأحوال، ويتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة، كما رواه مسلم في صحيحة من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا)[1]، وهذا هو المروي عن الحسن البصري، لكن الجمهور خصوا وجوب الاستماع والإنصات بقراءة الرسول ﷺ في عهده، وبقراءة الصلاة والخطبة من بعده يوم الجمعة لأن إيجاب الاستماع والإنصات في غير الصلاة والخطبة فيه حرج عظيم إذ يقتضي ترك الأعمال.[2]

وتستحب القراءة بالترتيل والنغم الدالة على التأثر والخشوع من غير تكلف ولا تصنع ولا تمطيط ولا تطويل في المدود، فقد روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت، يتغنى بالقرآن)[3].[4]

وثواب الاستماع كثواب التلاوة، روى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من استمع إلى آية من كتاب الله، كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة)[5].[6]

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1. الأدب مع القرآن الكريم أمر مطلوب شرعا، وعلى المسلمين أن يعظموا هذا القرآن، ويستمعوا له بخشوع وتدبر وحضور قلب، ليرحموا ويهتدوا.[7]
2. لا شك أن قوله: (فاستمعوا له وأنصتوا) أمر، وظاهر الأمر للوجوب، فمقتضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبا، وللناس فيه أقوال:

القول الأول: وهو قول الحسن وقول أهل الظاهر أنا نجري هذه الآية على عمومها ففي أي موضع قرأ الإنسان القرآن وجب على كل أحد استماعه والسكوت، فعلى هذا القول يجب الإنصات لعابري الطريق، ومعلمي الصبيان، **والقول الثاني:** أنها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة، قال أبو هريرة رضي الله عنه: كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت هذه الآية، وأمروا بالإنصات، وقال قتادة: كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم، كم صليتم وكم بقي؟ وكانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

---

[1]– صحيح مسلم (1/ 311/ 417)، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ مُبَادَرَةِ الْإِمَامِ بِالتَّكْبِيرِ وَغَيْرِهِ.

[2]– انظر: أحكام القرآن للجصاص(215/4)، وتفسير النسفي(628/1)، وفقه قراءة القرآن (57)، وتفسير آيات الأحكام (420)، لمحمد علي السايس، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية، 2002م.

[3]– صحيح مسلم (1/ 545/ 792)، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ.

[4]– التفسير القرآني للقرآن للخطيب (177/7)، محاضرات في علوم القرآن للقدوري (103).

[5] –مسند أحمد (14/ 191)، وضعف إسناده شعيب الأرناؤوط.

[6]– تفسير ابن كثير (538/3)، الدر المنثور للسيوطي (638/3).

[7] –انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (129/3). تفسير القشيري (600/1)، الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي (133).

والقول الثالث: أن الآية نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الإمام، قال ابن عباسﷺ قرأ رسول الله ﷺ في الصلاة المكتوبة وقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم، فخلطوا عليه، فنزلت هذه الآية.[1]

3. الإنصات من آداب أهل الألباب، قال الله تعالى في نعت تواصي الجن بعضهم لبعض عند حضور الرسول ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ﴾[الجن : 29]، فإذا كان الحضور إلى الرسول ﷺ يوجب هذه الهيبة عند الجن، فلزوم الهيبة وحفظ الأدب عند حضور القلب من قبل المؤمنين من الإنس أولى، قال تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه : 108].[2]

4. جواز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد فهب أن عموم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ [الأعراف : 204] يوجب سكوت المأموم عند قراءة الإمام، إلا أن قوله ﷺ : (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)[3]، أخص من ذلك العموم، وثبت أن تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد لازم فوجب المصير إلى تخصيص عموم هذه الآية بهذا الخبر.[4]

المطلب الثالث : ذكر الله رغبة ورهبة.

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾**[الأعراف: 205]**

أولاً : المفردات اللغوية:

- تضرعا: تذللا وإظهارا للضراعة، أي الخضوع والضعف.[5]
- وخيفة: خوفا وخشية من الله وعقابه. [6]
- ودون الجهر من القول: أي التوسط في الذكر دون الجهر برفع الصوت، وفوق السر والتخافت.[7]
- بالغدو: جمع غدوة: وهي ما بين صلاة الغداة (الفجر) إلى طلوع الشمس.[8]
- والآصال: جمع أصيل: وهو العشي ما بعد العصر إلى غروب الشمس، والمقصود: الذكر أوائل النهار وأواخره، أي في كل وقت.[9]

---

[1] –انظر: تفسير الرازي (439/15)، تفسير النيسابوري (367/3)، تفسير المنار لمحمد رضا (461/9).

[2]– تفسير القشيري (600/1).

[3]– صحيح البخاري (1/ 151).

[4]– تفسير الرازي (440/15).

[5] –نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (418/7)، السراج المنير للشربيني (481/1).

[6]– انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (83/2)، مجاز القرآن (238/1)، تنوير المقباس للفيروزآبادي(129).

[7] –تفسير المنار لمحمد رضا (464/9)، تفسير المراغي (154/9).

زاد المسير لابن الجوزي (184/2).

[8]– زاد المسير لابن الجوزي (184/2)، حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي (248/4).

[9]– معاني القرآن (344/1)، لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1990م، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (398/2).

ثانياً : البلاغة:

- (واذكر ربك)، ولم يقل: واذكر إلهك ولا سائر الأسماء، وإنما سماه في هذا المقام باسم كونه ربا، وأضاف نفسه إليه، وكل ذلك يدل على نهاية الرحمة والتقريب والفضل والإحسان، والمقصود منه، أن يصير العبد فرحا مبتهجا عند سماع هذا الاسم، لأن لفظ الرب مشعر بالتربية والفضل.[1]
- لفظ الرب يوجب الرجاء ولفظ التضرع والخيفة يوجب الخوف، فلما وقع الابتداء بما يوجب الرجاء، علمنا أن جانب الرجاء أقوى.[2]
- (في نفسك) تعيين ذكر الرب في النفس ليكون أدخل في الإخلاص وأبعد عن الرياء، وقيل: ليكون عارفا بمعاني الأسماء التي يذكرها بلسانه.[3]
- خص الله عز وجل هذين الوقتين؛ لأن فيهما تتغير أحوال العالم تغيرا عجيبا يدل على أن المؤثر فيه هو الإله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة القاهرة فكل من شاهد هذه التغيرات ينبغي له أن يذكر المؤثر فيها بالتضرع والابتهال والخوف من تحويل حاله إلى سوء الحال، وقيل: الغدو والآصال عبارتان عن الليل والنهار اكتفى عن ذكرهما بذكر طرفيهما، وقيل: لأن فيهما صلاتي الفجر والعصر اللتين تحضرهما ملائكة الليل وملائكة النهار، ويشهدان عند الله تعالى بما وجدا عليه العبد كما ورد في الصحيح.[4]
- التعقيب بقوله تعالى: (ولا تكن من الغافلين) للدلالة على أنه يجب أن يكون الذكر حاصلا في كل الأوقات وإن وقع التسامح بقلة الذكر فيما بين البكرة والأصيل؛ لأنه وقت العمل للمعاش، وعلى هذا يجب أن يكون الذكر القلبي دائما فلا يغفل الإنسان لحظة واحدة عن استحضار جلال الله وكبريائه بقدر الطاقة البشرية والقوة الإنسانية.[5]

ثالثاً : المعنى العام:

أمر الله تعالى بذكره أول النهار وآخره كثيرا، كما أمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾[ق : 39]، ومعنى الآية: اذكر ربك في نفسك سرا، بذكر أسمائه وصفاته وشكره واستغفاره، اذكره بقلبك: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد :28]، واذكره ضارعا متذللا خائفا راجيا ثوابه وفضله، واذكره بلسانك ذكرا متوسطا بين الإسرار والجهر: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء : 110]، والخطاب قيل: للنبي ﷺ، وقيل: لمستمع القرآن، والأولى أن يكون عاما.[6]

---

[1] –السراج المنير للشربيني (550/1)

[2]– تفسير الرازي (443/15)، تفسير النيسابوري (368/3)،

[3]– تفسير النيسابوري (368/3)،

[4] –انظر: تفسير الرازي (444/15)، روح البيان (306/3)، تفسير المنار لمحمد رضا (465/9).

[5]– انظر: تفسير الرازي (444/15)، تفسير النيسابوري (369/3)، تفسير المنار لمحمد رضا (465/9).

[6]– انظر: تفسير الزمخشري (192/2)، وتفسير الخازن(287/2)، وتفسير ابن كثير (538/3)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي (441/9)، وجامع البيان في تفسير القرآن (687/1)، لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (المتوفى: 905هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ – 2004م، وفتح القدير للشوكاني(320/2).

وينبغي أن يكون ذكر اللسان مقرونا باستحضار القلب وملاحظة المعاني، فذكر اللسان وحده لا نفع فيه ولا ثواب عليه، فالواجب الجمع بين الذكرين، وأن يكون الذكر رغبة ورهبة.[1]

وأنسب الأوقات للذكر: وقت الصباح والمساء وهو وقت الغدو والآصال لأن بقية النهار للعمل وكسب الرزق، ولأن هذين الوقتين وقت هجوع وسكون، جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار، فقال لهم النبي ﷺ: (يا أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته).[2]

ولا تكن من الغافلين تأكيد للأمر بالذكر، فهو نهي عن الغفلة عن ذكر الله، والواجب جعل القلب على صلة دائمة مع الله، وأن يشعر القلب الخضوع لله والخوف من قدرته وعظمته إذا غفل الإنسان عنه.[3]

رابعاً : ما يستفاد من الآية:

1. فائدة الأمر بذكر الله في النفس: أن انتفاع الإنسان بالذكر إنما يكمل إذا وقع الذكر بهذه الصفة، لأنه بهذا الشرط أقرب إلى الإخلاص والتضرع.[4]
2. على المسلم أن يكون ذاكراً لله تعالى في كل أوقاته، لا سيما أول النهار وآخره، وأن يكون هذا الذكر مصحوباً بآدابه وشروطه؛ ليكون مقبولاً عند الله سبحانه.[5]
3. من القيود المعتبرة في الذكر حصول التضرع، وإليه الإشارة بقوله تعالى: تضرعا وهذا القيد معتبر، ويدل عليه القرآن، والمعقول. أما القرآن فقوله في سورة الأنعام ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام : 63]، وأما المعقول: فلأن كمال حال الإنسان إنما يحصل بانكشاف أمرين: أحدهما: عزة الربوبية، وهذا المقصود، إنما يتم بقوله: واذكر ربك في نفسك، والثاني: بمشاهدة ذلة العبودية وذلك إنما يكمل بقوله: تضرعا.[6]

---

[1]- انظر: التفسير القرآني للقرآن للخطيب (554/5)، البحر المديد لابن عجيبة(301/2)، تفسير المنار لمحمد رضا (35/1).

[2]- تفسير ابن كثير (539/3)، في ظلال القرآن لسيد قطب (1426/3).

[3] -انظر: تفسير الطبري (357/13)، التفسير الوسيط للواحدي (441/2)، التفسير المظهري (456/3)، بيان المعاني (483/1).

[4]- انظر : تفسير الرازي (442/15).

[5]- انظر : التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (129/3)، في ظلال القرآن لسيد قطب (1427/3).

[6]- أحكام القرآن للجصاص(208/4)، تفسير الثعلبي (240/4).

4. إثبات كلام النفس لأنه تعالى لما أمر رسوله ﷺ بأن يذكر ربه في نفسه وجب الاعتراف بحصول الذكر النفساني ولا معنى لكلام النفس إلا ذلك، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تتكلم)[1]. [2]
5. الأمر بالذكر وإن كان ظاهره خطابا للنبي عليه السلام، إلا أنه عام في حق كل المكلفين، ولكل أحد درجة مخصوصة ومرتبة معينة بحسب استعداد نفسه ،كما قال في صفة الملائكة: وما منا إلا له مقام معلوم.[3]
6. السر في اختيار هذين الوقتين، فلأنهما أصلح الأوقات وأنسبها لذكر الله، واستحضار جلاله وعظمته، ففي أول النهار يتزود الإنسان بهذا الزاد الطيب، الذي يغذّى به مشاعره وأحاسيسه، ويشحن به عواطفه ونوازعه.. ثم يخرج إلى الحياة، ومعه هذا الرصيد العظيم من أمداد الله، ورحماته، فيواجه الحياة بقلب سليم، وعزم موثق، ولسان عفّ، ويد نقية.. فيكون من هذا كله في حراسة أمينة يقظة، فلا يزلّ ولا ينحرف!، فإذا كان آخر النهار، كان له إلى نفسه عودة ومراجعة، فيعرضها على الله، ويصلح ما وقع لها من خلل أثناء رحلتها مع الحياة طوال اليوم، وبهذا يظل المؤمن المتصل بالله هذا الاتصال يظل على الصحة والسلامة أبدا، فيقطع العمر معافى في دينه، سعيدا في دنياه، طامعا في رضى الله ورضوانه، يوم يقوم الناس لربّ العالمين.[4]

المطلب الرابع : الملائكة قدوه لنا في السجود.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ۩ ﴾ [الأعراف : 206]

أولاً : المناسبة:

لما رغب الله رسوله في الذكر وفي المواظبة عليه ذكر عقيبه ما يقوي دواعيه في ذلك.[5]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- إن الذين عند ربك: أي الملائكة.[6]
- ويسبحونه: ينزهونه عما لا يليق به.[7]
- وله يسجدون: أي يصلون لله ويخصونه بالخضوع والعبادة.[8]

---

[1]– صحيح البخاري (46/7/ 5269)، كِتَابُ الطَّلاَقِ، بَابُ الطَّلاَقِ فِي الإِغْلاَقِ وَالكُرْهِ، وَالسَّكْرَانِ وَالمَجْنُونِ وَأَمْرِهِمَا، وَالغَلَطِ وَالنِّسْيَانِ فِي الطَّلاَقِ وَالشِّرْكِ وَغَيْرِهِ.

[2]– العذب النمير للشنقيطي(461/4).

[3]– تفسير الرازي (445/15)، تفسير القاسمي (247/5).

[4] –انظر: التفسير القرآني للقرآن للخطيب (555/5)، الدر المصون للسمين الحلبي(552/5)، تفسير آيات الأحكام للسايس (423).

[5]– تفسير الرازي (445/15)، تفسير المنار لمحمد رضا (465/9).

[6]– تأويل مشكل القرآن (105)، غريب القرآن لابن قتيبة(176).

[7] –معاني القرآن وإعرابه للزجاج (398/2)، إعراب القرآن للنحاس (88/2).

[8] –تفسير القرآن الكريم لابن القيم (101)، تفسير النيسابوري (369/3).

ثالثاً : البلاغة:

– لما ذكر التسبيح أردفه بذكر السجود، وذلك يرجع إلى أعمال الجوارح، وهذا الترتيب يدل على أن الأصل في الطاعة والعبودية أعمال القلوب.[1]

– وله يسجدون: يفيد الحصر، ومعناه: أنهم لا يسجدون لغير الله.[2]

رابعاً : المعنى العام:

أكد الله تعالى الأمر والنهي السابقين بما يرغب في الذكر، فقال: إن الملائكة المقربين من الله، لا يتكبرون عن عبادة الله، وينزهونه عن كل ما يليق بعظمته وكبريائه، وله وحده يصلون ويسجدون، فلا يشركون معه أحدا.[3]

وهذا تذكير بفعل الملائكة، ليقتدى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم، لهذا شرع لنا السجود هاهنا وفي بقية سجدات التلاوة، وهذه أول سجدة في القرآن فيشرع لتاليها ومستمعها السجود بالإجماع.[4]

خامساً : ما يستفاد من الآية:

1. الملائكة مع نهاية شرفهم وغاية طهارتهم وعصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشهوة والغضب، وحوادث الحقد والحسد، لما كانوا مواظبين على العبودية والسجود والخضوع والخشوع، فالإنسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الجسمانيات ومستعدا للذات البشرية والبواعث الإنسانية أولى بالمواظبة على الطاعة، ولهذا السبب قال عيسى عليه السلام: وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا، وقال لمحمد ﷺ: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين.[5]
2. طُلب السجود ممن قرأ هذه الآية أو سمعها، وقد شرع سجود التلاوة إرغاما لمن أبى السجود من المشركين، واقتداء بالملائكة المقربين، روى الإمام مسلم عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله، أمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود، فأبيت فلي النار)[6]، وإذا سجد يقول في سجوده كما كان النبي ﷺ يقول: (اللهم احطط عني بها وزرا، واكتب لي بها أجرا، واجعلها لي عندك ذخرا)[7].[8]

---

[1] –تفسير النيسابوري (369/3).

[2] –انظر :تفسير الرازي (446/15)، روح البيان (308/3)،

[3]– انظر: تفسير الثعلبي (323/4)، تفسير البغوي (321/3)، تفسير الجلالين (226).

[4] –انظر: تفسير ابن كثير (488/3)، تفسير القاسمي (249/5)، في ظلال القرآن لسيد قطب (1426/3)، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (35).

[5]–انظر : تفسير الرازي (445/15)، تفسير النيسابوري (369/3).

[6] –سنن ابن ماجه (1/ 334).

[7]– سنن ابن ماجه (1/ 334).

[8]– روح البيان (309/3)، ، تفسير المنار لمحمد رضا (465/9).

3. ليس المسلم وحيداً في توجهه إلى الله تعالى، وإقباله على عبادته، بل إن الملائكة الكرام لا يستكبرون عن عبادة الله، ويسبحونه وله يسجدون، وفي هذا ما يطمئن القلوب، ويريح النفوس، ويبعث على الاستزادة من الذكر، والإقبال على الطاعة والعبادة.[1]
4. إن العبادة والذكر عنصر أساسي في منهج هذا الدين.. إنه ليس منهج معرفة نظرية، وجدل لاهوتي، إنه منهج حركة واقعية لتغيير الواقع البشري. وللواقع البشري جذوره وركائزه في نفوس الناس وفي أوضاعهم سواء. وتغيير هذا الواقع إلى الواقع الرباني مسألة شاقة عسيرة تحتاج إلى جهد طويل، وصبر عميق. وطاقة صاحب الدعوة محدودة. ولا قبل له بمواجهة هذه المشقة دون زاد يستمده من ربه. إنه ليس العلم وحده، وليست المعرفة وحدها. إنما هي العبادة لله والاستمداد منه. هي الزاد، وهي السند، وهي العون في الطريق الشاق الطويل![2]
5. أثبت الله لملائكته الكرامة والتشريف، وحفظ عليهم أحكام العبودية لئلا ينفك حال جمعهم عن نعت فرقهم، وهذه سنة الله تعالى مع خواص عباده يلقاهم بخصائص عين الجمع، ويحفظ عليهم حقائق عين الفرق: لئلا يطريهم البعض فيخلوا بآداب العبودية مع إثبات الكرامة وعلو المنزلة، إن هذه المنزلة التي لهم عند الله، لم تدخل عليهم بشيء من الكبر على الله، حيث لا متطلع لهم إلى منزلة غير تلك المنزلة، بل إن ذلك كان داعية لهم إلى دوام العبادة، ومواصلة التسبيح، حمدا لله على ما هم فيه، وشكرا له على ما أنعم به عليهم، واستدامة لتلك النعمة.[3]

---

[1]– التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (129/3).

[2]– في ظلال القرآن لسيد قطب (1428/3).

[3] –تفسير القشيري (601/1)، التفسير القرآني للقرآن للخطيب (555/5).

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب الثامن عشر

سورة الأنفال الآيات (1 . 23)

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الأول: تعريف بسورة الأنفال.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (1 . 4)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (5 . 8)

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (9 . 14)

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (15 . 19)

المبحث السادس: المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (20 . 23)

المبحث الأول: تعريف بسورة الأنفال

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تسميتها، نزولها، فضلها، عدد آياتها.

المطلب الثاني: الجو الذي نزلت فيه.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المطلب الرابع: بيان الأهداف والمقاصد لسورة الأنفال.

المبحث الأول: تعريف بسورة الأنفال

المطلب الأول: تسميتها، نزولها، فضلها، عدد آياتها:

أولاً: تسميتها:

تعريف الأنفال:

النفل: الغنيمة لأنها من فضل الله تعالى وعطائه.: النَّفَل والنافِلة ما كان زيادة على الأَصل لذا سمِّيت الغنائمُ أَنْفالاً[1]، وهو أن يقول الإمام تحريضاً على البلاء في الحرب: " من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه "[2]. وسميت سورة الأنفال بهذا الاسم لأنها نزلت تعالج قضيةً مهمةً حدثت في غزوة بدر الكبرى، حيث إنها أول غزوة يغزوها النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، ولم يك هناك علم بأمر الغنيمة وتقسيمها حتى كاد الشقاق يدب في صفوف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ﷺ : سورة الأنفال قال نزلت في بدر"[3]

ويقول أبو السعود[4]: "النفل الغنيمة سميت به لأنها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو أصل الأجر في الجهاد من الثواب الأخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام"[5].

1- انظر لسان العرب لابن منظور : (670/11).

2 -صحيح البخاري (92/4/ 3142)، كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ مَنْ لَمْ يُخَمِّسِ الأَسْلاَبَ، وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمِّسَ، وَحُكْمِ الإِمَامِ فِيهِ.

3 -صحيح البخاري (4645/61/6)، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ، قُلْ: الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}.

4- هو الشيخ أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي، ولد سنة 898هـ، بقرية قريبة من القسطنطينية، ونشأ في بيت عرف أهله بالفضل والعلم، اشتغل بالتدريس والقضاء والفتوى، توفي سنة 982هـ ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري بالقسطنطينية، انظر: الأعلام للزركلي (59/7).

5- تفسير أبي السعود (2/4).

ثانياً: نزولها:

صرح كثير من أهل العلم بأن سورة الأنفال مدنية نزلت في المدينة إلا آيتين منها، وهما: قوله تعالى:﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال : 30]. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنفال : 64]"[1].

ويقول الإمام القرطبي[2]: " سورة الأنفال سورة مدنية بدرية في قول الحسن و عكرمة وجابر و عطاء وقال ابن عباسﷺ: هي مدنية إلا سبع آيات من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخر السبع آيات"[3].

ثالثا: فضلها:

لقد ضعف أهل العلم ما ورد في فضل كثير من السور والآيات فيروى عن واثلة بن الأسقع الليثي – ﷺ– قال: قال: رسول الله ﷺ (أعطيت مكان التوراة السبع وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل)[4] ويقصد بالسبع:السور السبع الطوال من البقرة حتى الأنفال والتوبة. والمئين: هي السور التي يكون عدد آياتها مائة آية فأكثر.والمثاني: سورة الفاتحة وسميت بذلك لإنها تُثنى في كل صلاة."[5].

رابعاً: عدد آياتها:

يقول ابن كثير رحمه الله [6]: سورة الأنفال "آياتها خمس وسبعون آية،وكلماتها ألف كلمة وستمائة كلمة وإحدى وثلاثون كلمة حروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفا والله أعلم"[7].

---

1 –تفسير القرطبي (360/7).

2– أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن نوح الأنصاري الخزرجى كان مقره منية أبن خصيب (محافظة المنيا بمصر) توفى ودفن بها سنة 671هـ، وله كتاب جامع أحكام القرآن فى تفسير القرآن، موسوعة الأعلام(445/1).

3– تفسير القرطبي (360/7).

[4] مسند أحمد (28/ 188/ 16982)، وحسنه شعيب الأرناؤوط.

5– انظر: عقد الدرر فيما صح في فضائل السور، للأبناسي(25/1).

6– إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين حافظ مؤرخ ولد في قرية من أعمال بصرى الشام وانتقل مع أبيه إلى دمشق ورحل في طلب العلم حتى صار من الأئمة المشار إليهم وتوفى بدمشق وهو صاحب التفسير المشهور والبداية والنهاية في التاريخ سنة 774هـ، موسوعة الأعلام (479/1).

7– تفسير ابن كثير (5/4).

المطلب الثاني: الجو الذي نزلت فيه.

سورة الأنفال نزلت في جو ملئ بالغزوات والجهاد في سبيل الله فقد عالجت بعض النواحي الحربية التي ظهرت عقب بعض الغزوات وتضمنت كثيراً من التشريعات الحربية والإرشادات الإلهية التي يجب على المؤمنين إتباعها في قتالهم لأعداء الله وتناولت جانب السلم والحرب وأحكام الأسر والغنائم [1].

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

يقول الإمام البقاعي عن مناسبة أول سورة الأنفال لآخر سورة الأعراف: إن آخر"الأعراف" آخر قصة موسى – عليه السلام – المختتمة بقصة الرجل الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، وأنّ ما بعد ذلك إنما هو تتمات لما تقدم لابد منها وتتمات للتتمات حتى كان آخر ذلك مدح من أهلهم – بإذعان وتمام الخضوع، فلمَّا أضيفوا إلى تلك الحضرة العالية اقتضى ذلك سؤالاً عن حال الذين عند المخاطب ﷺ فأجيبَ بقوله تعالى (يسألونك) أي الَّذين عند ربك هم الذين هزموا الكفار في الحقيقة كما علمتم ذلك...فهم المستحقون للأنفال،وليس لهم إليها التفات، وإنّما همهم العبادة والذين عندك إنّما جعلتهم آلة ظاهرة،ومع ذلك، فهم يسألون(عن الأنفال) التي توليتهم إيّاها بأيدي جنودي سؤال منازعة ينبغي الاستعاذة بالله منها– كما نبَّه عليه آخر الأعراف – لأنّ ذلك يُفضِي إلى افتراق الكلمة والضعف عن مقاومة الأعداء"[2].

يقول الإمام البقاعي: (لما كانت مناسبة أول سورة التوبة – الداعية إلى البراءة ممن يخشى نقضه – لآخر الأنفال المبين لمن يصلح للولاية المختتم بشمول العلم في حد عظيم من الظهور، قدمت الأنفال مع قصرها على براءة مع طولها واشتباه أمرها على الصحابة في كونها سورة مستقلة أو بعض سورة كما قدمت آل عمران مع قصرها على النساء لمثل ذلك من المناسبة، فكان ما ذكر في براءة من البراءة والتولي شرحا لآخر الأنفال)[3]،(وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصة الأنفال، وقيل: سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال وتعدان السابعة من الطول وبعدها المئون، وهذا قول ظاهر لأنهما معا مائتان وست فهما بمنزلة سورة واحدة، وقال بعضهم: هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من يقول: هما سورتان)[4].

1- موسوعة القرآن الكريم

.http://forum.z88z.com/t882.htmlhttp://forum.z88z.com/t882.html

2- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (217/8).

[3]- نظم الدرر للبقاعي (8/ 356).

[4]- نظم الدرر للبقاعي (8/ 357).

وكان التفصيل في كل منهما من نبذ العهد إلى من خيف نقضه، وأن المسجد الحرام لا يصلح لولايته إلا المتقون، وأن المشركين نجس لا صلاحية فيهم لقربانه، وأن قلة حزب الله لا تضرهم إذا لزموا دعائم النصر الخمس وكثرتهم لا تغنيهم إذا حصل في ثباتهم لبس، والحث على الجهاد في غير موضع وضمان الغنى كما أشار إليه في الأنفال بقوله:﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 4] وكذلك أحكام الصدقات التي هي من وادي الغنائم، وذكر أصناف من تجب لهم الصدقات، والأمر بالإنفاق المشار إليه في الإنفاق وغيره كما فعلوا في مال التجارة الذي أرصدوه على غزوة أحد المشار إليه في الأنفال بقوله: ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ أي بالتناصر في الأنفال وغيره كما فعلوا في مال التجارة الذي أرصدوه حتى استعانوا به على غزوة أحد المشار إليه بآية:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [الأنفال: 36] مع آية (إلا تفعلوه) والأمر الجامع للكل أنهما معا في بيان حال النبي ﷺ في أول أمره وأثنائه ومنتهاه[1].

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير في كتابه: اتصالها بالأنفال أوضح من أن يتكلف بتوجيهه حتى أن شدة المشابهة والالتئام – مع أن الشارع عليه السلام لم يكن بين انفصالهما – أوجب أن لا يفصل بينهما (بسم الله الرحمن الرحيم)، وذلك أن الأنفال قد تضمنت الأمر بالقتال ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: 39] وبين أحكام الفرار من الزحف وحكم النسبة المطلوب فيها بالثبوت ولحوق التأثيم للفار وأنها على حكم الضعف وحكم الأسرى وحكم ولاية المؤمنين وما يدخل تحت هذه الولاية ومن يخرج عنها، ثم ذكر في السورة الأخرى حكم من عهد إليه من المشركين والبراءة منهم إذا لم يوفوا، وحكم من استجار منهم إلى ما يتعلق بهذا، وكله باب واحد، وأحكام متواردة على قصة واحدة، هو تحرير حكم المخالف، فالتحمت السورتان أعظم التحام، ثم عاد الكلام إلى حكم المنافقين وهتك أستارهم[2].

وأيضا فلما ذكر في آخر التي قبلها أمر العهد تارة بنبذه إلى من خيفت خيانته كائنا من كان في قوله:﴿ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: 59]وتارة بالتمسك به عند الأمن من ذلك في قوله: ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [النساء : 90] وبين من يصلح للموالاة ومن لا يصلح من المشركين، أي وإن كانت معاهدتكم لهم إنما كانت بإذن من الله ورسوله، فكما فعلتم المعاهدة بإذنهما فافعلوا النقض تبعاً لهما، ودل سياق الكلام وما حواه من بديع الانتظام أن العهد إنما هو لأجل المؤمنين، وأما الله ورسوله لأنه ما فعل ذلك به إلا وهو قادر على نصره بسبب وبغير سبب، وعلم أن ذلك فيمن نقض أو قارب من قوله بعد:﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا..﴾ الآية[التوبة : 4][3]

---

[1]– نظم الدرر للبقاعي (8/ 360).

[2] –نظم الدرر للبقاعي (8/ 361).

[3]– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (8/ 362).

؛ قال البغوي: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف، وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنفال : 59][1]، فخرج أبو بكر والمؤمنون –رضي الله عنهم– ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينهم وبينه أن لا يصد عن البيت أحد جاءه ولا يخاف أحد في الشهر الحرام)[2].

المطلب الرابع: بيان الأهداف والمقاصد لسورة الأنفال.

إن من أهم أهداف السورة ومقاصدها:

* زرع مفاهيم راسخة لدى الأمة وأفرادها بأن قوانين النصر ربانيّة ومادية، حيث إن سورة الأنفال نزلت عقب غزوة بدر التي كانت أولى الغزوات في تاريخ الإسلام، وبداية النصر لجند الله فسماها بعض الصحابة بسورة بدر، وسمّاها الله تبارك وتعالى في كتابه الخالد بـ(الفرقان)، لأنها تناولت أحداث الموقعة بإسهاب، ورسمت الخطة التفصيلية للقتال وبيّنت ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من البطولة والفداء بالوقوف في وجه الباطل بشجاعة وثبات، رغم قلة عدد المسلمين وعتادهم كان النصر حليفهم بعون الله تعالى وقدرته، ثم بأخذهم بكافة الأسباب المادية، وكانت أولى المعارك بين جند الحق وجند الباطل في التاريخ الإسلامي.

* بينت السورة لنا أن النصر والتمكين لا بد له من سنن، فالحق لا يحق والباطل لا يبطل بمجرد بيان نظري ولكن الحق يحتاج إلى قوة حتى تحقه، ولا يعقل أن يقوم أهل الباطل بالتسليم لأهل الحق حقوقهم على طبق من فضة إذ لا بد من القانون الإلهي قانون التدافع فالنصر لا يأتي صدفة، فسورة الأنفال تتحدث عن قانوني النصر في غزوة بدر والتي يمكن أن تكون سنن ربّانية (النصر من عند الله) وأخرى مادية (الاستعداد للقتال بالعدة والتهيئة النفسية والعسكرية).

* انقسمت السورة إلى قسمين رئيسيين، كل منهما يتناول أحد هذه القوانين. وهي تحتوي على توازن بينهما ولا بد من الثقة بأن النصر من عند الله،، ولكن لا بد من التخطيط والاستعداد ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 59]، بمعنى نبذل قصارى جهدنا ونتوكل على الله حتى ينصرنا.

---

[1]– تفسير البغوي (2/ 314).

2 – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (364/8).

ومن الطبيعي أن يعترض طريق المسلمين بعض الهنات فأراد الله أن ينبههم في أمر الغنائم التي هي من الدنيا والاختلاف عليها خلاف على الدنيا فلا ينبغي لثلة مؤمنة أن تلتفت إلى سفاسف الأمور بل تتطلع إلى معاليها، والله تعالى يريد أن يرسّخ في قلوب المسلمين قوانين النصر بعيداً عن الدنيا ورموزها، والغنائم قضية فرعية أمام القضية الهامة التي هي تقوى الله.

ولذا فإن السورة ابتدأت بالسؤال عن الأنفال في الآية الأولى﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1] ولم تأت الإجابة على السؤال إلا في الآية (41) وهو قوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ولهذا حكمة من الله تعالى. إذن فالمعنى أن سورة الأنفال تتحدث عن قوانين النصر وأكثر ما يؤثر على قوانين النصر الدنيا والأنفال هي من الدنيا فكأن الأنفال هي التي تضيّع النصر، وفي السورة تحذير للمسلمين من الفرقة من أجل الدنيا وتوجيههم إلى الوحدة والأخوّة والترابط والتخطيط والرجوع إلى الله لتحقيق النصر.

فكان القسم الأول: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾[آل عمران : 137]: تذكير أن الله تعالى هو الذي نصرهم فعلينا أن نثق بالله تعالى ونتوكل عليه لأنه صانع النصر. ودليل ذلك الآتي:

1- الترتيب للمعركة كان من الله تعالى : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ۞ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۞وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ۞ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: 4-8].

2- الإعداد النفسي للمعركة ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ [الأنفال : 11]، و﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال : 41]، و﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [الأنفال: 44].

3- نزول الملائكة قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:9] و ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : 12].

4- موعد ومكان المعركة بترتيب من الله تعالى : ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال: 42]. لمّا أنزل الله تعالى المطر جعل الأرض عند المسلمين صلبة تعينهم على خفة الحركة وجعل الأرض عند المشركين طينية أعاقت حركتهم في المعركة وهذا بتدبير الله عز وجل.

5- نتيجة المعركة قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال 10]، و﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال: 17].

كل هذه الآيات تدل على أن الله تعالى هو الذي صنع النصر في غزوة بدر.

وأما القسم الثاني من السورة: تناوله الربعان الأخيران من السورة ويتحدث في القوانين المادية للنصر وهي كالآتي:

1- أهمية التخطيط ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[الأنفال: 60].

فقد أمر الله تعالى المسلمين بإعداد أقصى ما نستطيع إعداده من أنواع القوة،حتى تتحقق قوة الردع للمشركين ومن ظاهرهم،لأن الباطل لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يذعن للحق، وأهل الحق لا يمتلكون أي عنصر من عناصر القوة، لذلك أعقبت الآية الإعداد ب ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها... ﴾ [الأنفال : 61] وكأن الله تعالى يقول لنا إن الأعداء لا يمكن أن يجنحوا للسلم إلا بعد وجود القوة لدى المسلمين.

2- موازين القوى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ۞ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[الأنفال: 65- 66]، الأسباب المادية مهمة أيضاً حتى إن هزيمة الكفار تعود إلى الأسباب المادية لأنهم لم يكونوا يفهمون الحرب جيداً ولم يعرفوا عدوهم.

3- الأخوّة والترابط: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال: 46]، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال: 36-64]. فقد حددت الآية عوامل النصر والأخوة والترابط، فأمرهم بطاعة الله ورسوله والوحدة وعدم الاختلاف، فقضية الأخوّة من أهم الأسباب المادية التي تصنع النصر فالمؤمنون مهما اختلفت أجناسهم أمة واحدة، وأهم عوامل الهزيمة الفرقة والتنازع، حيث ربط التنازع بالفشل وذهاب القوة.

4- صفات المؤمنين : وفي السورة أيضاً لفتة كريمة في صفات المؤمنين.نلاحظ أن الآيات في بداية السورة وصفت المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ۞ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال 2-4]. وفي ختام السورة جاء وصف المؤمنين أيضاً ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال: 74]، لكن هناك فرق بين الصفات في الآيتين وهذا الفرق هو إثبات لقانوني النصر في السورة، فصفات المؤمنين في (الآية رقم: 4) هي صفات إيمانية يتحلى بها المؤمنون الذين يثقون بالله وبقدرته وبأن النصر من عنده وجاءت في القسم الأول (السنن الإلهية). أما الآية (74) فأعطت صفات المؤمنين المناسبة للأمور المادية والقوانين المادية وجاءت في القسم الثاني للسورة (القوانين المادية) وهكذا مثلت صفات المؤمنين في السورة التوازن بين قوانين النصر الربانية والمادية.

5- النداءات الإلهية للمؤمنين : وجاءت في سورة الأنفال نداءات إلهية للمؤمنين ست مرات بوصف الإيمان {يا أيها الذين آمنوا} كحافز لهم على الصبر والثبات في مجاهدتهم لأعداء الله وتذكير لهم بأن هذه التكاليف التي أمروا بها من مقتضيات الإيمان الذي تحلوا به وأن النصر الذي حازوا عليه كان بسبب الإيمان:

النداء الأول: التحذير من الفرار من المعركة والوعيد للمنهزمين أمام الأعداء بالعذاب الشديد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾[الأنفال: 15].

النداء الثاني: الأمر بالسمع والطاعة لأمر الله وأمر الرسول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 20].

النداء الثالث: بيان أن ما يدعو إليه الرسول هو العزة والسعادة في الدنيا والآخرة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال: 24]

النداء الرابع: بيان أن إفشاء سر الأمة للأعداء هو خيانة لله ورسوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27].

النداء الخامس: التنبيه إلى ثمرة التقوى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم ﴾[الأنفال : 29].

النداء السادس: بيان طريق العزة وأسس النصر بالثبات والصبر واستحضار عظمة الله تعالى والاعتصام بالمدد الروحي الذي يعين على الثبات. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ﴾[الأنفال: 45][1].

1- انظر: موقع إسلاميات http://www.islamiyyat.com/sitemap.html.

ويقول الطاهر ابن عاشور: "في أهداف سورة الأنفال التالي "ابتدأت ببيان أحكام الأنفال وهي الغنائِم وقسمتها ومصارفها – والأمر بتقوى الله في ذلك وغيره – والأمر بطاعة الله ورسوله، في أمر الغنائم وغيرها – وأمر المسلمين بإصلاح ذات بينهم، وأن ذلك من مقومات معنى الإيمان الكامل– وذكر الخروج إلى غزوة بدر وبخوفهم من قوة عددهم وما لقوا فيها من نصر وتأييد من الله ولطفه بهم – وامتنان الله عليهم بأن جعلهم أقوياء – ووعدُهم بالنصر والهواية أن اتقوا بالثبات للعدو.

والصبر والأمر بالاستعداد لحرب الأعداء – والأمر باجتماع الكلمة والنهي عن التنازع – والأمر بأن يكون قصد النصرةِ للدين نصب أعينهم – ووصف السبب الذي أخرج المسلمين إلى بدر– وذكر مَواقع الجيْشين، وصفات ما جرى من القتال – وتذكير النبي ﷺ بنعمة الله عليه إذ أنجاه من مكر المشركين به بمكة وخلصه من عنادهم، وأن مقامه بمكة كان أماناً لأهلها فلما فارقهم فقد حق عليهم عذاب الدنيا بما اقترفوا من الصدّ عن المسجد الحرام – ودعوة المشركين للانتهاء عن مناوأة الإسلام وإيذانهم بالقتال – والتحذير من المنافقين – وضرب المثل بالأمم الماضية التي عاندت رسل الله ولم يشكروا نعمة لله – وأحكام العهد بين المسلمين والكفار وما يترتب على نقضهم العهد، ومتى يحسن السلم – وأحكام الأسرى – وأحكام المسلمين الذين تخلفوا في مكة بعد الهجرة. وولايتهم وما يترتب على تلك الولاية"[1].

1 – التحرير والتنوير لابن عاشور (247/9).

المبحث الثاني :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (1 . 4)

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأمر بتقوى الله وإصلاح ذات البين.

المطلب الثاني: صفات أهل الإيمان الكامل.

المطلب الأول : الأمر بتقوى الله وإصلاح ذات البين.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: 1]

أولاً : سبب النزول:

عن أبي أمامة قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال، فقال: (فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء)، أي عن سواء.[1]

وعن ابن عباسﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (من قتل قتيلا فله كذا وكذا، ومن أسر أسيرا فله كذا وكذا)، فتسارع في ذلك شبان القوم، وبقي الشيوخ تحت الرايات، فلما كانت المغانم، جاؤوا يطلبون الذي جعل لهم، فقال الشيوخ: لا تستأثروا علينا، فإنا كنا ردءا لكم، لو انكشفتم لفئتم إلينا، فتنازعوا، فنزلت.[2]

وعن سعد بن أبي وقاصﷺ أنه قتل سعيد بن العاص، وأخذ سيفه، واستوهبه النبي ﷺ فمنعه إياه، وأن الآية نزلت في ذلك، فأعطاه إياه لأن الأمر كله إليه ﷺ.[3]

قال الباحث: ولا تعارض بين هذه الروايات، فالآية نزلت في شأن قسمة غنائم بدر، لما اختلف المسلمون في قسمتها، إلا أن بعض الروايات تذكر سببا عاما للخلاف، وبعضها تذكر سببا خاصا، ولا مانع من وقوع الأمرين معا.

ثانياً : المفردات اللغوية:

- يسألونك: يا محمد، والسؤال بمعنى طلب العلم، والسؤال هنا سؤال استفتاء لا استعطاء، وموجه ممن حضر معركة بدر.[4]

---

[1]- مسند أحمد وحسنه المحقق (411/37)، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001م.

[2]- سنن أبي داود وصححه الألباني (77/3)، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

[3] -سنن سعيد بن منصور، وقال المحقق: سنده ضعيف، وأصل القصة صحيح ثابت (199/5)، لأبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: 227هـ)، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997م.

[4]- تفسير الخازن (290/2).

- عن الأنفال: غنائم بدر، والمراد بها هنا الغنائم الحربية، وهي ما حصل مستغنماً من العدو، بتعب كان أو بغير تعب، قبل الظفر أو بعده، وقد يراد بالأنفال جمع نفل: ما يشترطه الإمام للمجاهد، زيادة على سهمه.[1]
- لله والرسول: أي أن حكمها لله يجعلها حيث شاء، والرسول يقسمها بأمر الله.[2]

ذات بينكم: حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع، وذات البين: الصلة التي تربط بين شيئين، وهي رابطة الإسلام، وإصلاحها يكون بالوفاق والتعاون والمواساة والإيثار، وترك الأثرة أو حب الذات.[3]

- وأطيعوا الله ورسوله: في الغنائم وفي كل أمر ونهي وقضاء وحكم.[4]
- إن كنتم مؤمنين: أي فامتثلوا الأوامر الثلاثة. والمراد بالإيمان: التصديق، وقد يراد به كمال الإيمان.[5]

ثالثاً : البلاغة:

- وأطيعوا الله ورسوله: ذكر الاسم الجليل في هذا وفي قوله (فاتقوا الله) لتربية المهابة وتعليل الحكم.[6]
- وذكر الرسول مع الله تعالى لتعظيم شأنه والإعلام بأن طاعته طاعة لله تعالى.[7]
- توسيط الأمر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة لإظهار كمال العناية بالإصلاح.[8]

رابعاً : المعنى العام:

يسألونك أيها الرسول عن حكم الأنفال أي الغنائم لمن هي، وكيف تقسم؟ فقل لهم: إن حكمها لله أولا يحكم فيها بما يريد، ثم للرسول يقسمها بينكم كما أمر الله، فأمرها مفوض إلى الله ورسوله. وهذه الآية محكمة مجملة، بين إجمالها وفصل مصارفها آية أخرى في السورة نفسها هي قوله تعالى:﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: 42]، فلا تكون هذه ناسخة لتلك، وإنما توزع الغنائم، الخمس لهؤلاء المذكورين في هذه الآية، والأربعة الأخماس الباقية للغانمين. أما اليوم بعد تنظيم الجيوش ومنح رواتب دائمة للجند فتؤول للدولة، وللإمام بموجب هذا التفويض أن ينفل من شاء من المقاتلة تحريضا على القتال، كما قال النبي ﷺيوم حنين: (من قتل قتيلا فله سلبه)[9].[1]

---

[1] –البحر المديد لابن عجيبة (303/2).

[2]– تفسير ابن عطية (529/2).

[3]– تفسير المراغي (161/9).

[4]– تفسير المنار لمحمد رضا (489/9).

[5]– تفسير السمرقندي (4/2).

[6]– تفسير الألوسي (154/5)

[7]– التفسير الوسيط لطنطاوي (28/6).

[8]– تفسير آيات الأحكام للسايس (431).

[9]– صحيح البخاري (4/ 3142/92)، كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ مَنْ لَمْ يُخَمِّسِ الأَسْلاَبَ، وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمِّسَ، وَحُكْمِ الإِمَامِ فِيهِ.

وإذا كان أمر الغنائم لله ورسوله فاتقوا الله سبحانه في أقوالكم وأفعالكم، واجتنبوا ما كنتم فيه من التنازع والاختلاف فيها، الموجب لسخط الله وغضبه، والموقع في الفرقة والعداوة الضارة بكم حال الحرب وغيرها، وأصلحوا ذات بينكم من الأحوال، حتى تتأكد الرابطة الإسلامية بين بعضكم، وتشيع المحبة والمودة والوفاق والوئام بين صفوفكم، وأطيعوا الله ورسوله في الغنائم وفي كل ما أمر به ونهى عنه، وقضى به وحكم.[2]

إن كنتم مؤمنين مصدقين كلام الله وكاملي الإيمان، فامتثلوا هذه الأوامر الثلاثة، فإن التصديق الحق يقتضي الامتثال، وكمال الإيمان يوجب هذه الخصال الثلاثة: الاتقاء، والإصلاح، وإطاعة الله تعالى ورسوله، فالمؤمن بالله حقا يستحي من عصيانه، ويدفعه إيمانه إلى طاعة ربه، وإلى إصلاح ما بينه وبين الآخرين من خلاف.[3]

خامساً : ما يستفاد من الآية :

1. ليس كل نزاع أو خلاف شرا، فقد يؤدي الخلاف إلى خير، وقد كان خلاف الصحابة سببا في بيان حكم الأنفال.[4]
2. الله تعالى مصدر الأحكام الشرعية حقيقة، ومرجع إصدار الأحكام إلى الله أولا ثم إلى الرسول، لا إلى غيرهما.[5]
3. صلاح الجماعة وقوة الأمة وعزتها مرهون بأمور ثلاثة: تقوى الله في السر والعلن، وإصلاح ذات البين، أي الحال التي يقع بها الاجتماع، وطاعة الله والرسول.[6]
4. إحلال الغنائم مما اختص الله به الأمة الإسلامية، فهي من خصائص الإسلام بدليل ما ثبت عن جابر ﷺأن رسول الله ﷺ قال: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي- فذكر الحديث إلى أن قال- وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي)[7]. قال أبو عبيد: ولهذا سمي ما جعل

---

[1]- انظر: تفسير الطبري (379/13)، تفسير الزمخشري (195/2)، تفسير الرازي (449/15)، تفسير النسفي (629/1).

[2] -انظر: تفسير الماتريدي (161/2)، تفسير السمرقندي (4/2)، تفسير النيسابوري (373/3)، تفسير الألوسي (154/5)، التفسير الوسيط لطنطاوي (27/6).

[3] -انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (100/2)، تفسير ابن أبي حاتم (1655/5)، تفسير الخازن (290/2).

[4]- التفسير المنير للزحيلي (249/9).

[5]- روح البيان لحقي (311/3).

[6]- طريق الهداية لمحمد يسري (64).

[7]- صحيح البخاري (1/ 335/74)، كِتَابُ التَّيَمُّمِ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا، فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ}.

الإمام للمقاتلة نفلا: وهو تفضيله بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم، يفعل ذلك بهم على قدر الغناء (النفع) عن الإسلام، والنكاية في العدو.[1]

5. كان الصحابة حريصين على السؤال عما يهم من أمور الدين.[2]
6. امتثال أمر الله تعالى من ثمرات الإيمان، وإن سبيل المؤمن أن يمتثل أوامر الله.
7. في التنفيل (إعطاء النفل لبعض المقاتلين تشجيعا على القتال) سنن أربع لكل منها موضع:
   - لا خمس في النفل الذي هو السلب، أي ما يكون مع القتيل من سلاح ومال ومتاع.
   - النفل يكون من الغنيمة بعد إخراج الخمس المنصوص عليه في في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 41].
   - النفل الذي يكون من الخمس نفسه: هو ما يخرجه الإمام من حصته، وهو أن تحاز الغنيمة كلها، ثم تخمس، فإذا صار الخمس في يدي الإمام، نفل منه على قدر ما يرى.
   - النفل الخارج من جملة الغنيمة قبل أن يخمس منها شيء: هو أن يعطى الأدلاء ورعاة الماشية والسواق لها.[3]

المطلب الثاني: صفات أهل الإيمان الكامل.

﴿يسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [الأنفال : 1-4]

أولاً : المفردات اللغوية:

- ذكر الله: أي وعيده.[4]
- وجلت: خافت وفزعت.[5]
- زادتهم إيمانا: تصديقا.[6]
- وعلى ربهم يتوكلون: به يثقون لا بغيره وعليه يعتمدون وإليه يفوضون.[7]
- يقيمون الصلاة: يأتون بها كاملة بحقوقها.[8]

---

[1]– معاني القرآن للنحاس (171/3)، أحكام القرآن للجصاص (260/4).

[2] –تفسير العثيمين (371/2).

[3] –التفسير الحديث لدروزة عزت لدروزة (64/7)، تفسير الشعراوي (4706/8).

[4]– تفسير الخازن (290/2).

[5]– تفسير السمرقندي (4/2).

[6]– تفسير مقاتل بن سليمان (100/2).

[7] –الوجيز للواحدي (430).

[8] –السراج المنير للشربيني (554/1).

ثانياً : البلاغة:

- أولئك هم المؤمنون: الإشارة بالبعيد لعلو رتبتهم وشرف منزلتهم.[1]
- لهم درجات عند ربهم:الدرجات مستعارة لمراتب الجنة ومنازلها العالية.[2]

ثالثاً : المعنى العام :

إذا كان الإيمان مستلزما للطاعة، فإن الله تعالى ذكر خمس صفات للمؤمنين تدفعهم إلى تحقيق الخصال الثلاثة المتقدمة، وهذه الصفات هي ما يأتي:

1- الخوف التام من الله: الذين إذا ذكروا الله بقلوبهم، وأحسوا بعظمته وجلاله، وتذكروا وعده ووعيده، خافوا منه أتم الخوف. كما قال تعالى في آية أخرى:﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ..﴾ الآية [الأنفال : 35].[3]

2- زيادة الإيمان بتلاوة القرآن: الذين إذا تليت عليهم آياته القرآنية، زادتهم إيمانا ويقينا وتصديقا، وإقبالا على العمل الصالح لأن كثرة الأدلة والتذكير بها، يوجب زيادة اليقين، وقوة الاعتقاد، فالرؤية البصرية أو الحسية مثلا تقوي القناعة الذاتية، كما حدث لإبراهيم عليه السلام الذي كان مؤمنا، وطلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى: قال: ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [الأنفال : 260]، وهذا يدل على أن منزلة الطمأنينة في الإيمان أقوى وأعلى من مجرد الإيمان. ونظير الآية قوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح : 4] وقوله: وإذا ما أنزلت سورة، فمنهم من يقول:﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [التوبة : 124].[4]

3- التوكل على الله أي الاعتماد عليه والثقة به والتفويض إليه: الذين يتوكلون على ربهم وحده، وإليه يلجأون، ولا يرجون غيره، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، وذلك بعد اتخاذ الأسباب، فمن تعاطى الأسباب المطلوبة منه عقلا وعادة، ثم فوض الأمر لله، وأيقن أن الأمر كله بيد الله، فهو من أهل الإيمان. أما ترك الأسباب فهو جهل بمفهوم التوكل.[5]

---

[1]- تفسير أبي السعود (4/4).

[2]- التحرير والتنوير لابن عاشور (148/10).

[3] -انظر: تفسير الرازي (453/15)، تفسير الخازن (292/2)، تفسير أبي السعود (4/4)، مراح لبيد للجاوي (416/1)، تفسير المنار لمحمد رضا (490/9).

[4] -انظر: تفسير ابن كثير (12/4)، تفسير أبي السعود (113/4)، التحرير والتنوير لابن عاشور (65/11)، زهرة التفاسير لأبي زهرة (170/1).

[5]- انظر: تفسير الألوسي (171/5)، زاد المسير لابن الجوزي لابن الجوزي (188/2)، تفسير القرطبي (367/7)، تفسير ابن كثير (12/4)، الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي (134)، الدر المنثور للسيوطي (12/4)، البحر المديد لابن عجيبة (304/2).

4- إقامة الصلاة: الذين يقيمون الصلاة، أي يؤدونها كاملة الأركان والشروط من قيام وركوع وسجود وتلاوة وأذكار في مواقيتها المعينة شرعا، مع خشوع القلب، ومناجاة الرحمن، وتدبر قراءة القرآن.[1]

5- الإنفاق في سبيل الله: الذين ينفقون بعض أموالهم في وجوه الخير بإخراج الزكاة المفروضة، وأداء الصدقات التطوعية، والنفقات الواجبة للأصول والأهل، والمندوبة للأقارب والمحتاجين وفي مصالح الأمة وجهاد العدو، فإن الأموال عواري وودائع عند الإنسان لا بد أن يفارقها.[2]

وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها، لذا قال تعالى بعد بيانها:﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: 4] أي أولئك الموصوفون: بما ذكرهم دون غيرهم المؤمنون حق الإيمان، ثم ذكر الله جزاءهم، فقال: لهم درجات أي لهم منازل ومقامات ودرجات في الجنات على حسب أعمالهم ونواياهم، كما قال تعالى: هم درجات عند الله، والله بصير بما يعملون، ولهم مغفرة أي يغفر الله لهم السيئات، يشكر لهم الحسنات، ولهم رزق كريم: وهو ما أعد لهم من نعيم الجنة.

رابعاً : ما يستفاد من الآية:

1. زيادة الإيمان ونقصانه: استدل أكثر الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد والبخاري وغيرهم الذين يقولون: إن الإيمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والإقرار والعمل، استدلوا بهذه الآية: (زادتهم إيمانا) وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب بزيادة الأعمال الصالحة، ولو كان الإيمان عبارة عن المعرفة والإقرار، لما قبل الزيادة. [3]
2. استدل العلماء على أن الإيمان هو مجموع الأركان الثلاثة بقوله تعالى في تعداد أوصاف المؤمنين: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ وهو يدل على أن كل تلك الخصال داخل في مسمى الإيمان. ويؤيده الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[4].[5]

---

[1]- انظر: السراج المنير للشربيني (554/1)، الموسوعة القرآنية (547/9)، التفسير الواضح لمحمد حجازي (805/1)، التفسير الوسيط للزحيلي (1646/2).

[2] -فتح القدير للشوكاني (536/3)، التفسير الواضح لمحمد حجازي (805/1)،

[3]- انظر: تفسير ابن كثير (12/4)، تفسير النيسابوري (373/3)، الدر المنثور للسيوطي (12/4).

[4]- صحيح مسلم (1/ 63)، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ شُعَبِ الْإِيمَانِ.

[5]- انظر: تفسير النيسابوري (374/3)، وعناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي (212/1)، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ)، دار صادر، بيروت، وزهرة التفاسير لأبي زهرة (170/1).

3. ويستفاد: دلالة قوله تعالى:﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: على أن لكل شيء حقيقة، وأكد ذلك قصة حارثة[1]. وسأل رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد أمؤمن أنت؟ فقال له: الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب، فأنا به مؤمن. وإن كنت تسألني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : 2] والله ما أدري أنا منهم أم لا.

[1] عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟» قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا. فَقَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟» فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لِيَلِي، وَاظْمَأَنَّ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا. فَقَالَ: «يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ» ثَلَاثًا . (المعجم الكبير للطبراني (3/ 266).

المبحث الثالث:

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (5 . 8)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : غزوة بدر وفضلها

المطلب الثاني: تقرير قاعدة " عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ".

المطلب الثالث: وعد الله نافذ.

المطلب الأول : غزوة بدر وفضلها

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾[الأنفال : 5]

أولاً : المناسبة:

تتضح المناسبة بين هذه الآيات وبين ما قبلها من الكاف في (كما أخرجك الذي يقتضي تشبيه شيء بهذا الإخراج، وأحسن وجوه الربط أن الأنفال ثابتة لك، مثل إخراجك ربك من بيتك بالحق، والمعنى: امض لأمرك في الغنائم ونفل من شئت، وقيل: (كما أخرجك) متعلق بقوله: (لهم درجات) والمعنى: هذا الوعد للمؤمنين حق في الآخرة، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الواجب له، فأنجزك وعده، وأظفرك بعدوك، وأوفى لك، فكما أنجز هذا الوعد في الدنيا، كذا ينجزكم ما وعدكم به في الآخرة.[1]

ثانياً : سبب النزول:

عن أبي أيوب الأنصاريﷺ قال: قال لنا رسول الله ﷺ، ونحن بالمدينة، وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت: ما ترون فيها، لعل الله يغنمناها ويسلمنا؟ فخرجنا، فسرنا يوما أو يومين، فقال: ما ترون فيهم؟ فقلنا: يا رسول الله، ما لنا طاقة بقتال القوم، إنما خرجنا للعير، فقال المقداد: لا تقولوا كما قال قوم موسى: ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة : 24]، فأنزل الله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: 5].[2]

ثالثاً : المعنى العام:

هاجر النبي ﷺ وصحبه الذين آمنوا به من مكة إلى المدينة، بسبب اشتداد أذى قريش لهم، وترك المسلمون أموالهم وأرضهم وديارهم للمشركين في مكة، فلما سمع رسول الله ﷺ بأن قافلة لقريش محملة بالمؤن والأموال الكثيرة بزعامة أبي سفيان، قادمة من الشام، مع أربعين نفرا من قريش، انتدب المسلمين إليهم، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله أن ينفلكموها. فخرج معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، واتجهوا نحو ساحل البحر على طريق بدر.[3]

---

[1]- تفسير القرطبي (367/7)، إعراب القرآن للنحاس (90/2).

[2]- المعجم الكبير (174/4)، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، وضعفه علوي عبد القادر السقاف في تخريجه لأحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب (233/1)، دار الهجرة، الثانية، 1416 هـ - 1995م.

[3] -انظر: تفسير الطبري (394/13)، تفسير السمرقندي (5/2)، تفسير الثعلبي (330/4).

وكان أبو سفيان قد بعث حين دنا من الحجاز من يتجسس الأخبار، فعلم بخروج رسول الله ﷺفي طلبه، فبعث ضمضم بن عمرو الغفاري نذيرا إلى أهل مكة، يستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها مع أصحابه، فنهضوا قريبا من ألف، وتيامن أبو سفيان بالعير إلى طريق الشاطئ محاذيا له، فنجا بالعير والتجارة، وجاء النفير، فوردوا ماء بدر، وذلك بعد أن جمعوا جموعهم، واستنفر أبو جهل الناس من فوق الكعبة قائلا: النجاء، النجاء، على كل صعب وذلول، عيركم وأموالكم، إن أصابها محمد فلن تفلحوا أبدا.[1]

وخرج أبو جهل على رأس النفير، وهم أهل مكة، ثم قيل له: إن العير أخذت طريق الساحل، ونجت، فارجع بالناس إلى مكة، فقال: لا، والله، لا يكون ذلك أبدا، حتى ننحر الجزور، ونشرب الخمور، وتعزف القيان ببدر، فيتسامع جميع العرب بنا، وبخروجنا، وأن محمدا لم يصب العير، فأخبر رسول الله ﷺ الناس بما حدث واستشارهم، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام عمرﷺ فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله به، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فاذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد[2] لجالدنا معك من دونه، حتى نبلغه، فقال رسول الله ﷺخيرا، ودعا له بخير.[3]

وقال الأنصار: فتمنينا معشر الأنصار أن لو قلنا كما قال المقداد، أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم، ثم قال الرسولﷺ: (أشيروا علي أيها الناس) وكأنه يريد الأنصار، إذ كانت بيعة العقبة معهم أن ينصروه ويدافعوا عنه في دارهم بالمدينة، وتخوف ألا ينصرونه خارج المدينة، كما شرطوا ذلك في عهدهم، فقال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، فقال: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أمرك الله، فوالذي بعثك بالحق، لئن استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك، ما يتخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله ﷺ لقول سعد، ونشطه ذلك ثم قال: (سيروا على بركة الله، وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين: العير القادمة من الشام، وعلى رأسها أبو سفيان، أو النفير الآتي من مكة، لنجدتهم، وعلى رأسهم أبو جهل، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم).[4]

---

[1]– انظر: التفسير المنير للزحيلي (254/9)، الهداية إلى بلوغ النهاية (2735/4)، تفسير البغوي (270/2).

[2]– موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن دفن عنده عبد الله بن جدعان التيمي القرشي. (معجم البلدان (1/ 399).

[3] –انظر: تفسير الثعلبي (330/4)، تفسير ابن عطية (503/2)، أحكام القرآن لابن العربي (382/2)، تفسير ابن كثير (17/4).

[4]– انظر: تفسير الطبري (42/11)، تفسير الثعلبي (330/4)، تفسير ابن عطية (503/2)، تفسير ابن كثير (17/4)، التفسير الحديث لدروزة عزت لدروزة (17/7).

المطلب الثاني: تقرير قاعدة " عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ".

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال : 5-6]

أولاً : المفردات اللغوية:

- يجادلونك في الحق: القتال.[1]
- وهم ينظرون: إليه عيانا في كراهتهم له.[2]

ثانياً : البلاغة:

- كأنما يساقون إلى الموت: تشبيه تمثيلي.[3]

ثالثاً : المعنى العام:

إن حال الصحابة في كراهة تنفيل المقاتلة وقسمة الغنائم بالسوية مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب من بيتك بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها موضع هجرته ومسكنه، أو لأن بيته فيها، وكان إخراجا بالحق، أي متلبسا بالحكمة والصواب، وكان فريق من المؤمنين يكرهون الخروج، لعدم استعدادهم للقتال، لذا فإنه أخرجك في حال كراهيتهم الخروج، فالتشبيه بين الحالتين في مطلق الكراهة لأن بعض المسلمين في بدر كرهوا أمرين:

أولهما– كرهوا قسمة الغنيمة بينهم بالتساوي، وكانت تلك الكراهة من الشبان فقط لأنهم هم الذين قاتلوا وغنموا.

وثانيهما– كرهوا قتال قريش لأنهم خرجوا من المدينة بقصد الغنيمة ولم يستعدوا للقتال.[4]

ولكن الله تعالى قال لهم في الأمرين: كما أنكم اختلفتم في المغانم وتنازعتم فيها، فانتزعها الله منكم، وجعل قسمتها على يد الرسول ﷺ، فقسمها على العدل والتسوية، فكان هذا هو المصلحة التامة لكم، كذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء وقتال ذات الشوكة وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم وإحراز عيرهم، فكان عاقبة كراهتكم للقتال بأن قدره لكم، وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد، رشدا وهدى، ونصرا وفتحا، والنتيجة من الأمرين: أن امتثال أمر النبي ﷺفي كل منهما هو الخير والمصلحة والرشاد.[5]

---

[1]– تفسير مجاهد (352).

[2]– التفسير الوسيط للواحدي (445/2).

[3]– تفسير ابن جزي (321/1).

[4]– انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (39/6)، التفسير الوسيط للزحيلي (775/1)،

[5] –انظر: تفسير ابن كثير (14/4)، تفسير المنار لمحمد رضا (117/10)، زهرة التفاسير لأبي زهرة (3068/6).

يجادلك المؤمنون في الحق والرأي السديد وهو تلقي النفير، لإيثارهم عليه أخذ العير، بسبب قلة الرجال وكثرة المال، والخوف من قتال المشركين الأكثر عددا وعددا، يجادلونك بعد ما تبين لهم الحق وظهر الصواب، بإخبارك أنهم سينتصرون على كل حال، وأن الله وعدك إحدى الطائفتين: العير أو النفير، وبما أن العير قد نجت، فلم يبق إلا النفير، ولا داعي للقول بأننا لم نستعد للقتال، ولا وجه للجدل بعد ما تبين الحق وهو إعلام رسول الله ﷺبأنهم ينصرون، وحينئذ لا عذر لهم إلا خوفهم من القتال وجبنهم عن مقابلة الأعداء.[1]

ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم، وهم سائرون إلى الظفر والغنيمة بحال من يساق صاغرا إلى الموت المتيقن، وهو مشاهد أسبابه، ناظر إليها، لا يشك فيها.[2]

رابعاً : ما يستفاد من الآيات :

يستنتج أن الخير والمصلحة فيما أمر الله به، وليس فيما يرى الإنسان، فقد يرى ما هو ضار نافعا، وما هو نافع ضارا.

المطلب الثالث: وعد الله نافذ.

﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الأنفال : 7-8]

أولاً : المفردات اللغوية:

- إحدى الطائفتين: العير الآتية من الشام أو النفير التي جاءت من مكة للنجدة.[3]
- الشوكة: البأس والسلاح الذي فيه الحدة والقوة، وغير ذات الشوكة: هي العير.[4]
- تكون لكم: لقلة عددها وعددها بخلاف النفير.[5]
- بكلماته: السابقة، بظهور الإسلام.[6]
- ويقطع دابر الكافرين: يستأصل آخرهم الذي يأتي من ورائهم، لذا أمرهم بقتال النفير.[7]

---

[1]- انظر: التفسير الوسيط للواحدي (445/2)، تفسير الشعراوي (4583/8)، أيسر التفاسير للجزائري (285/2).

[2]- انظر: تفسير الزمخشري (199/2)، تفسير النيسابوري (377/3)، التحرير والتنوير لابن عاشور (268/9).

[3]- تفسير مقاتل بن سليمان (101/2).

[4] -تفسير الجلالين (228).

[5]- السراج المنير للشربيني (558/1).

[6]- تفسير ابن عطية (136/3).

[7]- تفسير الماتريدي (158/5).

البلاغة:

- ذات الشوكة: استعارة، استعار الشوكة للسلاح بجامع الشدة والحدة والوخز بينهما.[1]
- أن يحق الحق: بينهما جناس اشتقاق.[2]
- ليس هذا تكريرا لما سبق من إحقاق الحق لأن المعنيين متباينان لأن الأول لبيان مراد الله وأن هناك تفاوتا بينه وبين مرادهم، أي الصحابة، والثاني بيان الداعي والغرض فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها، وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض، وهو التغلب على صاحبة القوة.[3]
- ويقطع دابر الكافرين: كناية عن استئصالهم بالهلاك.[4]

ثالثاً : المعنى العام :

واذكروا حين وعدكم الله ملك إحدى الطائفتين: العير أو النفير، لكي تكون السلطة والغلبة لكم، وتتمنون أن تكون غير ذات الشوكة أي السلاح والقوة والمنعة وهي العير(القافلة) لكم لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا. وقد عبر عنها بذلك تعريضا لكراهتهم القتال وطمعهم في المال. والشوكة كانت في النفير لكثرة عددهم وتفوق عدتهم وأسلحتهم، ويريد الله لكم غير هذا وهو مقابلة النفير الذي له الشوكة والقوة، لينهزم المشركون، وينتصر المؤمنون، ويثبت الله الحق ويعليه بكلماته، أي بآياته المنزلة على رسوله في محاربة المشركين ذوي الشوكة، وبما أمر الملائكة من نزولهم لنصرة المسلمين، وبما قضى من أسرهم وقتلهم، وطرحهم في قليب بدر.[5]

ويريد الله أن يهلك المعاندين، ويستأصل شأفة المشركين، ويمحق قوتهم، ويبدد آثارهم، وقد فعل الله ما فعل، ووعد بما وعد، وأنجز النصر للمؤمنين، ليحق الحق، أي يثبت الإسلام ويظهره، ويبطل الباطل أي يمحق الكفر والشرك ويزيله، ولو كره المجرمون، أي المعتدون الطغاة. ولا يكون ذلك بمجرد الاستيلاء على العير، بل بقتل أئمة الكفر وزعماء الشرك.[6]

---

[1]– التحرير والتنوير لابن عاشور (270/9).

[2]– صفوة التفاسير للصابوني (462/1).

[3]– انظر: تفسير النسفي (633/1)، وأسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل لعبد القادر الحنفي (154)، وفتح الرحمن لزكريا الأنصاري (216/1)، والإعجاز اللغوي في القرآن الكريم (359)، من مناهج جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

[4] –زهرة التفاسير لأبي زهرة (3073/6).

[5]– انظر: تفسير الزمخشري (199/2)، تفسير الرازي (458/15)، تفسير البيضاوي (50/3)، تفسير البيضاوي (51/3).

[6] –انظر: تفسير الطبري (408/13)، السراج المنير للشربيني (558/1)، تفسير المنار لمحمد رضا (500/9)، تفسير المراغي (167/9).

وبما أن الحق حق لذاته، والباطل باطل لذاته، وما ثبت للشيء لذاته، فإنه يمتنع تحصيله بجعل جاعل، فيكون المراد من تحقيق الحق وإبطال الباطل إظهار كون ذلك الحق حقا، وإظهار كون ذلك الباطل باطلا، إما بإظهار الدلائل والبينات، وإما بتقوية رؤساء الحق، وقهر رؤساء الباطل.[1]

رابعاً : ما يستفاد من الآيات:

1. وعد الله رسوله والمؤمنين بالنصر، ووعده لا يتخلف، أما الحساب الظاهري لميزان القوى، فكثيرا ما يظهر عكسه، إذ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.[2]
2. الحق حق أبدا، ولكن إظهاره تحقيق له لأنه إذا لم يظهر أشبه الباطل. والإسلام هو الحق، وهو الذي يريد الله إظهاره وإعزازه، كما قال تعالى: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة : 33]، وقال: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء : 18].[3]
3. لا قرار للباطل، ولكن لا بد من إبطاله وإعدامه، كما أن إحقاق الحق إظهاره، والكفر والشرك هو الباطل، فيريد الله استئصال أهله الكافرين بالهلاك.[4]

5- أراد الله في بدر أن يجمع بين المؤمنين القلة وبين الكافرين الكثر أهل الشوكة والقتال، لينصرهم عليهم، ويظهر دينه، ويرفع كلمة الإسلام، ويجعله غالبا على الأديان، وهو أعلم بعواقب الأمور، وهو الذي يحسن التدبير لعباده المؤمنين، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم، كقوله تعالى: كتب عليكم القتال، وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا، وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.[5]

6- دل خروج النبي ﷺ ليلقى العير قبل معركة بدر على جواز النفير للغنيمة لأنها كسب حلال، والله وعد المؤمنين إحدى الطائفتين: العير أو النفير.[6]

---

[1]- انظر: تفسير الماوردي (297/2)، تفسير السمعاني (75/5)، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (247)، تفسير البغوي (272/2)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (485/2).

[2]- تفسير المراغي (170/9).

[3]- تفسير أبي السعود (31/8).

[4] -تفسير المنار لمحمد رضا (500/9).

[5] -تفسير ابن كثير (14/4).

[6]- تفسير القرطبي (376/7).

المبحث الرابع :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (9 . 14)

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الاستغاثة بالله وحده.

المطلب الثاني: الغاية من إرسال الملائكة.

المطلب الثالث : نعم الله في غزوة بدر.

المطلب الرابع: تعليم كيفية قتل أعداء الله.

المطلب الخامس : عاقبة مشاقة الله ورسوله.

المبحث الرابع :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (9 .14)

المطلب الأول : الاستغاثة بالله وحده.

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأ نفال : 6]

أولاً : المناسبة:

لما بين الله تعالى في الآية السابقة أنه يحق الحق ويبطل الباطل، بين أنه تعالى نصرهم عند الاستغاثة.[1]

ثانياً : سبب النزول:

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه، وهم ثلاثمائة ونيف أو (وبضعة عشر رجلا)، ونظر إلى المشركين، فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺالقبلة وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام، فلا تعبد في الأرض أبدا) قال: فما زال يستغيث ربه ويدعوه، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فرداه (أو فألقاه على منكبيه) ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فنزلت، فقال: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر : 45].[2]

ثالثاً : المفردات اللغوية:

– إذ تستغيثون ربكم: تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم.[3]

– ممدكم: معينكم.[4]

– مردفين: متتابعين، يردف بعضهم بعضا، مأخوذ من الإرداف: وهو الركوب وراءه، – – ووعدهم أولا بألف من الملائكة، ثم صارت ثلاثة، ثم خمسة.[5]

رابعاً : البلاغة:

إذ تستغيثون: أتى بصيغة المضارع عن الماضي لاستحضار الصورة في الذهن.[6]

---

[1]– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (231/8)، في ظلال القرآن لسيد قطب (1487/3).

[2] –صحيح مسلم (1384/3)، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ.

[3] –مراح لبيد للجاوي (418/1).

[4]– تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (145).

[5]– تفسير سفيان الثوري (116)، لأبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (المتوفى: 161هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1403 هـ 1983م، والدر المنثور للسيوطي (30/4).

[6]– فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (137/5)، زهرة التفاسير لأبي زهرة (3075/6).

خامساً : القراءات:

- مردفين بالكسر: وصف لألف، على أنهم أردفوا غيرهم، أي أردف كل ملك ملكا. مردفين بالفتح مع التخفيف: إما منصوب على الحال من الكاف والميم في ممدكم وإما في موضع جر لأنه صفة لألف، أي متبعين بألف.[1]

سادساً : المعنى العام :

اذكروا أيها المؤمنون وقت استغاثتكم ربكم، لما علمتم أنه لا بد من القتال، داعين: «إي ربنا انصرنا على عدوك، يا غياث المستغيثين أغثنا». والمراد تذكيرهم بنعمة الله عليهم الذي أجاب دعاءهم، ليشكروا، وليعلموا مدى فضل الله عليهم، ورحمته بهم.[2]

(فاستجاب لكم)، أي فأجاب دعاءكم بأني ممدكم بألف من أعيان الملائكة، مردفين أي يردف بعضهم بعضا ويتبعه، فيتقدم بعضهم ويعقبه الآخر، وهكذا تتابع الملائكة، وهذه هي الطليعة، ثم تبعها آخرون، فصاروا ثلاثة آلاف، ثم خمسة آلاف، كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ [آل عمران : 124] ثم قال: ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران : 125].[3]

سابعاً: ما يستفاد من الآية :

1. الاستغاثة على حسب الفاقة وعدم المنة والطاقة، والتحقق بانفراد الحق بالقدرة على إزالة الشكاة تيسير للمسئول وتحقيق للمأمول، فإذا صدقت الاستغاثة بتعجل الإجابة حصلت الآمال وقضيت الحاجة، بذلك جرت سنته الكريمة، فالنجاة من البلاء حاصلة، وفنون الإنجاز والإمداد بالطاقة متواصلة، والدعوات مسموعة، والإجابة غير ممنوعة، وزوائد الإحسان متاحة.[4]

---

[1]- تحبير التيسير في القراءات العشر (384)، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون(571/5).

[2]- انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (565/5)، اللباب في علوم الكتاب (459/9)، تفسير أبي السعود (7/4)، روح البيان (317/3)، فتح القدير للشوكاني (330/2)، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي للقنوجي (137/5).

[3]- انظر: تفسير الطبري (28/6)، التفسير المظهري (33/4)، العذب النمير للشنقيطي (504/4)، التفسير الوسيط لطنطاوي (46/6)، التفسير الواضح لمحمد حجازي (278/1).

[4]- لطائف الإشارات (605/1).

2. اختلفوا في أن الملائكة هل قاتلوا يوم بدر؟ فقال قوم نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر، وميكائيل في خمسمائة على الميسرة، وفيها علي بن أبي طالب في صورة الرجال عليهم ثيابهم بيض وقاتلوا. وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الأحزاب ويوم حنين، وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود: من أين كان الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال هو من الملائكة فقال أبو جهل: هم غلبونا لا أنتم، وروي أن رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في أثر رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالصوت فوقه فنظر إلى المشرك وقد خر مستلقيا وقد شق وجهه فحدث الأنصاري رسول الله ﷺ فقال (صدقت ذاك من مدد السماء)[1]، وقال آخرون: لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين، وإلا فملك واحد كاف في إهلاك الدنيا كلها فإن جبريل أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة، والكلام في كيفية هذا الإمداد مذكور في سورة آل عمران بالاستقصاء والذي يدل على صحة أن الملائكة نزلوا للقتال قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾ [آل عمران : 126]، قال الزجاج: ما جعل الله المردفين إلا بشرى، وهذا أولى لأن الإمداد بالملائكة حصل بالبشرى[2].
3. استشكل ما ظهر من خوف النبي ﷺ مع وعد الله له بالنصر عاما وخاصا ومن طمأنينة أبي بكر رضي الله عنه على خلاف ما كان ليلة الغار إذ كان النبي ﷺ آمنا مطمئنا متوكلا على ربه، وكان أبو بكر خائفا وجلا، قال الحافظ في الفتح: قال الخطابي: لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحال، بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم ؛ لأنه كان أول مشهد شهدوه، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال؛ لتسكن نفوسهم عند ذلك، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة، فالرسول ﷺ هو الذي أعطى كل مقام حقه: مقام التوكل المحض بعد استيفاء أسباب اتقاء أذى المشركين عند الهجرة، ومقام الخوف على جماعة المؤمنين عند بدر.[3]

---

[1] صحيح مسلم (3/ 1385)، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ.

[2] –تفسير الرازي (460/15)

[3] –تفسير المنار لمحمد رضا (502/9)

المطلب الثاني: الغاية من إرسال الملائكة.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 10]

أولاً : المفردات اللغوية:

- وما جعله الله: أي الإمداد.[1]
- ولتطمئن: تسكن بعد ذلك الاضطراب والخوف الذي عرض لكم إجمالا.[2]
- عزيز: غالب على أمره.[3]
- حكيم: يضع الشيء في موضعه.[4]

ثانياً : المعنى العام:

ما جعل الله إرسال الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بشرى لكم بأنكم منصورون، ولتسكن به قلوبكم من الاضطراب الذي عرض لكم، وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم، وليس النصر الحقيقي في الحروب إلا من عند الله، دون غيره من الملائكة أو سواهم من الأسباب الظاهرية، إن الله عزيز لا يغلب، حكيم لا يضع شيئا في غير موضعه، كما قال تعالى: ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم، ولكن ليبلوا بعضكم ببعض.[5]

قال الباحث: وهذا هو الراجح المؤيد في السنة النبوية بالروايات الصحيحة، ولولا الأحاديث الثابتة لكان للرأي الأول اعتبار واضح.

وقتال الملائكة مع المؤمنين لا يقلل من أهمية قيام المؤمنين بواجبهم في القتال على أتم وجه وأكمله، فإنهم قاتلوا قتالا مستميتا استحقوا به كل تقدير، جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لعمر رضي الله عنه لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعة: (إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال:اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم)[6].[1]

---

[1]- معاني القرآن للنحاس (134/3).

[2] -الهداية إلى بلوغ النهاية (1121/2).

[3] -تفسير الزمخشري (289/2).

[4]- العذب النمير للشنقيطي (109/5).

[5] -انظر: تفسير الطبري (190/7)، ودرة التنزيل وغرة التأويل (389/1)، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: 420هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد مصطفى آيدين، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001م، والهداية إلى بلوغ النهاية (1121/2)، وتفسير الماوردي (298/2)، وتفسير البغوي (503/1)، وزاد المسير لابن الجوزي لابن الجوزي (322/1).

[6] صحيح البخاري (8/ 57)، كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ مَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ مَنْ يُحْذَرُ عَلَى المُسْلِمِينَ لِيَسْتَبِينَ أَمْرُهُ ، ح: 6259.

ثالثاً: ما يستفاد من الآية :

1. عظم يوم بدر، وفضل أهلها، قال مالك: بلغني أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: كيف أهل بدر فيكم؟ قال: خيارنا، فقال: إنهم كذلك فينا[2]. وذلك لجهادهم، وأفضل الجهاد يوم بدر لأن بناء الإسلام كان عليه.[3]

المطلب الثالث : نعم الله في غزوة بدر.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ١١ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفال: 11-12]

أولاً : المفردات اللغوية:

- يغشيكم: يجعله عليكم كالغطاء، من حيث اشتماله عليكم.[4]
- النعاس: فتور في الحواس والأعصاب يعقبه النوم، فهو مقدمة له، وهو يضعف الإدارك، والنوم يزيله.[5]
- أمنة: أمنا مما حصل لكم من الخوف.[6]
- ليطهركم به: من الأحداث والجنابات.[7]
- رجز الشيطان: وسوسته لكم بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين، والمشركون على الماء.[8]
- وليربط على قلوبكم: يحبس، أي ليثبت القلوب ويحملها على الصبر واليقين.[9]

---

[1]- انظر: تفسير ابن كثير (21/4)، تفسير المنار لمحمد رضا (510/9)، في ظلال القرآن لسيد قطب (1483/3).

[2] صحيح البخاري (5/ 80)، كِتَابُ المَغَازِي ، بَابُ شُهُودِ المَلاَئِكَةِ بَدْرًا ، ح: 3992.

[3]- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للزهراني (40).

[4] -معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن (204/3)، لحسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الأولى، 2003 - 2008م.

[5]- تفسير النيسابوري (284/2).

[6] -معاني القرآن وإعرابه للزجاج (403/2).

[7]- تفسير مقاتل بن سليمان (104/2).

[8]- معاني القرآن (404/1)، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية، مصر، الطبعة الأولى.

[9]- تفسير الجلالين (229).

- ويثبت به الأقدام: أن تسوخ في الرمل.[1]
- فثبتوا الذين آمنوا: بالإعانة والتبشير.[2]
- الرعب: الخوف الشديد.[3]

ثانياً : البلاغة:

وينزل عليكم من السماء ماء: تقديم الجار والمجرور على المفعول به، للاهتمام بالمقدم، والتشويق إلى المؤخر.[4]

ثالثاً : المعنى العام:

يذكر الله نعمتين أنعم بهما على المسلمين يوم بدر، هما: إلقاء النعاس وإنزال المطر، فقال: اذكروا ما أنعم الله عليكم من إلقاء النعاس عليكم حتى غشيكم كالغطاء، أمانا أمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من رؤية كثرة عدوهم وقلة عددهم، وأراحهم من عناء السير، فمن غلب عليه النعاس لا يشعر بالخوف، ويرتاح ويجدد نشاطه وقوته، فعن علي ﷺقال: (ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة، حتى أصبح)[5]، وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها، فكان النوم للجمع العظيم في الخوف الشديد دفعة واحدة في حكم المعجزة.[6]

وأنزل الله عليكم أيضا مطراً من السماء ليطهركم به من الحدث والجنابة، ويذهب عنكم وسوسة الشيطان إليكم وتخويفكم من العطش، وقيل: يذهب عنكم الجنابة التي أصابت بعضكم لأنها من تخييله، وليربط على قلوبكم، أي بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء، وهو شجاعة الباطن، ويثبت به الأقدام، وهو شجاعة الظاهر، أي أن إنزال المطر حقق أربع فوائد: التطهير الحسي بالنظافة والشرعي بالغسل من الجنابة والوضوء، وإذهاب وسوسة الشيطان، والربط على القلوب أي توطين النفس على الصبر، وتثبيت الأقدام به على الرمال.[7]

---

[1]- تفسير السمعاني (251/2).

[2]- تفسير مقاتل بن سليمان (104/2).

[3] -بيان المعاني للعاني (278/5).

[4]- تفسير أبي السعود (9/4).

[5] مسند أحمد (2/ 299)، ح: 1023، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط.

[6]- تفسير ابن كثير (22/4)، تفسير الإيجي (8/2)، الدر المنثور للسيوطي (31/4)، تفسير المنار لمحمد رضا (507/9)، تفسير المراغي (174/9)، صفوة التفاسير للصابوني (460/1).

[7]- انظر: تفسير الطبري (427/13)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (403/2)، أحكام القرآن للجصاص (225/4)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (168/2)، تفسير البغوي (274/2).

ومن النعم المذكورة أيضا على المؤمنين في بدر نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها وهي إلهام الله الملائكة أنه معهم معية إعانة ونصر وتأييد، فقال: اذكروا إذ يوحي الله تعالى إلى الملائكة بأنه مع المؤمنين فانصروهم وثبتوا قلوبهم، وقووا عزائمهم، وذكروهم وعد الله أنه ناصر رسوله والمؤمنين، وأن من نعمه عليكم زرع الخوف والرعب في نفوس الكفار.[1]

رابعاً : ما يستفاد من الآيات :

1. لا بد للحق من أنصار، ولذلك تعددت نعم الله على عباده في بدر، على سبعة وجوه: الأولى:النصر عند الاستغاثة، وذلك بإمدادهم بأعيان الملائكة للمساعدة في القتال، والثانية: إلقاء النعاس عليهم ليلة اليوم الذي حدث فيه القتال، والثالثة: إنزال المطر من السماء لتحقيق الطهارة الحسية بالنظافة، والطهارة المعنوية بإذهاب وساوس الشيطان.، والرابعة: الربط على القلوب بإزالة الخوف والفزع عنهم، وإفراغ الصبر عليهم، والخامسة: تثبيت الأقدام على الرمال التي تلبدت بالمطر، والسادسة– الإيحاء إلى الملائكة أن الله مع المؤمنين، فانصروهم وثبتوهم، والسابعة: إلقاء الرعب والخوف في قلوب الكافرين. وهذه النعم السبع من النعم الجليلة التي أنعم الله بها على المؤمنين.[2]

المطلب الرابع: تعليم كيفية قتل أعداء الله.

﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾[الأنفال: 12]

أولاً : المفردات اللغوية:

- فوق الأعناق: أي الرؤوس.
- كل بنان: أي أطراف الأصابع من اليدين والرجلين.

ثانياً : المعنى العام :

فاضربوا رؤوسهم التي هي فوق الأعناق واقطعوها، واحتزوا الرقاب وقطعوها، وقطعوا الأطراف منهم وهي أيديهم وأرجلهم ذات البنان. والبنان: الأصابع، والمراد الأطراف. والمعنى أن الله أمرهم أن يضربوا المقاتل وغير المقاتل، ويجمعوا عليهم النوعين معا.

ثالثاً : ما يستفاد من الآية :

أهمية التعليم: فقد علم الله عز وجل عباده كيفية القتل: فأمر المؤمنين بقتل الكفار في المقاتل بضرب الهامات والرؤوس التي هي محمولة فوق الأعناق، وبضربهم في غير المقاتل بتقطيع الأيدي والأرجل ذات البنان لأن الأصابع هي الآلات في أخذ السيوف والرماح وسائر الأسلحة، فإذا قطع بنانهم عجزوا عن المحاربة.

---

[1] –انظر: تفسير المنار لمحمد رضا (509/9)، تفسير المراغي (176/9)، في ظلال القرآن لسيد قطب (1485/3)، العذب النمير للشنقيطي (548/4).

[2]– التفسير الوسيط لطنطاوي (43/6)، التفسير المنير للزحيلي (266/9).

المطلب الخامس : عاقبة مشاقة الله ورسوله.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[الأنفال : 13-14]

أولاً : المفردات اللغوية:

- ذلك: العذاب الواقع بهم.[1]
- أنهم شاقوا: خالفوا وعادوا، وسميت العداوة مشاقة لأنها تجعل كل طرف في شق أو جانب غير الآخر. [2]
- ذلكم: العذاب.[3]
- فذوقوه: أيها الكافرون في الدنيا، والذوق: تعرف طعم اليسير لمعرفة حال الكثير وأن للكافرين: في الآخرة.[4]

ثانيًا : البلاغة:

فذوقوه: عبر بالذوق الذي هو تعرف طعم اليسير لمعرفة حال الكثير عن تعجيل ما حصل لهم من الآلام في الدنيا، فكان المعجل كالذوق القليل بالنسبة إلى الأمر العظيم المعد لهم في الآخرة.[5]

ثالثاً : المعنى العام:

بين الله تعالى سبب تأييده ونصره المؤمنين، فقال: بأن ذلك بسبب أن المشركين شاقوا الله ورسولهﷺ، أي عادوهما وخالفوهما، فساروا في شق أو جانب وتركوا الشرع والإيمان به في شق آخر، وأن جزاء من يخالف أمر الله ورسولهﷺ ويعاديهما الهزيمة والخزي في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.[6]

ذلكم العقاب الذي عجلته لكم أيها الكافرون المشاقون الله ورسوله في الدنيا من خزي وذل وهزيمة ونكال وما تبع ذلك من قتل وأسر، فذوقوه عاجلا، ولكم في الآخرة عذاب جهنم إن أصررتم على الكفر.[7]

---

[1]- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (332).

[2] -تفسير الزمخشري (205/2)

[3] -تفسير السعدي (317).

[4]- الموسوعة القرآنية (203/8).

[5]- وظيفة الصورة الفنية في القرآن (239)، باهر البرهان لبيان الحق (559/1).

[6]- انظر: تفسير الطبري (433/13)، تفسير السمرقندي (11/2)، تفسير الزمخشري (205/2)، تفسير الخازن (299/2).

[7] -انظر: تفسير الماتريدي (165/5)، لطائف الإشارات (608/1)، تفسير البغوي (276/2)، تفسير النسفي (636/1)، تفسير الخازن (299/2).

رابعاً : ما يستفاد من الآيات:

1. أوجب الإسلام دفن جثث القتلى ولو كانوا من الأعداء، فقد أمر النبي ﷺ بدفن قتلى المشركين السبعين في بدر في القليب وهي البئر العادية القديمة الكائنة في البراري، روى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثا، ثم قام عليهم فناداهم فقال: (يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا) فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يسمعون وأني يجيبون وقد جيفوا؟ قال: (والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا)، ثم أمر بهم، فسحبوا فألقوا في القليب، قليب بدر[1].[2]
2. الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار.[3]

---

[1]- صحيح مسلم (4/ 2202)، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ.

[2]- التفسير المنير للزحيلي (272/9).

[3] -أحكام القرآن لابن العربي (384/2).

المبحث الخامس :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (15 . 19)

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : حكم الفرار من العدو عند اللقاء.

المطلب الثاني: خلق العبد وخلق فعله.

المطلب الثالث : معجزة التراب لرسول ﷺ.

المطلب الرابع: كرم الله لأوليائه.

المطلب الخامس : النصر مرهون بحبل الله.

المبحث الخامس :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (15. 19)

المطلب الأول : حكم الفرار من العدو عند اللقاء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[الأنفال : 15 -16]

أولاً : المناسبة:

الآيات مرتبطة بما قبلها في تعليم المؤمنين قواعد القتال، بمناسبة قصة بدر، ففي الآية السابقة أمرهم بضرب الهامات والرؤوس، وتقطيع الأيدي والأرجل، وهنا ذكر الله حكما عاما أيضا في الحروب، وهو تحريم الفرار من الزحف في مواجهة الأعداء إلا لمصلحة حربية، مثل التحرف للقتال أو التحيز إلى فئة.[1]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- زحفا: أي مجتمعين، كأنهم لكثرتهم يزحفون لأن الكل كجسم واحد متصل، فيظن أنه بطيء وهو في الواقع سريع، والمراد: جيشا زاحفين نحوكم لقتالكم.[2]
- الأدبار: جمع دبر وهو الخلف، ويقابله القبل، ويكنى بهما عن السوأتين، والمراد من قوله: فلا تولوهم الأدبار الهرب منهزمين.[3]
- ومن يولهم يومئذ: أي يوم لقائهم.
- متحرفا" منحرفا أو منعطفا إلى جانب آخر مظهرا الانهزام خدعة ثم يكر، بأن يريهم الفرار مكيدة، وهو يريد الكرة متحيزا منحازا أو منضما إلى جماعة أخرى ليقاتل العدو معها.[4]
- والفئة: الجماعة من المسلمين التي يستنجد بها. وأصل الفئة: الطائفة من الناس.[5]
- باء: رجع متلبسا به.[6]
- ومأواه" المأوى: الملجأ الذي يأوي إليه الإنسان أو الحيوان.[7]
- وبئس المصير: المرجع هي.[8]

---

[1]- البحر المحيط لابن حيان (292/5).

[2] -فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي للقنوجي (145/5).

[3]- تفسير القرطبي (380/7).

[4]- التفسير الوسيط للواحدي (448/2).

[5]- تفسير المنار لمحمد رضا (513/9).

[6] -تفسير الخازن (299/2).

[7]- تفسير المراغي (178/9).

[8]- السراج المنير للشربيني (561/1).

ثالثاً : المعنى العام :

يا أيها الذين صدقوا بالله ورسوله، إذا اقتربتم من عدوكم ودنوتم منهم حال كونهم جيشا زاحفين نحوكم لقتالكم، فلا تفروا منهم، مهما كثر عددهم، وأنتم قلة، ولكن اثبتوا لهم وقاتلوهم، فإن الانهزام أمامهم محرم إلا في حالتين:

إحداهما: أن يكون المقاتل مظهرا أنه منهزم، ثم ينعطف على عدوه، ويكر عليه ليقتله، والحرب خدعة.

والثانية: أن يكون منضماً إلى جماعة أخرى من المسلمين لمقاتلة العدو معها، يعاونهم ويعاونونه. فيجوز له ذلك في هاتين الحالتين، أما فيما عداهما، فمن فر أو انهزم وجبن عن القتال – ما لم يزد العدو عن الضعف لقوله تعالى: ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: 66]– فقد رجع متلبسا بغضب من الله، ومأواه الذي يلجأ إليه في الآخرة جهنم، وبئس المصير هي، وبئس المصير مصيره.[1]

رابعاً : ما يستفاد من الآيات :

1. تحريم الفرار من القتال أمام العدو إلا في حالتين: التحرف لقتال، أو التحيز إلى فئة. ولكن هذا الحكم مقيد عند الجمهور بألا يزيد عدد الأعداء عن ضعف المسلمين، فإذا لقيت فئة من المؤمنين فئة هي ضعف المؤمنين من المشركين، فالفرض ألا يفروا أمامهم، فمن فر من اثنين فهو فار من الزحف، ومن فر من ثلاثة فليس بفار من الزحف، ولا وعيد عليه، لقوله تعالى:﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 66]، فالمسلم مطالب بالثبات أمام اثنين من الأعداء، وهذا ما استقر عليه التشريع.[2]

---

[1]– انظر: تفسير الإمام الشافعي (868/2)، لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي الشافعي (المتوفى: 204هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: الدكتور أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1427 – 2006م، وتفسير ابن أبي حاتم (1669/5)، والنكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (464/1)، لأحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو 360هـ)، تحقيق: علي بن غازي التويجري، وإبراهيم بن منصور الجنيدل، وشايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار ابن عفان، الرياض الطبعة الأولى، 1424 هـ – 2003م، وتفسير البغوي (277/2)، وتفسير القرطبي (380/7)، وتفسير البيضاوي (53/3)، وتفسير ابن كثير (27/4).

[2]– الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي (134)، فتح القدير للشوكاني (335/2)، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي للقنوجي (145/5).

2. الفرار معصية كبيرة موبقة، بظاهر القرآن وإجماع أكثر الأئمة للحديث المتقدم عن السبع الموبقات، التي منها(التولي يوم الزحف).أما الهرب من الزحف إذا زاد عدد الأعداء عن ضعف المسلمين فهو مباح لما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ ، فحاص الناس حيصة، فكنت فيمن حاص[1]، فقلنا: كيف نصنع، وقد فررنا من الزحف، وبؤنا بالغضب؟ ثم قلنا: لو دخلنا المدينة، ثم بتنا، ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ، فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: «من القوم؟» فقلنا: نحن الفرارون، فقال: «لا، بل أنتم العكارون[2] أنا فئتكم، وأنا فئة المسلمين»[3].[4]

المطلب الثاني: خلق العبد وخلق فعله.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾ [الأنفال: 17]

أولاً: المفردات اللغوية:

- فلم تقتلوهم: ببدر بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصره إياكم.[5]

ثانياً: المعنى العام:

يعلل الله عز وجل ضرورة الثبات والصبر أمام العدو بنصره على الأعداء، فقال: فلم تقتلوهم أي إن افتخرتم بقتلهم، فأنتم لم تقتلوهم بقوتكم وعدتكم، ولكن الله قتلهم بأيديكم لأنه هو الذي أنزل الملائكة، وألقى الرعب في قلوبهم، وشاء النصر والظفر، وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع، كما قال تعالى: قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم، ويخزهم، وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين.[6]

---

[1]- أي هرب.

[2]- الكرارون العطافون.

[3]- مسند أحمد (9/ 282).

[4]- انظر: تفسير البيضاوي (53/3)، تفسير ابن كثير (27/4)، السراج المنير للشربيني (561/1)، البحر المديد لابن عجيبة (313/2)، تفسير آيات الأحكام للسايس (432).

[5]- تفسير الماوردي (304/2).

[6] -انظر: تفسير الزمخشري (207/2)، تفسير الرازي (466/15)، تفسير البيضاوي (53/3)، تفسير النسفي (636/1)، تفسير الخازن (300/2)، التفسير المظهري (38/4)، التحرير والتنوير لابن عاشور (40/25).

ثالثاً : ما ستفاد من الآية :

استدل أهل السنة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لأنه قال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ومن المعلوم أنهم جرحوا الأعداء، فدل هذا على أن حدوث تلك الأفعال إنما حصل من الله.[1]

المطلب الثالث : معجزة التراب لرسول ﷺ.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ **[الأنفال: 17]**

أولاً : سبب النزول:

وما رميت: المشهور عند أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت في رمي النبي ﷺ يوم بدر القبضة من حصباء الوادي، حين قال للمشركين: شاهت الوجوه، ورماهم بتلك القبضة، فلم يبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء.[2]

ثانياً: المفردات اللغوية:

- وما رميت يا محمد أعين القوم إذ رميت بالحصى لأن كفا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ولكن الله رمى بإيصال ذلك إليهم، ليقهر الكافرين.[3]
- حسنا: بالغنيمة، والاختبار يكون بالنقم لمعرفة الصبر، وبالنعم لمعرفة الشكر، والمراد هنا الاختبار بالنعم.[4]

ثالثاً: المعنى العام:

وما رميت أيها الرسول إذ رميت المشركين في الظاهر بالقبضة من الحصباء التي رميتها، فأنت ما رميتها في الحقيقة لأن رميك لا يبلغ أثره إلا ما يبلغه سائر البشر في العادة، ولكن الله رماها، حيث أوصل ذلك التراب إلى عيونهم، فصورة الرمي صدرت من الرسول ﷺ، وأثره إنما صدر من الله، والعبرة بإحداث الأثر فعلا، فالله هو الذي بلغ أثر ذلك الرمي إليهم، وكبتهم بها، لا أنت.[5]

---

[1]- انظر: تفسير الطبري (441/13)، تفسير الراغب الأصفهاني (21/1)، تفسير الرازي (466/15)، تفسير القرآن الكريم لابن القيم (297)، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم للمطيري (94).

[2]- انظر :تفسير الثعلبي (338/4)، الصحيح المسند من أسباب النزول (99)، لمقبل بن هادي بن مقبل الوادعي (المتوفى: 1422هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1408هـ- 1987م.

[3]- تفسير الألوسي (172/5).

[4]- فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي للقنوجي (150/5).

[5]- انظر: تفسير السمعاني (255/2)، تفسير البغوي (278/2)، تفسير الرازي (466/15)، تفسير الخازن (301/2)، تفسير القرآن الكريم لابن القيم (297).

ويكون الفرق بين فعله تعالى في القتل وبين فعل النبي والمؤمنين: أن الله هو المؤثر الحقيقي الفعال في تحقيق النتائج، وأما فعل البشر فهو القيام بالأسباب الظاهرة المقدورة لهم التي كلفهم بها ربهم، كما هو الحال في جميع كسب البشر وأعمالهم الاختيارية، من كونها لا تستقل في تحقيق غاياتها إلا بفعل الله وتأثيره.[1]

رابعاً: ما يستفاد من الآية :

1. المؤمن مطالب بتعاطي الأسباب الظاهرية، والقيام بالتكليف الذي كلفه الله، ثم يتوكل على الله ويفوض الأمر إليه، أما تحقيق النتائج والأهداف فهو متروك قطعا لله عز وجل، لا بقوة الإنسان وقدرته، لهذا صح النفي والإثبات في قوله: وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى أي أن صورة الرمي صدرت من الرسول ﷺ، وأثرها إنما صدر من الله.[2]
2. الإخلاص في الجهاد، وصدق اللقاء، والثقة بالله سبب رضوان الله على أهل بدر، وإعطائهم البلاء الحسن، أي الإنعام عليهم، أي ينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصرة والغنيمة والأجر والثواب.[3]

المطلب الرابع: كرم الله لأوليائه.

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[الأنفال: 18]

أولاً: المفردات اللغوية:

- ذلكم: أي الإبلاء حق.[4]
- وأن الله موهن: مضعف.[5]
- كيد الكافرين: تدبيرهم الذي يقصد به غير ظاهره.[6]

ثانياً: المعنى العام:

بشارة أخرى مع ما حصل لهم من النصر، وهي أنه تعالى أعلمهم بأنه مضعف كيد الكافرين في المستقبل، محبط مكرهم، مصغر أمرهم، جاعل كل ما لهم في تبار ودمار.[7]

---

[1] –انظر: تفسير الطبري (442/13)، البرهان في علوم القرآن (60/2)، تفسير المراغي (181/9)، التحرير والتنوير لابن عاشور (293/9)، التفسير الوسيط لطنطاوي (65/6).

[2]– تفسير الراغب الأصفهاني (21/1)، تفسير الألوسي (174/5).

[3] –انظر: لطائف الإشارات (422/3)، تفسير الألوسي (194/5).

[4]– الجدول في إعراب القرآن لمحمود صافي(192/9).

[5]– توفيق الرحمن في دروس القرآن (288/2)، لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: 1376هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، الرياض، ودار العليان، بريدة، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1996م.

[6]– زهرة التفاسير لأبي زهرة (3088/6).

[7] –انظر: تفسير الطبري (449/13)، لطائف الإشارات (612/1)، الوجيز للواحدي (434)، تفسير الزمخشري (208/2)، تفسير الرازي (468/15).

ثالثاً : ما يستفاد من الآية :

أن الباطل مهما علا وانتفش فإن كيده إلى زوال وأن الله عز وجل جعل زوال كيدهم من السنن الجارية إلى قيام الساعة في هذا الكون وأنه وحده هو المتكفل في زواله والمطلوب منا عدم العجلة عليهم فإن الله يعد لهم عدا.

المطلب الخامس : النصر مرهون بحبل الله.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ **[الأنفال: 19]**

أولاً: سبب النزول:

عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال: كان المستفتح أبو جهل، فإنه قال حين التقى القوم: أينا كان أقطع للرحم، وأتى بما لا نعرف، فأحنه (أهلكه) الغداة، وكان ذلك استفتاحا، فأنزل الله: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) إلى قوله:(وأن الله مع المؤمنين).[1]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- إن تستفتحوا: تطلبوا أيها الكفار الفتح والنصر في الحرب أي الفصل والقضاء في الأمر، حيث قال أبو جهل: «اللهم أينا كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة» أي أهلكه.[2]
- فقد جاءكم الفتح: القضاء بهلاك من هو كذلك، وهو أبو جهل ومن قتل معه.[3]
- وإن تنتهوا: عن الكفر والحرب.[4]
- وإن تعودوا: لقتال النبي ﷺ نعد لنصره عليكم.[5]
- ولن تغني: تدفع.[6]

---

[1] السنن الكبرى (106/10)، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001م، والمحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة رواية ودراية (557،558/1)، لخالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى،1427 هـ - 2006م.

[2] تفسير ابن كثير (28/4).

[3] معاني القرآن وإعرابه للزجاج (408/2).

[4] بيان المعاني للعاني (282/5).

[5] البحر المديد لابن عجيبة (315/2).

[6] تفسير البيضاوي (54/3).

ثالثاً: البلاغة:

(إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)الخطاب للمشركين على التهكم مثل: ذق إنك أنت العزيز الكريم.[1]

رابعاً: المعنى العام :

يخاطب الله عز وجل أهل مكة على سبيل التهكم قائلا لهم: إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح، أي إن تستنصروا لأعلى الجندين وأهداهما، وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين، فقد جاءكم ما سألتم، وتم النصر للأعلى والأهدى، وحدث الهلاك والذلة للأدنى والأضل.[2]

ثم أنذرهم الله، وحذرهم بقوله: إن تنتهوا عن الكفر والتكذيب بالله ولرسوله، وعداوة النبي ﷺ فهو خير لكم في الدنيا والآخرة وأجدى من الحرب التي جربتموها وما أحدثت من قتل وأسر وإن تعودوا لمحاربته وقتاله، وإلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة، نعد إلى نصره وهزيمتكم، كما قال تعالى لبني إسرائيل: وإن عدتم عدنا.[3]

ولن تفيدكم جماعتكم شيئا ولو كثرت، إذ ليست الكثرة دائما من وسائل النصر أمام القلة، فقد يحدث العكس إذا اقترن فعل القلة بالصبر والثبات والإيمان والثقة بالله تعالى.[4]

وأن الله مع المؤمنين بالنصر والتأييد والتوفيق إلى النجاح، فلو جمعتم ما قدرتم من الجموع، فإن من كان الله معه، فلا غالب له، كما قال تعالى: إن جندنا لهم الغالبون، وقال: ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[المائدة : 56]، وقال:﴿ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[الحديد : 19].[5]

خامساً : ما يستفاد من الآية :

1. إن كل قوى الكفار تتبدد أمام قدرة الله وإرادته ونصره عباده المؤمنين، فأوهن الله كيدهم وألقى الرعب في قلوبهم، وفرق كلمتهم، وأطلع المؤمنين على عوراتهم، وخزاهم وأذلهم، وهددهم بالعودة إلى خذلانهم إن عادوا لمحاربة النبي ﷺ والمؤمنين، وأنبأهم بدحر قواتهم مهما كثرت، وأن الله مؤيد بنصره المؤمنين، ولكن مع كل هذا فتح الله باب الأمل أمامهم بالعودة عن الكفر والشرك والمعاداة إلى الإيمان والطاعة والإسلام واتباع النبي ﷺ ومؤازرته وتأييده، رحمة منه بعباده، والله رؤف بالعباد.[6]
2. أن المسلمين لا يقاتلون أعدائهم بمقياس كثرة العدد والعدة مع ضرورة توافرها أخذاً بالأسباب لكن معية الله ونصرته لأوليائه هي الدافع الرئيس للنصر والتمكين.

---

[1] –تفسير الزمخشري (208/2).

[2]– انظر: تفسير الزمخشري (208/2)، تفسير البيضاوي (54/3)، البحر المحيط لابن حيان (297/5).

[3] –انظر: تفسير الطبري (95/11)، في ظلال القرآن لسيد قطب (1491/3)، صفوة التفاسير للصابوني (462/1).

[4]– انظر: تفسير الرازي (468/15)، اللباب في علوم الكتاب (485/9)، البحر المديد لابن عجيبة (315/2).

[5]– انظر: التفسير الوسيط للواحدي (451/2)، تفسير الخازن (303/2)، تفسير الإيجي(12/2).

[6]– التفسير المنير للزحيلي (282/9).

المبحث السادس :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (20 . 23)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : الأمر بطاعة الله ورسوله.

المطلب الثاني : منازل الناس بأعمالهم.

المطلب الأول : الأمر بطاعة الله ورسوله؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾[الأنفال: 20-21]

أولاً : المناسبة:

لما خاطب الله المشركين والكفار بقوله: ﴿ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾أتبعه بتأديب المؤمنين بالأمر بطاعة الله والرسول إذا دعاهم للجهاد وغيره لأن الكلام من أول السورة إلى هنا في الجهاد. ومن عادة القرآن مقابلة الأشياء ببعضها، فلما حذر الكافرين، اقتضى تنبيه المؤمنين لئلا يتقاعسوا عن الدفاع عن الدين وإجابة دعوة النبي الكريم ﷺ.[1]

ثانياً :المفردات اللغوية:

- ولا تولوا عنه: تعرضوا عن الرسول ﷺ، بمخالفة أمره.[2]
- وأنتم تسمعون: القرآن والمواعظ.[3]
- وهم لا يسمعون: سماع تدبر واتعاظ، وهم المنافقون أو المشركون.[4]

ثالثًا : المعنى العام:

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين المعاندين له، فقال: يا أيها المتصفون بالإيمان والتصديق أطيعوا الله ورسوله في الدعوة إلى الجهاد وترك المال، ولا تتركوا طاعته أي الرسول وامتثال أوامره وترك زواجره، فإذا أمر بالجهاد وبذل المال وغيرهما، امتثلتم، والحال أنكم تسمعون كلامه ومواعظه، وتعلمون ما دعاكم إليه. والمراد بالسماع: سماع تدبر وفهم وتأمل في المسموع، كما هو الشأن في المؤمنين أن يقولوا: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[البقرة : 285].[5]

ويحذرهم أن يكونوا مثل الذين قالوا: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾، وهم المنافقون والمشركون، فإنهم يتظاهرون بالسماع والاستجابة، وليسوا كذلك، والحال أنهم لا يسمعون أبدا.[6]

---

[1] –تفسير الرازي (469/15).

[2]– تفسير السمرقندي (14/2)

[3] –تفسير البغوي (281/2).

[4]– إعراب القرآن للنحاس (94/2).

[5] –انظر: تفسير الإمام الشافعي (870/2)، تفسير الطبري (97/11)، تفسير الماتريدي (174/5)، تفسير السمرقندي (14/2)، التفسير الوسيط للواحدي (451/2)، تفسير الرازي (469/15).

[6]– انظر: تفسير القرطبي (388/7)، والبحر المحيط لابن حيان (299/5)، وتفسير ابن كثير (33/4)، وتفسير الإيجي (13/2)، ومختصر تفسير سورة الأنفال، (11/12)، لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

رابعاً : ما يستفاد من الآيات :

1. الأمر بطاعة الله والرسول، والتحذير من مخالفة أمرهما ونهيهما.[1]
2. شأن المؤمنين سماع الحق، والاهتداء بنوره، وإطاعة الأوامر، واجتناب النواهي والزواجر، وهؤلاء هم فئة المؤمنين المصدقين، وأكمل الناس وأرشدهم.[2]
3. طاعة الله والرسول شيء واحد، وطاعة الرسول طاعة لله، ونظير الآية قوله تعالى: والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين، وقول المؤمن: سمعت وأطعت لا فائدة منه ما لم يظهر أثر ذلك عليه بامتثال الفعل المأمور به، واجتناب المنهي عنه. أما من قصر في الأوامر واقتحم المعاصي فهو غير مطيع.[3]

المطلب الثاني : منازل الناس بأعمالهم.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ **[الأنفال: 22- 23]**

أولاً: المفردات اللغوية:

- الدواب: جمع دابة: وهي ما تدب على الأرض.[4]
- الصم عن سماع الحق، جمع أصم: وهو الأطرش.[5]
- البكم: عن النطق بالحق، جمع أبكم: وهو الأخرس.[6]
- خيرا: أي صلاحا بسماع الحق.[7]
- لأسمعهم: سماع تفهم.[8]
- ولو أسمعهم على سبيل الافتراض، وقد علم ألا خير فيهم.[9]
- لتولوا: أعرضوا عنه.[10]
- وهم معرضون: عن قبوله عنادا وجحودا.[11]

---

[1] -التحرير والتنوير لابن عاشور (302/9).

[2] -لطائف الإشارات (613/1).

[3]- تفسير النسفي (638/1)، تفسير الشعراوي (4629/8).

[4]- تفسير المنار لمحمد رضا (521/9).

[5] -تفسير ابن كثير (29/4).

[6] -تفسير الجلالين (230).

[7] -تفسير الماوردي (307/2).

[8] -تفسير القرطبي (388/7).

[9] -تفسير ابن عطية (514/2)

[10] -تفسير السمرقندي (14/2).

[11] -التحرير والتنوير لابن عاشور (306/9).

ثانياً: البلاغة:

- شبه الكفار بالبهائم، وجعلهم من جنس البهائم، ثم جعلهم شرا منها، لتعطيلهم حواسهم عن سماع الحق والنطق به، فهو وجه الشبه، وأما أنهم شر من البهائم فلأنهم يضرون غيرهم والبهائم لا تضر.[1]

ثالثاً: المعنى العام:

يخبر الله تعالى أن شر المخلوقات التي تدب على الأرض عند الله الصم الذين لا يسمعون الحق فيتبعونه، ولا ينطقون بالحق ولا يفهمونه، ولا يعقلون الفرق بين الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال، والإسلام والكفر، أي فكأنهم لتعطيلهم هذه الحواس فيما فيه المنفعة والفائدة والخير، فقدوا هذه القوى والمشاعر المدركة، وهم لو استخدموا عقولهم متجردين عن التقليد والعصبية الجاهلية، لاهتدوا إلى الحق والصواب، وأدركوا الصالح المفيد لهم وهو الإسلام، إلا أنهم في الواقع كالبهائم لا يعقلون الأمور، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].[2]

ثم أخبر الله تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح، ولا قصد لهم صحيح، فلو علم الله في نفوسهم ميلا إلى الخير والاستعداد للإيمان والاهتداء بنور الإسلام والنبوة، لأفهمهم، وأسمعهم بتوفيقه كلام الله ورسوله سماع تدبر وتفهم واتعاظ ولكن لا خير فيهم لأنه يعلم أنه لو أسمعهم أي أفهمهم، لتولوا عن ذلك قصدا وعنادا بعد فهمهم ذلك، وهم معرضون عنه من قبل ذلك بقلوبهم عن قبوله والعمل به، فهم لا خير فيهم أصلا.[3]

رابعاً: ما يستفاد من الآيات :

1. من ليسوا بمؤمنين ولا مصدقين كاليهود أو المنافقين أو المشركين، فهم لا يسمعون الحق سماع تدبر وتفهم وتأمل، لذا أخبر تعالى أن هؤلاء الكفار شر خلق الله، وشر ما دب على الأرض، وكل هؤلاء لا يعقلون الفروق بين الحق والباطل، والخير والشر، والإسلام والكفر، لذا كانوا بحق شر خلق الله، وشرا من الدواب لأنهم يضرون، والبهائم لا تضر.[4]

---

[1] –الفواتح الإلهية للشيخ علوان (284/1).

[2]– انظر: أوضح التفاسير للخطيب (213/1)، بيان المعاني للعاني (283/5)، صفوة التفاسير للصابوني (462/1)، تفسير المنار لمحمد رضا (521/9)، تفسير المراغي (184/9).

[3]– انظر: تفسير القاسمي (273/5)، زاد المسير لابن الجوزي (198/2)، تفسير ابن كثير (29/4)، التفسير الوسيط لطنطاوي (70/6).

[4]– التفسير المنير للزحيلي (286/9).

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الرابع من الحزب الثامن عشر

سورة الأنفال الآيات (24 . 40)

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الأول : المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (24 . 26)

المبحث الثاني : المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (27 . 29)

المبحث الثالث : المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (30 . 31)

المبحث الرابع : المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (32 . 35)

المبحث الخامس : المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (36 . 37)

المبحث السادس : المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (38 . 40)

المبحث الأول :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (24 . 26)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : أسباب إحياء القلوب.

المطلب الثاني: اغتنام فرصة الخير قبل فواتها.

المطلب الثالث : طرق الوقاية من الفتنة.

المطلب الرابع : نتائج شكر النعمة.

المطلب الأول : أسباب إحياء القلوب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: 24]

أولاً : المناسبة:

بعد أن أمر الله تعالى المؤمنين بطاعة الله والرسول في الجهاد وبذل المال وغيرهما، أردفه بالأمر بإجابة الله والرسول إذا دعاهم لما يحييهم حياة أبدية، ويصلحهم بهداية الدين وأحكامه، فكأن هذه الآيات بمثابة بيان العلة لطاعة الله والرسول، وهو تحقيق الصلاح والخير والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة بالتزام الدين.[1]

ثانياً : المفردات اللغوية:

- استجيبوا: أجيبوا الله والرسول بالطاعة.[2]
- لما يحييكم: من أمر الدين ويصلحكم به لأنه سبب الحياة الأبدية.[3]

ثالثاً : البلاغة :

- كرر الله النداء بلفظ الذين آمنوا في هذه الآيات وما قبلها، إشارة إلى أن وصف الإيمان موجب الامتثال والإجابة والإصغاء لما يرد بعده من الأوامر والنواهي.[4]
- استجيبوا: للاستجابة مزية وخصوصية بأنها تكون طوعا لا كرها.[5]
- وحد الفعل في قوله: (إذا دَعاكُمْ)، بعد التثنية في قوله: (لله وللرسول)، لأن الرسول هو المباشر لدعوة الله تعالى ودعاؤه بأمر الله فهو دعاء الله تعالى ولذا وحد الفعل.[6]

رابعاً : المعنى العام:

أيها المؤمنون، أجيبوا دعوة الله، ودعوة الرسول إذا دعاكم لما يحييكم حياة طيبة أبدية مشتملة على سعادة الدنيا والآخرة، وفيها صلاحكم وخيركم، وفيها كل حق وصواب، وذلك شامل القرآن والإيمان والجهاد وكل أعمال البر والطاعة. والمراد من قوله: لما يحييكم الحياة الطيبة الدائمة،قال تعالى:﴿ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾[النحل : 97]،فيجب بناء عليه امتثال ما أمر به الرسول ﷺ بجد وعزم من أمور الدين عبادة وعقيدة ومعاملة.[7]

---

[1]- صفوة التفاسير للصابوني (464/1).

[2] -مجاز القرآن لمعمر (245/1).

[3] -تفسير الجلالين (231).

[4] -تفسير المراغي (187/9).

[5] -تفسير القشيري (614/1).

[6]- روح البيان لحقي (331/3).

[7]- انظر: تفسير الماتريدي (317/1)، تفسير السمرقندي (15/2)، الوجيز للواحدي (435)، زاد المسير لابن الجوزي (199/2)، تفسير الرازي (471/15).

ومن أعرض عما أمر النبي به من الإيمان والقرآن والهدى والجهاد، فهو ميت لا حياة طيبة أو روحية فيه، كما قال تعالى: أومن كان ميتا فأحييناه، وجعلنا له نورا يمشي به في الناس، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها.[1]

خامساً : ما يستفاد من الآيات:

1. وجوب إجابة دعوة الله والرسول وإطاعتهما تأكيدا لما سبق، لما فيه الخير والصلاح والحياة الطيبة الدائمة السعيدة في الدنيا والآخرة. وسبيل ذلك الإيمان والإسلام والقرآن والجهاد والهدى الإلهي.[2]
2. عن أبي سعيد بن المعلى ﷺ قال: (كنت أصلي في المسجد، فمر بي النبي ﷺ فدعاني فلم أجبه، ثم أتيته فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي. فقال: ألم يقل الله عز وجل: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ثم قال: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج، فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له ذلك، فقال: (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)[3]، قال الشافعي: هذا دليل على أن الفعل الفرض أو القول الفرض إذا أتي به في الصلاة لا تبطل لأمر رسول الله ﷺ بالإجابة وإن كان في الصلاة.[4]
3. الدعوة إلى إيقاظ العقل، وحمله على النظر في كل أمر يواجهه، أو يدعى إليه، ليزنه بميزان الحق والخير، حتى ولو كان هذا الأمر واردا من جهة لا يرد منها إلا الحق المشرق، والخير الخالص، فذلك لا يحول بين العقل وبين أن يتفحص الأمر، ويقلّبه على وجوهه، ليعرف مدى الخير الذي يحصله، إذا هو أخذ بهذا الأمر، وجعله معتقدا، له، يعمل في ظله، ويسير على هواه، فهذا من شأنه أن يجعل لهذا الأمر سلطانا متمكنا في كيان الإنسان إذ أقامه بيده، ومكّن له بإرادته، ونزل على حكمه طائعا مختارا، يرجو منه الخير، ويتوقع السلامة والعافية، ومن أجل هذا كان الإيمان الذي آمن عليه المسلمون الأولون، إيمانا راسخا متمكنا، جعل منهم أوتاد هذا الدين، وعمده، التي قام عليها صرحه، وامتدّت عليها ظلال دوحته، وهذا يعنى احترام العقل الإنساني، وإعطاءه الحق في البحث والنظر حتى فيما يصدر إليه من أحكم الحاكمين، رب العالمين.[5]

---

[1]- انظر: تفسير القرطبي (389/7)، التفسير المظهري (46/4)، تفسير المراغي (187/9)، فتح القدير للشوكاني (342/2).

[2]- أحكام القرآن لابن العربي (390/2).

[3] -صحيح البخاري (6/ 17)، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ ، ح: 4474.

[4]- تفسير الطبري (125/14)، تفسير القرطبي (390/7).

[5]- التفسير القرآني للقرآن للخطيب (588/5).

4. فرق بين من يجيب لخوف أو طمع وبين من يستجيب لا بعوض ولا على ملاحظة غرض، وحق الاستجابة أن تجيب بالكلية من غير أن تذر من المستطاع بقية.[1]
5. أوامر الشريعة وأحكامها هو الخير المطلق الذي لا يزداد على البحث والنظر إلا وضوحا فمن المطلوب إذن أن تتعلق الأنظار بهذه الأوامر وتلك الأحكام، وأن تتحكك بها العقول، وتتردد عليها الأفهام، حتى تتعرف إلى أسرارها، وتنشق العبير الطيب من أريجها، وبهذا تعرف قدرها، فيشتدّ حرصها عليها، وتمسكها بها.[2]
6. دعا رسول الله ﷺ العباد إلى الحياة بكل صور الحياة، وبكل معاني الحياة، إنه يدعوهم إلى عقيدة تحيي القلوب والعقول، وتطلقها من أوهاق الجهل والخرافة، ويدعوهم إلى شريعة من عند الله تعلن تحرر الإنسان وتكريمه بصدورها عن الله وحده، ووقوف البشر كلهم صفا متساوين في مواجهتها لا يتحكم فرد في شعب، ولا طبقة في أمة، ولا جنس في جنس، ولا قوم في قوم، ويدعوهم إلى القوة والعزة والاستعلاء بعقيدتهم ومنهجهم، والثقة بدينهم وبربهم، والانطلاق في الأرض كلها لتحرير الإنسان بجملته وإخراجه من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده وتحقيق إنسانيته العليا التي وهبها له الله، فاستلبها منه الطغاة! ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله، لتقرير ألوهية الله سبحانه في الأرض وفي حياة الناس وتحطيم ألوهية العبيد المدعاة حتى يفيئوا إلى حاكمية الله وحده، ذلك مجمل ما يدعوهم إليه الرسول ﷺ وهو دعوة إلى الحياة بكل معاني الحياة.[3]
7. قرن الإيمان بالاستجابة إشارة إلى أن الإيمان لا تقوم حقيقته إلا على الطاعة لما تحمل دعوة الإيمان من أوامر ونواه، فالإيمان ليس مجرد إقرار باللسان، فإن الإقرار باللسان إذا لم يصدّقه العمل، كان نفاقا، فليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل.[4]

المطلب الثاني: اغتنام فرصة الخير قبل فواتها.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾**[الأنفال: 24]**

أولاً: المفردات اللغوية :

- واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه: فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته.[5]
- وأنه إليه تحشرون: أي إليه مصيركم ومرجعكم، فيجازيكم بأعمالكم.[6]

---

[1] –تفسير القشيري (614/1).

[2] – التفسير القرآني للقرآن للخطيب (588/5)

[3] – في ظلال القرآن لسيد قطب (1494/3).

[4] –التفسير القرآني للقرآن للخطيب (585/5)

[5] –تفسير الطبري (471/13).

[6] –صفوة التفاسير للصابوني (464/1).

ثانياً : البلاغة :

- يحول بين المرء وقلبه: استعارة تمثيلية، شبه الله تعالى تمكنه من قلوب العباد وتصريفها كما يشاء بمن يحول بين الشيء والشيء.[1]
- التعبير بـ (تحشرون) يفيد الجمع مهما يكن العدد، ومهما تتناثر الأجزاء أو يتباين كونها، وقدم الجار والمجرور للدلالة على أن الناس جميعا يحشرون إليه وحده، وهو الذي أنذر وبشر، وأنه منفذ ما وعد، وما أوعد، فهذه الجملة السامية تربي مهابة اللقاء، وتؤكده، وإنه لقاء بالغفور الرحيم العزيز الحكيم المنعم الجبار.[2]

ثالثاً : المعنى العام:

أخبر تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه، ووجه المؤمنين فقال: بادروا إلى الاستجابة قبل ألا تتمكنوا منها بزوال العقل، وقيل: يحول بينه وبين قلبه الموت، فلا يمكنه استدراك ما فات، وقيل: المعنى يقلب الأمور من حال إلى حال.[3]

وهذا هو الذي يميل إليه الباحث، لأن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)[4] فقلنا: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: (نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها)، فدل ذلك على أن الله مهيمن على قلب الإنسان وفكره وإرادته، يقلب الأمور بيده كيف شاء من حال إلى حال، وهو المتصرف في جميع الأشياء، يصرف القلوب بما لا يقدر عليه صاحبها، ويغير اتجاهاته ومقاصده ونياته وعزائمه حسبما يشاء.

رابعاً : ما يستفاد من الآيات:

1. إن الله تعالى أملك لقلوب العباد منهم، وهو المتصرف في جميع الأشياء، سواء أكانت من أفعال القلوب والعقول أم من أفعال الأعضاء، فوجب المبادرة إلى تكميل النفوس وتصفية القلوب بإجابة الرسول قبل فوات الفرصة فإنها قد تفوت بأن يحدث الله أسبابا لا يتمكن العبد معها من تصريف القلب فيما يشاؤه من إصلاح أمره فيموت غير مستجيب لله ورسوله.[5]

---

[1]- تفسير القاسمي (276/5).

[2]- زهرة التفاسير لأبي زهرة (3099/6)

[3] -انظر: تفسير القرطبي (390/7)، تفسير الماتريدي (178/5)، تفسير الثعلبي (343/4)، تفسير القشيري (615/1)، الوجيز للواحدي (435).

[4] مسند أحمد (19/ 160)، ح: 12107، وقال شعيب: إسناده قوي.

[5]- فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (156/5)، روح البيان لحقي (331/3).

2. من سنة الله في البشر الحيلولة بين المرء وبين قلبه، الذي هو مركز الوجدان والإدراك، ذي السلطان على إرادته وعمله، وهذا أخوف ما يخافه المتقي على نفسه، إذا غفل عنها، وفرط في جنب ربه، كما أنه أرجى ما يرجوه المسرف عليها إذا لم ييأس من روح الله فيها، فهذه الجملة أعجب جمل القرآن، ولعلها أبلغها في التعبير، وأجمعها لحقائق علم النفس البشرية، وعلم الصفات الربانية، وعلم التربية الدينية، التي تعرف دقائقها بما تثمره من الخوف والرجاء.[1]
3. يحول الله بين المرء الكافر وطاعته، ويحول بين المرء المطيع ومعصيته، فالسعيد من أسعده الله، والشقي من أضله الله، وفعل الله تعالى ذلك عدلا فيمن أضله وخذله، إذ لم يمنعهم حقا وجب عليه، فتزول صفة العدل حينئذ، وإنما منعهم ما كان له أن يتفضل به عليهم، لا ما وجب لهم.[2]
4. وجوب اليقظة الدائمة، والحذر الدائم، والاحتياط الدائم، اليقظة لخلجات القلب وخفقاته ولفتاته والحذر من كل هاجسة فيه وكل ميل مخافة أن يكون انزلاقا والاحتياط الدائم للمزالق والهواتف والهواجس، والتعلق الدائم بالله سبحانه مخافة أن يقلب هذا القلب في سهوة من سهواته، أو غفلة من غفلاته، أو دفعة من دفعاته.[3]

المطلب الثالث : طرق الوقاية من الفتنة.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال : 25]

أولاً : سبب النزول:

تأولها الزبير بن العوام والحسن البصري والسدي[4] وغيرهما بأنها يوم وقعة الجمل سنة ست وثلاثين. قال الزبير[5]:(نزلت فينا وقرأناها زمانا، وما أرانا من أهلها، فإذا نحن المعنيون بها). وقال الحسن: (نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير، وهو يوم الجمل خاصة)[6]. وقال السدي: نزلت في أهل بدر، فاقتتلوا يوم الجمل[7].[8]

---

[1]– تفسير المنار لمحمد رضا (527/9)

[2] –تفسير الرازي (472/15).

[3] –في ظلال القرآن لسيد قطب (1495/3).

[4] السُّدِّيُّ إِسْمَاعِيْلُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي كَرِيْمَةَ، الإِمَامُ، المُفَسِّرُ، أَبُو مُحَمَّدٍ الحِجَازِيُّ، ثُمَّ الكُوْفِيُّ مَاتَ إِسْمَاعِيْلُ السُّدِّيُّ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَةٍ. انظر: (سير أعلام النبلاء 5/ 264).

[5] تفسير الطبري (11/ 114).

[6] لم أعثر على قوله مسنداً، وذكره الزمخشري في تفسيره (2/ 212).

[7] – المرجع السابق.

[8]– انظر: تفسير الطبري (474/13)، تفسير ابن أبي حاتم (1682/5)، تفسير الثعلبي (344/4).

وقال ابن عباس ﷺ :(نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله ﷺ، وقال: أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر فيما بينهم، فيعمهم الله بالعذاب)[1].[2]

قال الباحث: وهذه التأويلات تعضدها الأحاديث الصحيحة، فعن زينب بنت جحشﷺ أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم إذا كثر الخبث)[3]، وقال أيضاً ﷺ: (إن الناس إذا رأوا الظالم، ولم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده)[4]، فأفاد الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة، واستحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً : المفردات اللغوية:

- واتقوا فتنة: احذروا بلاء ومحنة إن أصابتكم بإنكار موجبها من المنكر.[5]
- لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة: بل تعمهم وغيرهم.[6]
- شديد العقاب: شديد العذاب لمن خالفه وعصاه.[7]

ثالثاً : البلاغة :

– عبر بالفتنة دون الذنب والمعصية، لأن العقاب على ذنوب الأمم أثر لازم لها في الدنيا قبل الآخرة.[8]

رابعاً : المعنى العام:

بعد أن حذر الله تعالى الإنسان أن يحال بينه وبين قلبه، حذره من الفتن، فقال: واتقوا فتنة، أي احذروا الوقوع في الفتنة وهي الاختبار والمحنة التي يعم فيها البلاء المسيء وغيره، ولا يخص بها أهل المعاصي، ولا من ارتكب الذنب، بل تتعدى إليكم جميعا، وتصل إلى الصالح والطالح.[9]

---

[1] – لم أجده مسنداً. وذكره ابن كثير في تفسيره (4/ 38).

[2]– انظر: تفسير السمعاني (258/2)، تفسير البغوي (283/2).

[3]– صحيح البخاري (4/ 138)، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قِصَّةِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ، ح: 3346.

[4]– مسند أحمد ط الرسالة (1/ 208)، ح: 30، وصحح إسناده شعيب.

[5] تفسير القشيري (616/1).

[6] الدر المصون للسمين الحلبي (594/5).

[7]– أيسر التفاسير للجزائري (298/2).

[8] –تفسير المنار لمحمد رضا (530/9).

[9] –التفسير الحديث لدروزة عزت لدروزة (73/3).

وكانت فتنة مقتل عثمان ﷺ أول الفتن التي ما زال أثرها قائما في التاريخ، وكانت سببا في اقتتال المسلمين في وقعة الجمل وصفين، واستمرت الفتن بين المسلمين، وأخذت أشكالا متعددة، من قومية، وتفرق في الدين، وانقسام إلى أحزاب دينية، وأحزاب سياسية.[1]

واعلموا أن الله شديد العقاب، أي أنه تعالى شديد العذاب في الدنيا والآخرة لمن عصاه من الأمم والأفراد، وخالف هدي دينه وشرعه، وهذا التحذير عام يعم الصحابة وغيرهم، وإن كان الخطاب لهم أولا.[2]

ومقتضى التحذير منع ما يؤدي إلى العذاب العام، والعمل على إزالته ورفعه إذا وقع، كإهمال الجهاد، وشيوع المنكر، وافتراق الكلمة، والالتواء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[3]

خامساً : ما يستفاد من الآيات:

1. وجوب تجنب أسباب الفتنة والبلاء والعذاب، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوحيد الكلمة، ومحاربة البدع، ومقاومة الانقسام، والمدعوة إلى الوحدة بين الأمة حكاما ومحكومين لأن وباء الفتنة لا يقتصر على الظالمين خاصة، وإنما يعم الجميع. لكن يجب الكف عن الخوض في خلافات الصحابة.[4]
2. وردت أحاديث كثيرة تحذر من الفتن، منها: ما رواه المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من قوم يعملون بالمعاصي، وفيهم رجل أعز منهم وأمنع لا يغيره إلا عمهم الله بعقاب، أو أصابهم العقاب)[5].[6]
3. إن قيل قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء : 15]. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر : 38]. لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب غيره وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب فالجواب أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على من رآه أن يغيره فان سكت عليه فكلهم عاص هذا بفعله وهذا برضاه وقد جعل الله في حكمه وحكمة الراضي بمنزلة العامل فانتظم في العقوبة.[7]

---

[1]– انظر: تفسير المنار لمحمد رضا (530/9)، تفسير المراغي (189/9).

[2] –تفسير ابن كثير (38/4).

[3]– انظر: روح البيان لحقي (333/3)، العذب النمير للشنقيطي (561/4).

[4] –تفسير الزمخشري (211/2)، تفسير ابن كثير (38/4).

[5] مسند أحمد (31/ 530)، ح: 19192، وقال شعيب: حديث حسن.

[6] –أحكام القرآن للجصاص (228/4)، الصحيح المسبور لحكمت ياسين (217/2).

[7] –روح البيان لحقي (333/3).

4. الجماعة التي تسمح لفريق منها بالظلم في صورة من صوره ولا تقف في وجه الظالمين ولا تأخذ الطريق على المفسدين، جماعة تستحق أن تؤخذ بجريرة الظالمين المفسدين، فالإسلام منهج تكافلي إيجابي لا يسمح أن يقعد القاعدون عن الظلم والفساد والمنكر يشيع وهم ساكتون.[1]
5. الحث على لزوم الاستقامة خوفا من عقاب الله تعالى، والدعوة إلى التناصح بين المؤمنين، وإلى التناهي فيما بينهم عن المنكر.[2]
6. الوقاية تكون بأمرين: أولهما العدل، وثانيهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذا قال النبي ﷺ: (لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطُرنه على الحق أطرا، أو ليضرِبَنَّ الله بقلوب بعْضكم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم)[3].[4]

المطلب الرابع : نتائج شكر النعمة.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ **[الأنفال: 26]**

أولاً : المناسبة:

لما أمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول، ثم أمرهم باتقاء المعصية، أكد ذلك التكليف بهذه الآية، وذلك لأنه تعالى بين أنهم كانوا قبل ظهور الرسول ﷺ في غاية القلة والذلة، وبعد ظهوره صاروا في غاية العزة والرفعة، وذلك يوجب عليهم الطاعة وترك المخالفة.[5]

ثانياً : المفردات اللغوية :

- إذ أنتم قليل: يعنى المهاجرين خاصة.[6]
- يتخطفكم الناس: يعني كفار مكة.[7]
- وأيدكم بنصره: قواكم بنصره يوم بدر.[8]
- ورزقكم من الطيبات: الحلال من الرزق وغنيمة بدر.[9]

---

[1]- في ظلال القرآن لسيد قطب (1496/3)

[2]- مراح لبيد للجاوي (422/1)، التفسير القرآني للقرآن للخطيب (589/5).

[3] مسند أبي يعلى الموصلي (8/ 448)، ح: 5035، وضعفه الألباني. انظر (ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص: 262).

[4] -زهرة التفاسير لأبي زهرة (3100/6)

[5]- تفسير الرازي (474/15)، في ظلال القرآن لسيد قطب (1496/3).

[6] -تفسير مقاتل بن سليمان (108/2).

[7]- تفسير البغوي (284/2).

[8]- تفسير الطبري (477/13).

[9] -تفسير ابن أبي حاتم (1683/5).

ثالثاً : البلاغة :

(يتخطفكم... فآواكم) الالتفاف من مشهد التربص الوجل، والترقب الفزع، إلى الأمن والقوة والنصر والرزق الطيب والمتاع الكريم، فمن ذا الذي يتأمل هذه النقلة البعيدة، ثم لا يستجيب لصوت الحياة الآمنة القوية الغنية، صوت الرسول الأمين الكريم.[1]

رابعاً: المعنى العام:

نبه الله تعالى عباده المؤمنين على نعمه وإحسانه عليهم، حيث كانوا قليلين فكثرهم، ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات، وهذا كان حال المؤمنين قبل الهجرة من مكة إلى المدينة، فبعد أن أمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول، أمرهم باتقاء المعصية، وأكد ذلك التكليف بهذه الآية، فقال: واذكروا أيها المهاجرون وقت أن كنتم قلة مستضعفين في مكة، والمشركون أعزة كثرة يذيقونكم سوء العذاب، وكنتم خائفين غير مطمئنين، تخافون أن يأخذكم مشركو العرب بسرعة خاطفة للقتل والسلب، كما كان يتخطف بعضهم بعضا خارج الحرم المكي، فجعل لكم مأوى تتحصنون به في المدينة، وأعانكم وقواكم يوم بدر وغيره من الغزوات بنصره المؤزر وعونه، ورزقكم من الطيبات رزقا حسنا مباركا فيه وأحل لكم الغنائم، كي تشكروا هذه النعم الجليلة.[2]

والغرض التذكير بالنعمة لتكون حاملا لهم على إطاعة الله وشكر الفضل الإلهي فعن قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله قال: كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا، وأشقاه عيشا، وأجوعه بطونا، وأعراه جلودا، وأبينه ضلالا، معكوفين على رأس حجر بين فارس والروم، لا والله ما في بلادهم ما يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيا، ومن مات منهم ردي في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلا منهم، حتى جاء الله بالإسلام، فمكن به في البلاد، ووسع به في الرزق، وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا لله نعمه، فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من نعم الله عز وجل.[3]

---

[1] –في ظلال القرآن لسيد قطب (1496/3)

[2]– انظر: تفسير الطبري (120/11)، تفسير الرازي (474/15)، تفسير الجلالين (231)، التفسير الوسيط لطنطاوي (78/6)، تفسير المنار لمحمد رضا (531/9)، تفسير المراغي (190/9).

[3]– انظر: تفسير ابن كثير (40/4)، الدر المنثور للسيوطي (47/4)، فتح القدير للشوكاني (344/2)، تفسير المنار لمحمد رضا (532/9)، التفسير الوسيط لطنطاوي (79/6).

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1. تذكر النعم الجليلة التي أنعم الله بها على المؤمنين، والمبادرة إلى شكرها، والاعتبار والاتعاظ بها، فالله يحقق لمن امتثل أوامره سعادة الدنيا، وعزة السلطان، والتمكين في الأرض، والأمن من المخاوف، والنصر على الأعداء، ويمنحهم أيضا الفوز والنجاة والرضوان في الآخرة. فإن تنكروا للأوامر الإلهية ولم يشكروا النعم، كحال المسلمين اليوم، صاروا أذلة ضعافا. وسنة الله في ذلك هي:﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف : 128].[1]
2. تفيد الآيات حجج تاريخية اجتماعية على كون الإسلام يورث من اهتدى به سعادة الدنيا والسيادة والسلطان فيها قبل الآخرة، ولكن أعداءه الجاحدين قد شوهوا تاريخه، وصدوا الناس عنه بالباطل. وأن أهله قد هجروا كتابه، وتركوا هدايته، وجهلوا تاريخه، ثم صاروا

يقلدون أولئك الأعداء في الحكم عليه، حتى زعموا أنه هو سبب جهلهم وضعفهم، وزوال ملكهم الذي كان عقوبة من الله تعالى لخلفهم الطالح على تركه، بعد تلك العقوبة لسلفهم الصالح على الفتنة بالتنازع على ملكه. فإنا لله وإنا إليه راجعون.[2]

3. العصبة المسلمة التي تجاهد اليوم لإعادة إنشاء هذا الدين في واقع الأرض وفي حياة الناس قد لا تكون قد مرت بالمرحلتين المذكورتين، ولكن القرآن يهتف لها بهذه الحقيقة لتترقب في يقين وثقة، موعود الله للعصبة المسلمة، موعوده الذي حققه للعصبة الأولى، ووعد بتحقيقه لكل عصبة تستقيم على طريقه، وتصبر على تكاليفه.[3]
4. لكي تشعر الجماعات والأفراد بنعمة الحاضر يجب أن تعرف الماضي، وأن تكون صورته حاضرة دائما في حاضرها، وكذلك إذا عرفت ما كان في ماضيها من خير أدركت ما عساه يكون حاضرها، ومن حكمة الله وسنته دائما أن يجعل الماضي نوراً للحاضر، أو يكون فيه عبرة للمعتبر.[4]

---

[1] –التحرير والتنوير لابن عاشور (327/9).

[2] –تفسير المنار لمحمد رضا (532/9).

[3]– في ظلال القرآن لسيد قطب (1497/3).

[4] –زهرة التفاسير لأبي زهرة (3102/6)

المبحث الثاني :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (27 . 29)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : حكم الخيانة وأنواعها.

المطلب الثاني: عواقب فتنة المال والولد.

المطلب الثالث : ثمرات التقوى.

المطلب الأول : حكم الخيانة وأنواعها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[الأنفال: 27]

أولاً : المناسبة:

لما ذكر الله تعالى أنه رزق العباد من الطيبات وأنعم عليهم بالنعم الجليلة، منعهم هنا من الخيانة في الغنائم وغيرها من التكاليف الشرعية.[1]

ثانياً : سبب النزول:

عن عبد الله بن أبي قتادة[2] قال: نزلت هذه الآية: (لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ) في أبي لبابة بن عبد المنذر، سأله بنو قريظة يوم قريظة: ما هذا الأمر، فأشار إلى حلقه، يقول: الذبح، فنزلت.[3]

قال الزهري[4]: فلما نزلت الآية شد نفسه على سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث تسعة أيام لا يذوق فيها طعاما حتى خر مغشيا عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله، لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن انخلع من مالي، فقال رسول الله ﷺ: يجزيك الثلث أن تتصدق به.[5]

ثالثاً : المفردات اللغوية:

- لا تخونوا: الخيانة في الأصل: النقص وإخلاف المرتجى، ثم استعملت في الإخلال والنقص والغدر وإخفاء الشيء الذي هو ضد الأمانة والوفاء، وفيه معنى النقصان.[6]
- أماناتكم: ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره من التكاليف الشرعية، والأمانة: كل حق يجب أداؤه إلى الغير.[7]

---

[1]- تفسير الرازي (475/15)، تفسير القاسمي (279/5).

[2] عبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيُّ كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَثِقَاتِهِمْ، قَالَ ابْنُ حِبَّانَ: تُوُفِّيَ سَنَةَ خمسٍ وَتِسْعِينَ. انظر: (تاريخ الإسلام 2/ 1124).

[3]- سنن سعيد بن منصور وقال المحقق: سنده رجاله ثقات، لكنه مرسل (206/5) ، وأسباب نزول القرآن (235)، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، 1412 هـ - 1992م.

[4] محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه مات سنة خمس وعشرين ومائة وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. انظر: (تقريب التهذيب ص: 506).

[5]- سنن أبي داود (3/ 240)، كِتَاب الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، بَابٌ فِيمَنْ نَذَرَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَالِهِ، ح: 3319 ، وصحح إسناده الألباني.

[6]- انظر: التصاريف لتفسير القرآن (177)، بصائر ذوي التمييز الفيروزآبادى (582/2)، تفسير الرازي (475/15).

[7] -انظر: تفسير الطبري (125/11)، تفسير ابن أبي حاتم (1684/5)، التفسير الواضح لمحمد حجازي (819/1).

رابعاً: المعنى العام:

يا أيها المؤمنون المصدقون بالله ورسله وقرآنه، لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه أو تتعدوا حدوده ومحارمه، ولا تخونوا الرسول بأن لا تستنوا به ولا تأتمروا بما أمركم به أو لا تنتهوا عما نهاكم عنه، وتتبعوا أهواءكم وتقاليد آبائكم الموروثة، ولا تخونوا أماناتكم التي تأتمنونها فيما بينكم، بأن لا تحفظوها، وذلك يشمل الودائع المادية، والأسرار العامة للأمة والخاصة بالأفراد، فتطلعوا على الأولى الأعداء، وتفشوا الثانية بين الناس، فلا تفعلوا ذلك وأنتم تعلمون تبعة ذلك ووباله، وتميزون بين الحسن والقبيح وتعرفون مفاسد الخيانة.[1]

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1- تحريم الخيانة المتعمدة مطلقا، وإيجاب الأمانة: وهي أداء التكاليف الشرعية، والأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، أي الفرائض والحدود. وأما الخيانة: فهي الإخلال بالواجبات، والتقصير في أداء الفرائض، وإفشاء الأسرار، وعدم رد الودائع والأمانات إلى أصحابها، وتضييع حقوق الآخرين.[2]

2- ما خفي حكمه فالجهل له عذر إذا لم يكن مما علم من الدين بالضرورة أو مما يعلم ببداهة العقل، أو استفتاء القلب، كفعلة أبي لبابة التي كانت هفوة سببها الحرص على المال والولد؛ ولذلك فطن لها قبل أن يبرح موقفه ﷺ.[3]

3- يوجب الله تعالى في هذه الآية أداء التكاليف الشرعية بأسرها على سبيل التمام والكمال، من غير نقص ولا إخلال.[4]

4- الأمانة من الصفات الدينية، التي قام عليها بناء المدنية وبها حفظ العمران، وإصلاح حال الأمة، ولا بقاء لدولة بدونها؛ لأن عليها مدار الثقة في جميع المعاملات. وناهيك بما عظم الله من أمر الأمانة في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].[5]

---

[1]- انظر: تفسير الزمخشري (213/2)، تفسير النسفي (640/1)، بيان المعاني (343/4)، الموسوعة القرآنية (556/9).

[2]- التفسير الحديث لدروزة عزت لدروزة (32/7).

[3] -تفسير المنار لمحمد رضا (535/9)

[4]- تفسير الرازي (475/15).

[5] -تفسير المنار لمحمد رضا (535/9).

5- الأمانة من صفات المؤمنين، والخيانة من صفات المنافقين، فعن أنس بن مالك قال: قلما خطب رسول الله ﷺ إلا قال: (لا إيمان لمن لا عهد له)[1]، وعن أبي هريرة ﷺأن النبي ﷺ قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم)[2].

6- إفشاء السر خيانة محرمة، ويكفي في العلم بكونه سراً القرينة القولية كقول محدثك: هل يسمعنا أحد؟ أو للفعلية كالالتفات لرؤية من عساه يجيء، وآكد أمانات السر وأحقها بالحفظ ما يكون بين الزوجين.[3]

المطلب الثاني: عواقب فتنة المال والولد.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[الأنفال: 28]

أولاً: المناسبة:

لما كان سبب الإقدام على الخيانة هو حب الأموال والأولاد، نبه تعالى على أنه يجب على العاقل أن يحترز عن مضار ذلك الحب، فقال:﴿ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾.[4]

ثانياً: المفردات اللغوية:

- فتنة: اختبار وابتلاء بما يشق على النفس فعله أو تركه، وهي تكون في الاعتقاد والأقوال والأفعال والأشياء، فيمتحن الله المؤمن والكافر على السواء.[5]
- وأن الله عنده أجر عظيم: فلا تضيعوه بمراعاة مصالح الأموال والأولاد.[6]

ثالثاً: البلاغة:

أكد الله تعالى أجر الله الذي يتكافأ مع مقاومة الخيانة بسبب متعة المال والولد أولا: بالتعبير بالجملة الاسمية، وثانيًا:بـ (أنَّ)، وثالثًا:بتنكير أجر،فإن معنى هذا التنكير الكبر إلى درجة،ورابعًا:بوصفه بأنه عظيم، وذلك لتحصين نفسه بهذا الأجر الذي لَا يقارن قدره.[7]

---

[1]- مسند أحمد (376/19)، وحسنه شعيب.

[2] -صحيح مسلم (78/1)، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، ح58.

[3] -تفسير المنار لمحمد رضا (535/9).

[4]- تفسير الرازي (475/15).

[5] -انظر : الهداية الى بلوغ النهاية (2795/4)، تفسير المنار لمحمد رضا (536/9).

[6]- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (285/1).

[7]- زهرة التفاسير لأبي زهرة (3108/6).

رابعاً: المعنى العام:

الأموال والأولاد محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده، وسبب الوقوع في الفتنة هو أن الإنسان مفطور على حب المال، طماع في كسبه وادخاره، فيبخل به، ولا يؤدي منه حقوق الله، ولا يحسن به إلى الفقراء ولا ينفقه في أعمال البر والخير والإحسان. وحب الأولاد مما فطر عليه الإنسان أيضا، وقد يحمل هذا الحب إلى كسب المال الحرام من أجلهم، لذا وجب على المؤمن الحذر من المال والولد، فيكسب المال الحلال، وينفقه في مستحقاته وفي سبيل البر والإحسان، ويطعم أولاده حلالا، حتى لا ينبت جسدهم من السحت والحرام، ولا يكون الولد سببا للجبن والبخل، ولا يقصر الوالد في تربية أولاده على الخلق الفاضل والالتزام بأحكام الدين، والبعد عن المعاصي والمحرمات.[1]

ثم ختم الله تعالى الآية بخاتمة مؤثرة توقظ المقصر والمتورط فقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ ، أي أن ثوابه وعطاءه وجناته خير لكم من الأموال والأولاد، فإنه قد يوجد منهم عدو، وأكثرهم لا يغني عنك شيئا، والله سبحانه هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة، فعليكم أن تؤثروا ثواب ربكم، بمراعاة أحكام شرعه ودينه في الأموال والأولاد، والزهد في الدنيا.[2]

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1- الأموال والأولاد فتنة واختبار يمتحن به المؤمن الصادق الإيمان، فإن كان كسب المال حلالا وإنفاقه في وجوه الخير، نجا صاحبه من إثمه وطغيانه، وإن ربي الوالد ولده تربية دينية خلقية، وأطعمه الحلال الطيب، خلص من الحساب يوم الآخرة، وإن كان العكس في كل ذلك عرض نفسه للعقاب والإثم. وقد عرف من سبب النزول أن وجود الأموال والأولاد لأبي لبابة في بني قريظة هو الذي حمله على ملاينتهم.[3]

2- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ تنبيه على أن سعادات الآخرة خير من سعادات الدنيا لأنها أعظم شرفا، وأتم فوزا، وأخلد مدة وأثرا لأنها تبقى بقاء لا نهاية له، لذا وصف الله تعالى الأجر بالعظم.[4]

3- إذا انتبه القلب إلى موضع الامتحان والاختبار، كان ذلك عونا له على الحذر واليقظة والاحتياط أن يستغرق وينسى ويخفق في الامتحان والفتنة، ثم لا يدعه الله بلا عون منه ولا عوض، فقد يضعف عن الأداء بعد الانتباه لثقل التضحية وضخامة التكليف وبخاصة في موطن الضعف في الأموال والأولاد! إنما يلوح له بما هو خير وأبقى، ليستعين به على الفتنة ويتقوى.[5]

---

[1]- انظر: تفسير المنار لمحمد رضا(536/9)، تفسير المراغي (194/9)، التفسير الوسيط لطنطاوي(82/6).

[2] -انظر :تفسير النسفي (640/1)، بيان المعاني(287/5)،زاد المسير لابن الجوزي(204/2)،تفسير ابن كثير (42/4).

[3]- روح البيان لحقي (335/3)، التفسير الوسيط لطنطاوي (82/6).

[4]- تفسير ابن عطية (517/2)، تفسير الخازن (306/2).

[5]- في ظلال القرآن لسيد قطب (1498/3).

4- الخيانة مسرب الشيطان إلى النفوس، فالآية تحذرنا من هذه الفتنة، والحذر لَا يكون بترك المال والأولاد، إنما الحذر ألا نطلب المال إلا من الحلال، وألا تدفعنا عاطفة الأبوة إلى الشطط ومجاوزة الحد.[1]

5- قال الرازي: يمكن الاستدلال بهذه الآية على أن الاشتغال بالنوافل أفضل من الاشتغال بالنكاح لأن الاشتغال بالنوافل يفيد الأجر العظيم عند الله، والاشتغال بالنكاح يفيد الولد، ويوجب الحاجة إلى المال، وذلك فتنة، ومعلوم أن ما أفضى إلى الأجر العظيم عند الله، فالاشتغال به خير مما أفضى إلى الفتنة[2].

قال الباحث: وذلك في حق غير المحتاج إلى النكاح، وإلا فالنكاح حينئذٍ أفضل وأولى من التخلي للعبادة.

6- كل ما شغلك عن الله فهو فتنة، فيقال للمال فتنة إذا كان عن الله شاغلاً، ويقال للأولاد فتنة إذا قصر لأجلهم في حق الله أو فرط، فكل ما شغلك عن الله سبحانه من مال وولد فهو مشئوم عليك وأما ما كان من الدنيا يقرب من الله ويعين على عبادته فهو المحمود بكل لسان المحبوب لكل إنسان.[3]

7- القرآن يخاطب الكينونة البشرية، بما يعلم خالقها من تركيبها الخفي، وبما يطلع منها على الظاهر والباطن، وعلى المنحنيات والدروب والمسالك! وهو سبحانه يعلم مواطن الضعف في هذه الكينونة. ويعلم أن الحرص على الأموال وعلى الأولاد من أعمق مواطن الضعف فيها، ومن هنا ينبهها إلى حقيقة هبة الأموال والأولاد، لقد وهبها الله للناس ليبلوهم بها ويفتنهم فيها، فهي من زينة الحياة الدنيا التي تكون موضع امتحان وابتلاء ليرى الله فيها صنيع العبد وتصرفه.. أيشكر عليها ويؤدي حق النعمة فيها؟ أم يشتغل بها حتى يغفل عن أداء حق الله فيها؟: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء : 35]، فالفتنة لا تكون بالشدة وبالحرمان وحدهما، إنها كذلك تكون بالرخاء وبالعطاء أيضا! ومن الرخاء العطاء هذه الأموال والأولاد.[4]

---

[1] -زهرة التفاسير لأبي زهرة (3108/6)

[2] -تفسير الرازي (476/15).

[3] - تفسير القشيري (619/1)، روح البيان لحقي (336/3).

[4] - في ظلال القرآن لسيد قطب (1498/3)

المطلب الثالث : ثمرات التقوى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾**[الأنفال: 29]**

أولاً : المناسبة:

لما حذر الله تعالى من الفتنة بالأموال والأولاد، رغب في التقوى التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الأموال والأولاد.[1]

ثانياً: المفردات اللغوية:

فرقانا: نصرا ونجاة، تنجون مما تخافون، وسمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله، ومنه سمي يوم بدر في قوله تعالى:(يوم الفرقان) لأنه فصل بين الحق والباطل. وقيل: أنه العلم الصحيح والحكم الراجح أو نور البصيرة والهداية الذي يفرق به بين الحق والباطل، وقد أطلق هذا اللفظ على التوراة والإنجيل والقرآن، وغلب على الكتاب الأخير، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾**[الفرقان : 1]**.[2]

قال الباحث: أميل إلى كونه الفاصل بين الحق والباطل، فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته في الدنيا وسعادته في الآخرة.

- والله ذو الفضل العظيم: واسع الفضل عظيم العطاء، يعطي الثواب الجزيل.[3]

ثالثاً: البلاغة :

- أسندت التقوى إلى المخاطبين، وجعل الفرقان إلى الله تعالى لاختصاصه سبحانه به، فالله تعالى إذا أراد بالعبد خيرا اصطفاه لنفسه وجعل في قلبه سراجا من نوره يفرق به بين الحق والباطل.[4]
- تنكير الفرقان للتنويع التابع لأنواع التقوى كالفتن في السياسة والرياسة والحلال والحرام والعدل والظلم، فكل متق لله في شيء يؤته فرقانا فيه، وبذلك كان الخلفاء والحكام من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم من خلفاء العرب أعدل حكام الأمم في الأرض حتى في عهد الفتح.[5]

---

[1] –السراج المنير للخطيب الشربيني (566/1).

[2]– انظر: تفسير القرطبي (396/7)، البحر المحيط في التفسير (308/5)، البحر المديد لابن عجيبة (324/2)، تفسير المراغي (195/9)، تيسير اللطيف المنان لآل سعدي (248/2)، زهرة التفاسير لأبي زهرة (3109/6)، في ظلال القرآن لسيد قطب (1499/3)، التفسير الواضح لمحمد حجازي (821/1).

[3] –صفوة التفاسير للصابوني (465/1).

[4]– روح البيان لحقي (337/3).

[5]– تفسير المنار لمحمد رضا (539/9)

رابعاً: المعنى العام:

يا أيها المؤمنون المصدقون (إن تتقوا الله) باتباع أوامره واجتناب نواهيه، (يجعل لكم فارقا) بين الحق والباطل وهداية ونورا ينور قلوبكم، فالمتقي الله يؤتيه فرقانا يميز به بين الرشد والغي وبين الحق والباطل وبين الإسلام الحق والكفر والضلال، ويكون بذلك ربانيا.[1]

وإن تتقوا الله أيضا، يمح عنكم ذنوبكم وسيئاتكم السابقة، ويسترها عن الناس، ويؤتكم الثواب الجزيل، والله صاحب الفضل الواسع والعطاء العظيم، ونظير الآية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد : 28].[2]

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1- تعددت الأوامر بالتقوى في القرآن الكريم، ولكن جاء الأمر هنا بلفظ الشرط لأنه تعالى خاطب العباد بما يخاطب بعضهم بعضا، فإذا اتقى العبد ربه وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات، وشحن قلبه بالنية الخالصة، وجوارحه بالأعمال الصالحة، وتحفظ من شوائب الشرك الخفي والظاهر، بمراعاة غير الله في الأعمال، والركون إلى الدنيا بالعفة عن المال، جعل له بين الحق والباطل فرقانا.[3]

2- ذكرت الآية ثلاثة أنواع من الجزاء على التقوى:

النوع الأول: (يجعل لكم فرقانا): وهو يشمل جميع الفروق الحاصلة بين المؤمنين وبين الكفار، ففي الدنيا: يخص تعالى المؤمنين بالهداية والمعرفة، ويخص صدورهم بالانشراح، وفي الآخرة: يكون الثواب والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة.

النوع الثاني: (يكفر) أي يزيل آثار جميع الذنوب والآثام الكبائر والصغائر ويمحوها ويسترها في الدنيا.

النوع الثالث:(يغفر) أي يزيلها يوم القيامة لأنه صاحب الفضل العظيم، ومن كان كذلك، فإنه إذا وعد بشيء وفى به.[4]

3- التقوى نور في الدنيا والآخرة، وسبب للسعادة فيهما، وتحقيق الآمال جميعها، والنجاة من كل سوء وشر، لذا قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة : 197].[5]

---

[1]- انظر: تفسير الطبري (487/13)، البحر المديد لابن عجيبة (324/2)، تفسير الشعراوي(4675/8)

[2]- انظر: تفسير المراغي (196/9)، العذب النمير للشنقيطي (570/4)، التفسير الوسيط لطنطاوي (83/6)، أيسر التفاسير للجزائري (300/2)، صفوة التفاسير للصابوني(465/1).

[3]- تفسير القرطبي (396/7).

[4]- تفسير الرازي (476/15).

[5]- تفسير السعدي (319).

4- المغفرة فضل عظيم من الله تعالى فلا بد للمرء من حسن الظن بالله تعالى فإنها ليست بمقطوعة، فعلى العاقل أن يجتهد إلى آخر العمر كي يكفر الله عنه سيئاته، ويستره بستره، (والله ذو الفضل العظيم)لمن تجاوز عما عنده راغبا فيما عند الله.[1]

5- أفضال الله أعظم من أفضال غيره لوجوه منها: أن كل ما سوى الحق سبحانه فإنه لا يتفضل ولا يحسن إلا إذا حصلت في قلبه داعية الإفضال والإحسان، وتلك الداعية حادثة فلا تحصل إلا بتخليق الله تعالى، وأن كل من تفضل يستفيد به نوعا من أنواع الكمال إما عوضا من المال أو عوضا من المدح والثناء، والله تعالى يعطي ويتفضل ولا يطلب به شيئا من ذلك لأنه كامل لذاته، وأن كل من تفضل على الغير فإن المتفضل عليه يصير ممنونا عليه وذلك منفر، أما الحق سبحانه وتعالى فهو الموجد لذات كل أحد بجميع صفاته، فلا يحصل الاستنكاف من قبول إحسانه؛ فثبت بهذه البراهين صحة قوله: (والله ذو الفضل العظيم).[2]

6- للمؤمن الصادق حسن قدوة بأبي لبابة في توبته النصوح، إذ ألم به ضعف فوقع في مثل هفوته أو ما دونها من خيانة، وأين مثل أبي لبابة رضي الله عنه في ذلك؟ ونحن نرى كثيرا ممن يدعون الإيمان يخونون الله ورسوله في انتهاك حرمات دينهم، ويخونون أمتهم ودولتهم بثمن قليل أو كثير من المال يرجونه أو ينالونه من عدوهم، أو خوفا على مالهم وولدهم من سلطانه قبل أن يستقر له السلطان، وقد أسقطت الخيانة دولة كانت أعظم دول الأرض قوة وبأسا بارتكاب رجالها الرشوة من أهلها، ومن الأجانب حتى مسخت فصارت دويلة صغيرة فقيرة، ولكن الخلف المغرور لذلك السلف المخرب يدعون أنها إنما أسقطها تعاليم الإسلام القويمة ؛ لأنها صارت قديمة، ولو أنهم أقاموا واجبا واحدا أو أدبا واحدا من آداب القرآن، لكان كافيا لوقايتها من الزوال.[3]

7- الفرقان كلمة جامعة ككلمة التقوى، فالتقوى هي الشجرة، والفرقان هو الثمرة.[4]

8- هذا هو الزاد، وهذه هي عدة الطريق، زاد التقوى التي تحيي القلوب وتوقظها وتستجيش فيها أجهزة الحذر والحيطة والتوقي. وعدة النور الهادي الذي يكشف منحنيات الطريق ودروبه على مد البصر فلا تغبشه الشبهات التي تحجب الرؤية الكاملة الصحيحة.. ثم هو زاد المغفرة للخطايا. الزاد المطمئن الذي يسكب الهدوء والقرار، وزاد الأمل في فضل الله العظيم يوم تنفد الأزواد وتقصر الأعمال.[5]

---

[1]- روح البيان لحقي (338/3).

[2]- تفسير الرازي (477/15)

[3] -تفسير المنار لمحمد رضا (537/9).

[4]- تفسير المنار لمحمد رضا (538/9).

[5]- في ظلال القرآن لسيد قطب (1499/3).

المبحث الثالث :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (30 . 31)

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مكر المشركين بدعوة الإسلام.

المطلب الثاني: موقف المشركين من دعوة الإسلام.

المطلب الأول : مكر المشركين بدعوة الإسلام.

﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ **[الأنفال: 30]**

أولاً : المناسبة:

لما ذكر الله تعالى المؤمنين نعمه عليهم بقوله:﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ كذلك ذكر رسوله نعمه عليه، وهو دفع كيد المشركين، ومكر الماكرين عنه.[1]

ثانياً: سبب النزول:

عن ابن عباسﷺ: أن نفرا من قريش ومن أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمعت بما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم مني رأي أو نصح، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، فقال قائل: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء: زهير ونابغة، فإنما هو كأحدهم، فقال عدو الله الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي، والله ليخرجن رائد من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم، ثم يمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم، فانظروا في غير هذا الرأي. فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم، واستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله، وطلاقة لسانه، وأخذه للقلوب بما تسمع من حديثه، والله لئن فعلتم، ثم استعرض العرب، ليجتمعن عليه، ثم ليسيرن إليكم حتى يخرجكم من بلادكم، ويقتل أشرافكم، قالوا: صدق والله، فانظروا غير هذا، فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، ما أرى غيره، قالوا: وما هذا؟ قال: تأخذون من كل قبيلة وسيطا شابا جلدا ثم نعطي كل غلام منهم سيفا صارما يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها، فلا أظن أن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلهم، وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا أذاه عنا، فقال الشيخ النجدي: هذا والله، هو الرأي، القول ما قال الفتى، لا أرى غيره، فتفرقوا على ذلك، وهم مجمعون له فأتى جبريل النبي ﷺ في بيته تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك في الخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة، يذكره نعمته عليه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ...﴾الآية[الأنفال : 31].[2]

---

[1]- تفسير الرازي (477/15)، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي (267/8).

[2]- انظر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (389/5)، والشريعة للآجري (1672/4)، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: 360هـ)،، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، 1420 هـ - 1999م، ولباب النقول (96)، وتفسير ابن أبي حاتم

ثانياً: المفردات اللغوية:

- وإذ يمكر: أي واذكر يا محمد إذ اجتمع أهل مكة للمشاورة في شأنك بدار الندوة، والتذكير بمكر قريش ليشكر نعمة الله عليه في خلاصه من مكرهم وتدبيرهم واستيلائه عليهم، والمكر: التدبير الخفي لإيصال المكروه إلى آخر من حيث لا يشعر.[1]
- ليثبتوك: يوثقوك بالوثاق، ويحبسوك بالقيد، حتى لا تقدر على الحركة.[2]
- أو يقتلوك: كلهم قتلة رجل واحد.[3]
- أو يخرجوك: يطردوك من مكة.[4]
- ويمكر الله: بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج.[5]
- والله خير الماكرين: أعلمهم به، وأفضل المدبرين.[6]

ثالثاً :البلاغة :

- ويمكرون: بيان لحالتهم العامة الدائمة في معاملته صلى الله عليه وسلم هو ومن اتبعه من المؤمنين، ولذلك لم يقل "ويمكرون بك" لأن هكذا دأبهم معك، ومع من اتبعك من المؤمنين.[7]
- ويمكر الله: يرد مكرهم أو بمجازاتهم عليه، وإسناد أمثال هذا إلى الله إنما يحسن للمزاوجة، ولا يجوز إطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الذم. فإضافة المكر إليه تعالى على طريق (المشاكلة) بمعنى إحباط ما دبروا من كيد ومكر، والمشاكلة: أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى.[8]

رابعاً :المعنى العام:

واذكر أيها النبي حينما اجتمع المشركون لتدبير مؤامرة خطيرة عليك وعلى دعوتك، فذلك أمر يستحق الشكر على النعمة، ويدعو للعبرة والعظة، ويدل على صدق دعوتك وتأييد ربك لك في وقت المحنة العصيبة.[9]

(1687/5)، والدر المنثور للسيوطي (51/4)، وقال علوي السقاف: حسنه ابن كثير في البداية والنهاية، وابن حجر في الفتح، [تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب (240)].

[1]- تفسير السمرقندي (17/2).

[2]- تفسير الطبري (491/13).

[3]- السراج المنير للخطيب الشربيني (567/1).

[4]- تفسير ابن أبي حاتم (1688/5).

[5] -تفسير البغوي (288/2).

[6]- السراج المنير للخطيب الشربيني (567/1)

[7]- تفسير المنار لمحمد رضا (541/9).

[8]- تفسير البيضاوي (57/3)، السراج المنير للخطيب الشربيني (567/1).

[9]- انظر: تفسير الطبري (491/13)، تفسير الماتريدي (189/5)، الهداية الى بلوغ النهاية (2800/4).

لقد دبروا لك إحدى مكائد ثلاث: إما الحبس الذي يحول بينك وبين دعوة الناس، وإما القتل بطريق جميع القبائل، وإما الطرد والإخراج من البلاد.[1]

إنهم يمكرون ويدبرون في السر أمراً مكروها لإيقاعه بك من حيث لا تحتسب، ولكن الله عزت قدرته يحبط مكرهم ويبطل تآمرهم ويذهب كيدهم هباء، فقد أخرجك مهاجراً سليماً من بينهم دون أي أذى، من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، والله خير المدبرين وأعلمهم.[2]

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1. التذكير بما كان في مكة، قبل تغير الحال، وتبدل الموقف يوحي بالثقة واليقين في المستقبل كما ينبه إلى تدبير قدر الله وحكمته فيما يقضي به ويأمر.[3]
2. حادثة الهجرة كانت معجزة ربانية لمحمد ﷺ، فقد اجتمع المشركون في دار الندوة، واتفقوا على قتله، وانتدبوا من كل قبيلة شابا وسيطا جلدا قويا ليقتلوه بضربة رجل واحد، ليتفرق دمه على القبائل، فلا يستطيع قومه بنو هاشم محاربة القبائل كلها، فأمر النبي ﷺعلي بن أبي طالب ﷺ أن ينام على فراشه، ودعا الله عز وجل أن يعمي عليهم أثره، فطمس الله على أبصارهم، فخرج وقد غشيهم النوم، فوضع على رؤوسهم ترابا ونهض، فلما أصبحوا خرج عليهم علي، فأخبرهم أن ليس في الدار أحد، فعلموا أن رسول الله ﷺ قد فات ونجا، والقصة معروفة في السيرة، والحاصل أنهم احتالوا على إبطال أمر محمد، والله تعالى نصره وقواه، فتبدد فعلهم، وظهر صنع الله تعالى.[4]
3. عقوبات الخلق بما كسبت أيديهم، ولما قصد أبو جهل إضرار النبي ﷺ بالقتل قتله الله في بدر وأزال شره عن المسلمين وذلك عدل محض منه تعالى.[5]
4. للخلق مكرا وللحق مكرا فمكر الخلق من الحيلة والعجز ومكر الخالق من الحكمة والقدرة فمكر الخلق مع مكر الحق باطل زاهق ومكر الحق حق ثابت.[6]
5. المراد من قوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ مع أنه لا خير في مكرهم أنه أقوى وأشد وأعلم، لينبه بذلك على أن كل مكر، فهو يبطل في مقابلة فعل الله تعالى، وفي ذلك أيضاً إيماء إلى أن شأن الكفار إيذاء دائم للنبي ﷺ ومن تبعه.[7]

---

[1] –انظر: تفسير الماوردي (312/2)، روح البيان لحقي (326/7)، تفسير الألوسي(349/11).

[2]– انظر: تفسير الزمخشري(215/2)، تفسير البيضاوي(57/3)، في ظلال القرآن لسيد قطب(1501/3).

[3] –في ظلال القرآن لسيد قطب (1501/3).

[4]– معاني القرآن للنحاس (148/3)، التفسير الحديث لدروزة عزت لدروزة (62/4).

[5]– روح البيان لحقي (340/3).

[6]– روح البيان لحقي (339/3).

[7]– تفسير الرازي (478/15)، التفسير الوسيط لطنطاوي (87/6).

6. المكر منه الخير والشر، والحسن والسيئ، كما قال تعالى: استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، ومن الدعاء المرفوع "وامكر لي ولا تمكر علي".[1]
7. الصورة التي يرسمها قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ صورة عميقة التأثير، ذلك حين تتراءى للخيال ندوة قريش، وهم يتآمرون ويتذاكرون ويدبرون ويمكرون، والله من ورائهم، محيط، يمكر بهم ويبطل كيدهم وهم لا يشعرون! إنها صورة ساخرة، وهي في الوقت ذاته صورة مفزعة، فأين هؤلاء البشر الضعاف المهازيل، من تلك القدرة القادرة، قدرة الله الجبار، القاهر فوق عباده، الغالب على أمره، وهو بكل شيء محيط؟.[2]

المطلب الثاني: موقف المشركين من دعوة الإسلام.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[**الأنفال: 31]**

أولاً : المناسبة:

لما حكى تعالى مكر المشركين بمحمد ذاته، حتى اضطر إلى الهجرة، حكى مكرهم في دين محمد، سواء بادعاء القدرة على الإتيان بمثل القرآن، أو بوصفه بأنه قصص السابقين المسطورة في الكتب دون تمحيص ولا تثبت من صحتها.[3]

ثانياً: سبب النزول:

عن سعيد بن جبير قال: قتل النبي ﷺ يوم بدر صبرا عقبة بن أبي معيط، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله، أسيري؟ فقال رسول الله ﷺ: (إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول). قال:وفيه نزلت هذه الآية.[4]

ثالثاً: المفردات اللغوية:

- قالوا: قد سمعنا، لو نشاء لقلنا مثل هذا: قاله النضر بن الحارث لأنه كان يأتي الحيرة يتجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة.[5]
- إلا أساطير: أكاذيب، جمع أسطورة: وهي القصص والأحاديث التي سطرت في الكتب القديمة الأولى بدون تمحيص ولا نظام.[6]

---

[1]– تفسير المنار لمحمد رضا (541/9).

[2] –في ظلال القرآن لسيد قطب (1501/3).

[3] –تفسير الرازي (478/15)، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي (268/8).

[4] –تفسير الطبري (504/13)، الدر المنثور للسيوطي (54/4)، تفسير ابن أبي حاتم(1689/5).

[5] –تفسير الثعلبي (350/4).

[6]– تفسير السمعاني (261/2).

رابعاً المعنى العام:

إذا تليت آيات القرآن الواضحة، قال كفار مكة جهلا وعنادا وسفها واستكبارا: لو نشاء لقلنا مثل هذا، وهو اعتراف ضمني بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، وقد تحداهم للإتيان بأقصر سورة منه، ولكنه التمويه والخداع والإيهام، كما يفعل الضعيف الجبان أمام البطل الشجاع المغوار، يدعي أنه قادر على قتله، وهو مجرد كلام هراء.[1]

وكان قائل هذا القول: هو النضر بن الحارث، روي أن النضر بن الحارث خرج إلى الحيرة تاجرا، واشترى أحاديث كليلة ودمنة، وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين وهو منهم، فيقرأ عليهم أساطير الأولين، وكان يزعم أنها مثل ما يذكره محمد.[2]

ثم عللوا قولهم الكاذب بما هو أكذب، فقال: ما هذا القرآن إلا أخبار وأكاذيب وأحاديث الأولين، مثل قصص الأمم السابقين. ونظير الآية قوله تعالى: وقالوا: أساطير الأولين اكتتبها، فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، أي كتب المتقدمين اقتبسها، فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس. وهذا هو الكذب البحت، كما أخبر الله عنهم في الآية التالية: قل:﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان : 6].[3]

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1. كما بدد الله مكر الكفار لشخص محمد ﷺ، كذلك بدد مكرهم لدينه وشرعه، ويبده في كل زمان ومكان.[4]
2. دل قولهم: لو نشاء لقلنا مثل هذا على أن معارضتهم للقرآن مجرد قول وادعاء، ولم يتمكنوا بالفعل من معارضته، ومجرد القول لا فائدة فيه، بل هو وقاحة وكذب.[5]
3. إلقاء مثل هذا الكلام والاتهام الباطل ينم عن الضعف والعجز، وسطحية الجاهل العامي، كما أنه موقف يدعو للسخرية والهزء من القائلين إذ لو كان لديهم دليل عقلي مقبول مفند لأعلنوه.[6]

---

[1] –انظر: إعجاز القرآن للباقلاني (43)، الموسوعة القرآنية (346/2)، مباحث في إعجاز القرآن (37)، الموسوعة القرآنية (346/2).

[2]– انظر: التفسير الوسيط للواحدي (455/2)، تفسير الرازي (478/15)، تفسير القرطبي (397/7)، مراح لبيد للجاوي (424/1).

[3]– انظر: تفسير ابن كثير (47/4)، تفسير المراغي (200/9)، أضواء البيان للشنقيطي(53/2).

[4]– التفسير المنير للزحيلي (309/9).

[5] –تفسير القرطبي (397/7).

[6] –تفسير القشيري (620/1).

4. يلاحظ أنهم نسبوا آيات القرآن إلى قصص السابقين، ولكنهم لم يقولوا: إن محمدا افتراها أو اختلقها إذ كانوا يعتقدون صدقه وأنه ليس كذابا، كما قال تعالى: فإنهم لا يكذبونك، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون.[1]
5. كان زعماء قريش كالنضر بن الحارث وأبي جهل والوليد بن المغيرة يصدون الناس عن سماع القرآن، ثم يحاولون التنصت على النبي ﷺ ليلا، حتى إن الوليد بن المغيرة أعلن كلمته بعد تأثره بآيات القرآن: (إنه يعلو ولا يعلى عليه، وإنه يحطم ما تحته) ثم حاول إبطال هذه الكلمة كيلا تسمعها العرب بتأثير زعماء الشرك فقال: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[المدثر: 24].[2]
6. لقد حاول أعداء هذا الدين دائما أن يصرفوا الناس نهائيا عن هذا القرآن، فلما عجزوا حولوه إلى تراتيل يترنم بها القراء ويطرب لها المستمعون، وحولوه إلى تمائم وتعاويذ يضعها الناس في جيوبهم وفي صدورهم وتحت وسائدهم، ويفهمون أنهم مسلمون، ويظنون أنهم أدوا حق هذا القرآن وحق هذا الدين! لكن هذا الكتاب ما يزال يعمل من وراء هذا الكيد وسيظل يعمل وما تزال في الأرض عصبة مسلمة تتجمع على جدية هذا الكتاب، وتتخذه وحده مصدر التوجيه وهي ترتقب وعد الله لها بالنصر والتمكين.[3]

---

[1]- تفسير المراغي (200/9).

[2]- تفسير المنار لمحمد رضا (544/9).

[3]- في ظلال القرآن لسيد قطب (1504/3).

المبحث الرابع :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (32 . 35)

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : بغض الحق وكراهيته عند المشركين.

المطلب الثاني: النبي ﷺ أمان أمته من العذاب.

المطلب الثالث : فضائل الاستغفار.

المطلب الرابع : جرم الصد عن المسجد الحرام.

المطلب الخامس : أهل الحق بولاية المسجد الحرام.

المطلب السادس : هيئة عبادة المشركين وحكمها.

المطلب الأول : بغض الحق وكراهيته عند المشركين.

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ **[الأنفال : 32]**

أولاً : سبب النزول:

عن سعيد بن جبير في قوله:(وإذ قالوا): اللهم قال: نزلت في النضر بن الحارث، لما قال: إن هذا إلا أساطير الأولين، قال له النبي ﷺ: (ويلك إنه كلام رب العالمين، فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق).[1]

ثانياً: المفردات اللغوية :

- إن كان هذا: أي الذي يقرؤه محمد.[2]

ثالثاً: البلاغة :

- (إن كَانَ هذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ)، فيها قصر الحق على هذا، وهو التوحيد، والإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فالإنكار واقع على قصر الحق، وكأنهم يريدون أن يكون ما هم عليه حقا وهو الباطل الذي لَا ريب فيه.[3]
- (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ) فذكر السماء؛ لأنه المناسب للإمطار، وليكون أشد؛ لأنه يكون حجارة تنصب على الرءوس انصبابا كانصباب الماء.[4]

رابعاً : المعنى العام:

واذكر يا محمد حين قالت قريش: اللهم إن كان هذا القرآن هو الحق المنزل من عندك، فعاقبنا بإنزال حجارة ترجمنا بها من السماء، كما عاقبت أصحاب الفيل، أو ائتنا بعذاب مؤلم سوى ذلك.[5]

وهذا إخبار من الله تعالى عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم وعنادهم وادعائهم الباطل حين سماع آيات الله تتلى عليهم، ومرادهم إنكار كونه حقا منزلا من عند الله، وأنهم لا يتبعونه، وإن كان هو الحق المنزل من عند الله، بل يفضلون الهلاك، وهذا غاية الجحود والإنكار، وهو من كثرة جهلهم وشدة تكذيبهم وعنادهم وعتوهم.[6]

---

[1]- تفسير مجاهد (354)، أسباب النزول للواحدي (236).

[2] -تفسير الجلالين (232).

[3]- زهرة التفاسير لأبي زهرة (3115/6).

[4]- المرجع السابق (3116/6).

[5]- انظر: تفسير الزمخشري (216/2)، تفسير النسفي (642/1)، تفسير النيسابوري (395/3)، التفسير المظهري (60/4)، تفسير القاسمي (283/5).

[6]- انظر: تفسير البيضاوي (57/3)، البحر المديد لابن عجيبة (327/2)ـ تفسير المنار لمحمد رضا (544/9)، زهرة التفاسير لأبي زهرة (3115/6).

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1. بيان مدى الحماقة من المشركين، حين استعجلوا إنزال العذاب، فقد روي أن معاوية قال لرجل من سبأ "ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة؟ فقال: أجهل من قومي قومك حين قالوا: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: 32] ولم يقولوا فاهدنا له[1].[2]
2. دل سؤالهم العذاب على تصميم عقدهم على تكذيب الرسول ﷺ، واستيقنوا عند أنفسهم بأنه لا يستجاب فيهم ما يدعونه على أنفسهم، وفى هذا أظهر دليل على أن سكون النفس إلى الشيء ليس بعلم لأنه كما يوجد مع العلم يوجد مع الجهل.[3]
3. ما يحكيه القرآن من أقوال المشركين وغيرهم قد يكون بالمعنى دون نص اللفظ، كما هو المعتاد بين الناس، وقد يكون نظمه مع أدائه للمعنى بدون إخلال مما يعجز المحكي عنهم عن مثله، وقد يتعين هذا في الكلام الطويل الذي يتحقق بمثل الإعجاز.[4]
4. إن الفطرة السليمة حين تشك تدعو الله أن يكشف لها عن وجه الحق، وأن يهديها إليه، دون أن تجد في هذا غضاضة. ولكنها حين تفسد بالكبرياء الجامحة، تأخذها العزة بالإثم، حتى لتؤثر الهلاك والعذاب، على أن تخضع للحق عند ما يكشف لها واضحا لا ريب فيه.. وبمثل هذا العناد كان المشركون في مكة يواجهون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن هذه الدعوة هي التي انتصرت في النهاية في وجه هذا العناد الجامح الشموس.[5]

المطلب الثاني: النبي ﷺ أمان أمته من العذاب.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33]

أولاً : المفردات اللغوية :

- ليعذبهم: بما سألوه.
- وأنت فيهم: لأن العذاب إذا نزل عم، ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها.

ثانياً: البلاغة :

- نفَى الله عز وجل عن ذاته العلية الشأن، فقال: (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ) فنفى اسم الفاعل وهو نفي الوصف القائم بالذات العلية، (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).[6]

---

[1] أنساب الأشراف للبلاذري (5/ 62)، ح: 217.

[2]- انظر: التفسير الواضح لمحمد حجازي (824/1)، تفسير المنار لمحمد رضا (545/9).

[3]- تفسير القشيري (621/1).

[4]- تفسير المنار لمحمد رضا (545/9).

[5]- في ظلال القرآن لسيد قطب (1505/3).

[6] -زهرة التفاسير لأبي زهرة (3117/6).

ثالثاً : المعنى العام:

ثم ذكر الله تعالى سبب إمهالهم بالعذاب، فقال: (وما كان الله...)أي وما كان من مقتضى سنة الله ورحمته وحكمته أن يعذبهم، والرسول موجود بينهم لأنه إنما أرسله رحمة للعالمين لا عذابا ونقمة، وما عذب الله أمة ونبيها فيها، قال ابن عباس: لم يعذب أهل قرية، حتى يخرج النبي ﷺ منها والمؤمنون، ويلحقوا بحيث أمروا.

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

1. وجود النبي ﷺ بين القوم فهو حائل من العذاب، لا يختص ذلك بنبينا ﷺ، إلا بعد أن يخرج رسولهم منهم، كما كان في حق هود وصالح ولوط.[1]
2. من رحمة الله إمهال الكفار عسى أن يستجيب للهدى منهم من تخالط بشاشة الإيمان قلبه ولو بعد حين، وما دام الرسول ﷺ بينهم، يدعوهم، فهنالك توقع لاستجابة البعض منهم فهم إكراما لوجود رسول الله بينهم يمهلون. والطريق أمامهم لاتقاء عذاب الاستئصال دائما مفتوح إذا هم استجابوا واستغفروا عما فرط منهم.[2]

المطلب الثالث : فضائل الاستغفار.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾[الأنفال: 33]

أولاً: المفردات اللغوية:

- وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون: حيث يقولون في طوافهم: غفرانك.[3]

ثانياً: المعنى العام:

ما كان الله ليعذب كفار قريش عذاب الاستئصال في الدنيا الذي عذب بمثله بعض الأمم السالفة، وهو يقولون في الطواف: غفرانك، والاستغفار، وإن وقع من الفجار يدفع به ضروب من الشرور والإضرار، وقيل: إن الاستغفار راجع إلى المسلمين المستضعفين الذين هم بين أظهرهم، أي وما كان الله معذبهم، وفيهم من يستغفر من المسلمين، فلما خرجوا عذبهم الله يوم بدر وغيره، وقيل: إن الاستغفار هنا يزاد به الإسلام، أي وهم يسلمون، أي يسلم بعضهم إثر بعض، أو يكون لهم أولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه.[4]

---

[1] –أضواء البيان للشنقيطي (304/3)، مباحث في التفسير الموضوعي (249).

[2] –في ظلال القرآن لسيد قطب (1505/3).

[3]– تفسير الجلالين (232).

[4]– انظر: تفسير البغوي (290/2)، تفسير الرازي (480/15) تفسير الخازن (309/2)، اللباب في علوم الكتاب (508/9)، حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي (271/4).

ثالثاً: ما يستفاد من الآيات:

1. الاستغفار أمان وسلامة من العذاب، قال ابن عباس: كان فيهم أمانان: نبي الله والاستغفار، أما النبي فقد مضى وأما الاستغفار فهو باق إلى يوم القيامة.[1]
2. إذا كان كون الرسول ﷺ في الكفار يمنع العذاب عنهم فكون المعرفة في القلوب أولى بدفع العذاب عنها، والعذاب وإن تأخر عنهم مدة مقامهم في الدنيا مادام هو عليه السلام فيهم فلا محالة يصيبهم العذاب في الآخرة، إذ الاعتبار بالعواقب لا بالأوقات والطوارق.[2]

المطلب الرابع : جرم الصد عن المسجد الحرام.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[الأنفال: 34]

أولاً : المفردات اللغوية:

- وما لهم ألا يعذبهم الله: بالسيف بعد خروجك والمستضعفين،وقد عذبهم الله ببدر وغيره.
- وهم يصدون: يمنعون النبي ﷺ والمسلمين.[3]
- عن المسجد الحرام: أن يطوفوا به.[4]

ثانياً: المعنى العام:

بعد أن نفى الله عنهم عذاب الاستئصال في الدنيا، أثبت احتمالا آخر، وهو إمكان تعذيبهم بعذاب دون عذاب الاستئصال عند وجود المقتضي وزوال المانع، فقال: ولم لا يعذبهم الله بعذاب آخر، وأي شيء يمنع من إنزال عذاب أخف من ذلك العذاب؟ بسبب أنهم يمنعون الناس عن المسجد الحرام ولو لأداء النسك؟ فقد كانوا يمنعون المسلم من دخول المسجد الحرام، وأخرجوا النبي ﷺوصحبه من المسجد الحرام. فهم أهل لأن يعذبهم الله، ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام الرسول ﷺ بين أظهرهم.[5]

ثالثاً: ما يستفاد من الآيات:

1. استحقاق كفار قريش عذابا دون عذاب الاستئصال لما ارتكبوا من القبائح والأسباب، ولكن لكل أجل كتاب، فعذبهم الله بالقتل والأسر يوم بدر وغيره.[6]
2. إعانة المسلمين على ما فيه قيام بحق الدين يوجب استحقاق القربة والثواب.[7]

---

[1] –تفسير النيسابوري (395/3).

[2]– تفسير القشيري (622/1).

[3]– تفسير السمرقندي (19/2).

[4]– تفسير البغوي (354/3).

[5]– انظر: تفسير البيضاوي (58/3)، تفسير ابن كثير (50/4)، تفسير المنار لمحمد رضا (546/9)، تفسير المراغي (203/9).

[6] –تفسير القرطبي (399/7).

[7]– تفسير القشيري (622/1).

المطلب الخامس : أهل الحق بولاية المسجد الحرام.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ **[الأنفال: 34]**

أولاً: المفردات اللغوية :

- لا يعلمون: ألا ولاية لهم عليه.[1]

ثانياً: المعنى العام:

من كانت هذه حالته لم يكن وليا للمسجد الحرام، فهم أهل للقتل بالسيف والمحاربة، فقتلهم الله وعذبهم يوم بدر، حيث قتل رؤوس الكفر كأبي جهل وأسر سراتهم، وأعز الإسلام بذلك.[2]

وما أولياؤه وحماته إلا المتقون من المسلمين، فليس كل مسلم أيضا ممن يصلح لأن يلي أمره، إنما يستأهل ولايته من كان برا تقيا، فكيف بالكفرة عبدة الأصنام؟! ولكن أكثرهم لا يعلمون بأن المتقين أولياؤه، فهم الآمنون من عذابه.[3]

ثالثاً: ما يستفاد من الآيات:

1. في الآية دليل على أنه لا يعذب أولياءه بقوله: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓ﴾ فإذا عذب من لم يكونوا أولياءه دل على أنه لا يعذب من كان من جملة أوليائه، والمؤمنون كلهم أولياء الله لأنه قال: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾، والمؤمن وإن عذب بمقدار جرمه زمانا فإنه لا يخلد في دار العقوبة.[4]
2. إن جماهير المسلمين في أكثر بلادهم صاروا في هذا العصر أجهل من مشركي قريش في ذلك العصر بمعنى ولاية الله وأوليائه سواء في ذلك ولاية الحكم والسلطان، وهي الإمامة العامة، وولاية التقوى والصلاح، وهي الإمامة الشخصية الخاصة، وجهلهم بهذه أعم وأعمق، فالولاية عندهم تشمل المجانين والمجاذيب الذين ترتع الحشرات في أجسادهم النجسة، وثيابهم القذرة، ويسيل اللعاب من أشداقهم الشرهة، وتشمل أصحاب الدجل والخرافات، والدعاوى الباطلة للكرامات، والشرك بالله بدعاء الأموات، ومن أدلتهم عليها ما يتخيلون من رؤى الأنبياء والأقطاب في المنام، وما يزعمون من تلقيهم عنهم ما تنبذه شريعة المصطفى عليه السلام، حتى صار ما هم عليه دين شرك منافيا لدين الإسلام، فعليك بمطالعة كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية.[5]

---

[1]- تفسير البيضاوي (58/3).

[2]- انظر: تفسير ابن كثير (50/4)، تفسير المراغي (203/9).

[3]- انظر: تفسير الزمخشري (217/2)، البحر المحيط في التفسير (314/5)، تفسير النيسابوري (396/3)، الموسوعة القرآنية (558/9).

[4]- تفسير القشيري (622/1).

[5]- تفسير المنار لمحمد رضا (548/9).

المطلب السادس : هيئة عبادة المشركين وحكمها.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[الأنفال: 35]

أولاً : سبب النزول:

عن ابن عمر قال: كانوا يطوفون بالبيت ويصفرون ويصفقون، فنزلت، وعن سعيد بن جبير قال: كانت قريش يعارضون النبي ﷺ في الطواف يستهزئون به، ويصفرون ويصفقون، فنزلت.[1]

ثانياً: المفردات اللغوية:

- مكاء: صفيرا.
- وتصدية: تصفيقا، أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها.

ثالثاً البلاغة :

- وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية: أي تصفيرا وتصفيقا، جعلوا صلاتهم عند البيت على هذا النحو، مما يدل على جهلهم بمعنى العبادة وعدم معرفة حرمة بيت الله.[2]

رابعاً: المعنى العام:

بين الله تعالى سبب عدم أهليتهم لأن يكونوا أولياء البيت، وهو أن صلاتهم عند البيت وتقربهم وعبادتهم إنما كان تصفيرا وتصفيقا، لا يحترمون حرمة البيت ولا يعظمونه حق التعظيم، فكانوا يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون يعارضون النبيﷺ في الطواف، ويستهزئون به، ويصفرون، ليفسدوا عليه طوافه وصلاته، فاستحقوا أن يذيقهم الله القتل والأسر يوم بدر، بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة، وهذا هو العذاب الذي طلبوه.[3]

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1. تجردت أعمال الكفار بظواهرهم عن خلوص عقائدهم، فلم يوجد سبحانه وتعالى لها احتسابا، فزكاء القالة لا يكون إلا مع صفاء الحالة، وعناء الظاهر لا يقبل إلا مع ضياء السرائر.[4]
2. (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) كان العذاب معجلا وهو حسبانهم أنهم على شيء، قال الله تعالى:﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف : 104].[5]

---

[1]- تفسير الطبري (523/13)، تفسير ابن أبي حاتم (1696/5)،

[2]- انظر: تفسير ابن كثير (52/4).

[3]- : انظر: تفسير الثعلبي (354/4)، التفسير الوسيط للواحدي (458/2)، تفسير البغوي (291/2)، تفسير الزمخشري (218/2)، تفسير الرازي (481/15)، تفسير البيضاوي (58/3).

[4]- تفسير القشيري (623/1).

[5]- المرجع السابق(623/1).

المبحث الخامس :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (36 . 37)

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : نفقات المشركين ومآلها.

المطلب الثاني: سنة الاختبار ماضية.

المطلب الأول : نفقات المشركين ومآلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾**[الأنفال: 36]**

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين الله تعالى حالة المشركين في الطاعات البدنية وهي الصلاة بقوله: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت﴾، بين حالهم في الطاعات المالية، سواء في الإنفاق يوم بدر أو أحد.[1]

ثانياً: سبب النزول:

عن الزهري قال: لما أصيبت قريش يوم بدر، ورجعوا إلى مكة، مشى عبد الله ابن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم، فكلموا أبا سفيان، ومن كان له في ذلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال- أي مال العير الذي نجا- على حربه، فلعلنا أن ندرك منه ثأرا، ففعلوا، وأنفق أبو سفيان لوحده أربعين أوقية من ذهب، ففيهم كما ذكر عن ابن عباس نزلت.[2]

ويميل الباحث إلى ما ذهب إليه الإمام الطبري[3] فقال: " الصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركي قريش، أنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، ولم يخبرنا بأي أولئك عنى، غير أنه عم بالخبر "الذين كفروا"، وجائز أن يكون عنى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه بأحد، وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر، وجائز أن يكون عنى الفريقين، وإذا كان ذلك كذلك، فالصواب في ذلك أن يعم كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش".

ثالثاً: المفردات اللغوية :

- ينفقون أموالهم: في حرب النبي ﷺ.[4]
- عليهم حسرة: ندامة وألما، لفواتها وتضييعها، وفوات ما قصدوه.[5]
- يحشرون: يساقون.[6]

---

[1]- تفسير الرازي (481/15)، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي (276/8).

[2] -انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (124/1)، تفسير الطبري (529/13-534)، تفسير ابن أبي حاتم (1697/5)، أسباب النزول للواحدي (236).

[3]- تفسير الطبري (534/13).

[4] -البحر المديد لابن عجيبة (329/2).

[5]- تفسير الطبري (529/13).

[6]- تفسير الخازن (311/2).

رابعاً: البلاغة :

- التعبير بـ (ثم) للمفارقة بين النتائج التي حققت، والمبعث للإنفاق.[1]
- لم يقل سبحانه وتعالى: وإلى جهنم يحشرون، لأنه كان فيهم من أسلم، بل ذكر أن الذين بقوا على الكفر يكونون كذلك، وتقديم الخبر يفيد الحصر بأنه لا يحشرون إلا إلى جهنم.[2]

خامساً: المعنى العام:

إن الذين كفروا بالله ورسوله يقصدون من الإنفاق صد الناس عن اتباع محمد، وهو سبيل الله تعالى، وحين ينفقون تكون عاقبة هذا الإنفاق لحرب النبي ﷺ والصد عنه في النهاية ندما وحسرة، فكأن ذاتها تصير ندما، وتنقلب حسرة، لأنها مال ضائع في سبيل الشيطان، ولا تؤدي إلى النصر، وإنما على العكس مصيرها إلى الهزيمة، فهذا عذابهم في الدنيا: ضياع المال والهزيمة، وعذابهم في الآخرة: أنهم يساقون إلى جهنم، إذا أصروا على كفرهم وماتوا وهم كفار؛ لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه.[3]

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

1. لا يستفيد الكفار من بذلهم أموالهم في الإنفاق الذي يقصد به الصد عن سبيل الله، إلا الحسرة والخيبة في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة، وهو يوجب الزجر العظيم عن ذلك الإنفاق.[4]
2. إن الغلبة والنصر يكونان للمؤمنين، والهزيمة والخذلان للكافرين، وسيكون هؤلاء يوم القيامة مسوقين في حال من الذل والصغار إلى جهنم، وبئس المصير.[5]
3. ليس هذا الإنفاق إلا نموذجا من الأسلوب التقليدي لأعداء هذا الدين، إنهم ينفقون أموالهم، ويبذلون جهودهم، ويستنفدون كيدهم، في الصد عن سبيل الله، وفي إقامة العقبات في وجه هذا في الدين، إن المعركة لن تكف، وأعداء هذا الدين لن يدعوه في راحة، ولن يتركوا أولياء هذا الدين في أمن، وسبيل أوليائه أن يتحركوا لتحطيم قدرة أعدائه على العدوان ثم لإعلاء راية الله حتى لا يجرؤ عليها الطاغوت.[6]

---

[1]- زهرة التفاسير لأبي زهرة (3124/6).

[2]- تفسير الرازي (482/15)، زهرة التفاسير لأبي زهرة (3124/6).

[3]- انظر: تفسير الرازي (337/8)، تفسير الماتريدي (462/2)، تفسير الإيجي (21/2)، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (171/5)، التفسير الواضح لمحمد حجازي (827/1).

[4]- تفسير الرازي (482/15)

[5] -التفسير القرآني للقرآن للخطيب (607/5).

[6]- في ظلال القرآن لسيد قطب (1506/3).

4. هذه الآية مع كونها معلمة بما لكفار قريش في الدنيا من أن آخر أمرهم في الدنيا الغلب كما كشف عنه الزمان، علماً من أعلام النبوة، ودليل من أدلة صدق النبي ﷺ.[1]
5. المؤمنون أولى من الكفار ببذل أموالهم وأنفسهم في سبيل الله؛ لأن لهم بها من حيث جملتهم سعادة الدارين، ومن حيث أفرادهم الفوز بإحدى الحسنيين، هكذا كان في كل زمان قام المسلمون فيه بحقوق الإسلام والإيمان، وهكذا سيكون، إذا عادوا إلى ما كان عليه سلفهم الصالحون، والكفار في هذا الزمان ينفقون القناطير المقنطرة من الأموال للصد عن الإسلام، وفتنة الضعفاء من العوام، بجهاد سلمي، أعم من الجهاد الحربي، وهو الدعوة إلى أديانهم، والتوسل إلى نشرها بتعليم أولاد المسلمين في مدارسهم، ومعالجة رجالهم ونسائهم في مستشفياتهم. أوليس المسلمون أولى بذلك منهم!.[2]

المطلب الثاني: سنة الاختبار ماضية.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ **[الأنفال: 37]**

أولاً : المناسبة:

لما ذكر حشر الكافرين ذكر علته بأن يميز الكافر من المؤمن، فجعل لكل داراً يتميز بها عدلاً في الكافرين وفضلاً على المؤمنين.[3]

ثانياً: المفردات اللغوية:

- ليميز: متعلق بـ: تكون، ومعناه يفصل الخبيث الكافر.[4]

ثالثاً: البلاغة :

- الخبيث من الطيب: كناية عن المؤمن والكافر، وبين اللفظين طباق.[5]

(فيركمه جميعاً) عطف تفسير يؤكد الذي قبله في إرادة الحقيقة مع إفهام شدة الاتصال حتى يصير الكل كالشيء الواحد كالسحاب المركوم، وهذا التجسيم يمنح المدلول وقعا أعمق في الحس، وتلك طريقة القرآن الكريم في التعبير والتأثير.[6]

- أولئك هم الخاسرون: إشارة بالبعيد إلى الفريق الخبيث، لبيان مدى خسارتهم الفادحة، وبعدهم عن الرحمة الإلهية.[7]

---

[1]- نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي (278/8).

[2]- تفسير المنار لمحمد رضا (550/9).

[3]- نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي (278/8).

[4]- تفسير الثعلبي (356/4).

[5]- تفسير الطبري (176/11)، بصائر ذوي التمييز الفيروزآبادى (522/2).

[6]- نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي (279/8)، في ظلال القرآن لسيد قطب (1507/3).

[7] في ظلال القرآن لسيد قطب (1507/3).

رابعاً: المعنى العام:

المسلمون إذا أنفقوا أموالهم في سبيل الله، تحقق لهم إما النصر في الدنيا، وإما الثواب في الآخرة، أو الأمران معا، لأن الله عز وجل قد كتب النصر للمؤمنين، والهزيمة للكافرين، فيميز بذلك أهل السعادة عن أهل الشقاء، ويجعل الخبيث بعضه متراكما فوق بعض في جهنم، خاسراً الدنيا والآخرة.[1]

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1. إن تحقيق الغلبة للمؤمنين، وإيقاع الهزيمة بالكافرين إنما بقصد تمييز الفريق الخبيث من الكفار، عن الفريق الطيب من المؤمنين، وتميز نفقة الكافر على عداوة محمد ﷺ، عن نفقة المؤمن في جهاد الكفار، كإنفاق أبي بكر وعثمان في نصرة الرسول عليه الصلاة والسلام، فيضم تعالى تلك الأمور الخبيثة بعضها إلى بعض، فيلقيها في جهنم ويعذبهم بها.[2]
2. جعل هذا جزاءهما في الدنيا، وجعل جهنم مأوى للكفار وحدهم في الآخرة؛ لأجل أن يميز الكفر من الإيمان، والحق والعدل من الجور والطغيان، فلن يجتمع في حكمته سبحانه الضدان، ولا يستوي في جزائه النقيضان قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب.[3]
3. إن الله تعالى كتب النصر والغلبة لعباده المؤمنين المتقين، والخذلان والحسرة لمن يعاديهم ويقاتلهم من الكافرين للصد عن سبيل الله الذي استقاموا عليه، وجعل هذا جزاء كل من الفريقين ما داما على حالهما، فإذا غيرا ما بأنفسهما غير الله ما بهما.[4]
4. الخبيث ما لا يصلح لله، والطيب ما يصلح لله، والخبيث ما حكم الشرع بقبحه وفساده، والطيب ما شهد العلم بحسنه وصلاحه، والخبيث ما شغل صاحبه عن الله، والطيب ما أوصل صاحبه إلى الله، والخبيث ما يأخذه المرء وينفقه لحظ نفسه، والطيب ما ينفقه بأمر ربه، والخبيث عمل الكافر يصور له ويعذب بإلقائه عليه، والطيب عمل المؤمن يصور له في صورة جميلة فيحمل المؤمن عليه وهذا التمييز الإلهي بين الأمرين في الاجتماع البشري يوافق ما يسمى في عرف هذا العصر بسنة الانتخاب الطبيعي، وبقاء أمثل الأمرين المتقابلين وأصلحهما، وسنن الله في الدنيا والآخرة واحدة.[5]

---

[1] –انظر: تفسير الطبري (535/13)، الوجيز للواحدي (440)، تفسير الخازن (311/2)، تفسير المنار لمحمد رضا (550/9)، تفسير المراغي (206/9).

[2]– تفسير الرازي (482/15).

[3] –تفسير المنار لمحمد رضا (551/9).

[4]– تفسير المنار لمحمد رضا (550/9).

[5]– تفسير القشيري (624/1)، تفسير المنار لمحمد رضا (551/9).

5. إن هذا المال الذي ينفق يؤلب الباطل ويملي له في العدوان فيقابله الحق بالكفاح والجهاد وبالحركة للقضاء على قدرة الباطل على الحركة.. وفي هذا الاحتكاك المرير، تتكشف الطباع، ويتميز الحق من الباطل، كما يتميز أهل الحق من أهل الباطل، ويظهر الصامدون الصابرون المثابرون الذين يستحقون نصر الله، لأنهم أهل لحمل أماناته، والقيام عليها، وعدم التفريط فيها تحت ضغط الفتنة والمحنة، عند ذلك يجمع الله الخبيث على الخبيث، فيلقي به في جهنم، وتلك غاية الخسران.[1]

[1] –في ظلال القرآن لسيد قطب (1507/3).

المبحث السادس :

المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (38 . 40)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : سعة فضل الله ورحمته، وأن الإسلام يجب ما قبله.

المطلب الثاني : سنة الله في الظالمين.

المطلب الثالث : علة قتال المشركين.

المطلب الرابع : نعم الموالاة والنصرة.

المطلب الأول : سعة فضل الله ورحمته، وأن الإسلام يجب ما قبله.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38]

أولاً : المناسبة:

لما بين الله تعالى صلاة المشركين وعباداتهم البدنية، ثم عباداتهم المالية، وصدهم عن سبيل الله وقتال رسوله والمؤمنين، أرشدهم إلى طريق الصواب، ورغبهم في دخول الإسلام وفتح لهم باب الرحمة الواسعة والفضل الكبير.[1]

ثانياً: المفردات اللغوية:

- قل للذين كفروا: يعني أبا سفيان وأصحابه، أي قل لأجلهم هذا القول، وليس المراد أنك تخاطبهم به، وإلا لقيل: إن تنتهوا يغفر لكم.[2]
- إن ينتهوا: عن الكفر وقتال النبي ﷺ ومعاداته بالدخول في الإسلام.[3]

ثالثاً : المعنى العام:

قل أيها الرسول لأجل الذين كفروا كأبي سفيان وأصحابه: إن ينتهوا عما هم فيه من الكفر والعناد ومعاداة النبي ﷺ، ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة، يغفر لهم ما قد سلف، من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم.[4]

عن ابن مسعود ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال: (من أحسن في الإسلام، لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر)[5]، وعن عمرو بن العاص ﷺقال: (فلما جعل الله الإيمان في قلبي أتيت النبي ﷺ، فقلت: ابسط يدك أبايعك، فبسط يده فقبضت يدي، قال: مالك؟ قلت: أردت أن أشترط. قال: ماذا تشترط؟ قلت: أن يغفر لي، قال: أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟)[6].[1]

---

[1]–انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي (279/8)، التفسير الواضح لمحمد حجازي (828/1)، تفسير المنار لمحمد رضا (552/9).

[2]– تفسير الزمخشري (219/2).

[3] –تفسير الماتريدي (143/6).

[4]– انظر: تفسير الماتريدي (340/9)، وتفسير الرازي (482/15)، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (159)، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى، دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية – الرياض، الطبعة الأولى، 1413 هـ، 1991م، وتفسير ابن كثير (54/4)، والعذب النمير للشنقيطي(5/5).

[5]– صحيح البخاري (14/9)، كِتَابُ اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّينَ وَالمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَابُ إِثْمِ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، وَعُقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

[6]– صحيح مسلم (1/ 112)، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ كَوْنِ الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهِجْرَةِ وَالْحَجِّ، ح: 121.

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

1. فضل الله تعالى، وفتح باب رحمته أمام الكفار، فإنهم إن يسلموا يغفر الله لهم ما سلف من كفر، وما ارتكبوا من ذنوب، وما قصروا من أداء واجبات نحو ربهم، فلا يطالبون بقضاء العبادات البدنية والمالية، ويبدءون صفحة جديدة مشرقة بالإسلام النقي الطاهر.[2]

المطلب الثاني : سنة الله في الظالمين.

﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾**[الأنفال: 38]**

أولاً: المفردات اللغوية :

- وإن يعودوا: إلى قتاله.[3]
- فقد مضت سنت الأولين: أي تقررت سنتنا في الذين تحزبوا على الأنبياء بالتدمير والهلاك، فكذا نفعل بهم.[4]

ثانياً: المعنى العام:

وعيد شديد للكفار إن عاد الكفار إلى الصد والعناد والقتال واستمروا على ما هم عليه، أجريت عليهم سنة الله المطردة في تدمير وإهلاك المكذبين السابقين الذين كذبوا أنبيائه وتحزبوا ضدهم، وظهر وعد الله القائل: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.[5]

المطلب الثالث : علة قتال المشركين.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[الأنفال:39]

أولاً : المفردات اللغوية :

- فتنة: لا يوجد فيهم شرك.[6]
- ويكون الدين كله لله: وحده ولا يعبد غيره وتضمحل عنهم الأديان.[7]
- فإن انتهوا عن الكفر: فإن الله بما يعملون بصير فيجازيهم به على انتهائهم عن الكفر وإسلامهم.[8]

---

[1] –انظر: التفسير المظهري (65/4)، تفسير المنار لمحمد رضا (552/9)، تفسير المراغي (207/9)، التفسير المنير للزحيلي (322/9).

[2]– المرجع السابق (323/9).

[3] –تفسير البيضاوي (59/3).

[4] –روح البيان لحقي (345/3).

[5]– انظر: البحر المديد لابن عجيبة (330/2)، فتح القدير للشوكاني (352/2)، في ظلال القرآن لسيد قطب (1508/3)، صفوة التفاسير للصابوني (467/1)، التفسير القرآني للقرآن للخطيب (609/5)، التفسير الواضح لمحمد حجازي (828/1).

[6] تفسير مقاتل بن سليمان (168/1).

[7] تفسير ابن عطية (527/2).

[8] تفسير البيضاوي (59/3).

ثانياً: البلاغة:

– لما كان الغرض من الخطاب الأول التلطف بهم وهو وظيفة النبي وحده جاء بالإفراد، ولما كان الغرض من الثاني تحريض المؤمنين على القتال جاء بالجمع فخوطبوا جميعا.[1]

ثالثاً: المعنى العام:

بين الله تعالى حكم هؤلاء الكفار إن عادوا للكفر واستمروا عليه، فأمر بقتالهم قتالا عنيفا حتى لا يبقى شرك أبدا، ولا يبعد إلا الله وحده، ولا يفتن مؤمن عن دينه، ويخلص التوحيد لله، فيقال: لا إله إلا الله، وتضمحل الأديان الباطلة، ولا يبقى إلا دين الإسلام، فيكون الغرض من القتال هو التمكين من حرية التدين، فلا يكره أحد على ترك عقيدته، كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : 256].[2]

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

1. وجوب القتال، حتى تزول فتنة المسلم عن دينه، وتتأكد حرية الاعتقاد والتدين، وهذا كما ذكر الرازي مجرد أمل وغرض أو هدف لأنه ليس كل ما كان غرضا للإنسان، فإنه يحصل، فسواء حصل أو لم يحصل، يكون الأمر بالقتال لتحصيل هذا الغرض، وإن لم يتحقق في الأمر نفسه.[3]
2. نصر الله مرهون بأمرين: الإعداد المادي والمعنوي للجهاد كما قال تعالى:) ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : 60]، ونصرة دين الله وتطبيق شرعه وتنفيذ أحكامه، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : 7]، أما الاتكال على مجرد الاتصاف بالإسلام قولا لا عملا، وطلب النصر بخوارق العادات، والأدعية فقط، دون إعداد ولا تحقيق الصفة الإسلامية الحقة التي اتصف بها السلف الصالح، فلا يحقق شيئا من النصر المرتجى على العدو في فلسطين وغيرها من بلاد الإسلام المعتدى عليها، أو المحتلة.[4]

---

[1] التفسير الوسيط لطنطاوي (97/6).

[2]– انظر: تفسير ابن كثير (308/7)، تفسير المنار لمحمد رضا (553/9)، تفسير المراغي (208/9)، أضواء البيان للشنقيطي (118/6)، العذب النمير للشنقيطي (325/1)، بيان المعاني (292/5)، صفوة التفاسير للصابوني (112/1).

[3]– انظر: تفسير الرازي (484/15)، وأحكام القرآن للجصاص (312/4)، ونظرات في كتاب الله (211)، والتفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية (237)، ودراسات في علوم القرآن الكريم (253)، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الثانية عشرة 1424هـ – 2003م

[4]– تفسير المراغي (208/9)، تفسير المنار لمحمد رضا (555/9).

3. جاء الأمر بمقاتلة الكفار والإبلاغ فيها حتى تستأصل شأفتهم بحيث يأمن المسلمون مضرتهم، ويكفون بالكلية فتنتهم.. وحية الوادي لا تؤمن ما دامت تبقى فيها حركة كذلك العدو إذا قهر فحقه أن تقتلع جميع عروقه، وتتقى زباع الإسلام من كل شكيرة تنبت من الشرك.[1]
4. مبالغة الناس في حبهم أديانهم أشد من مبالغتهم في حبهم أرواحهم، فالكافر أبدا يسعى بأعظم وجوه السعي في إيذاء المؤمنين وفي إلقاء الشبهات في قلوبهم وفي إلقائهم في وجوه المحنة والمشقة، وإذا وقعت المقاتلة زال الكفر والمشقة، وخلص الإسلام وزالت تلك الفتن بالكلية.[2]

المطلب الرابع : نعم الموالاة والنصرة.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[الأنفال: 40]

أولاً: البلاغة :

– استأنف الله عز وجل مدح نفسه بما هو أهله تعريفاً بقدره وترغيباً في تولية فقال: (نعم المولى) ولم يدخل فاء السبب هنا لأن المأمور به العلم، واعتقاد كونه مولى واجب لذاته لا لشيء آخر، بخلاف ما في آخر الحج، فإن المأمور هناك الاعتصام.[3]

ثانياً: المعنى العام:

بيان الإجراءات الواجب اتخاذها إزاء الكافرين إن تولوا وأعرضوا عن سماع دعوته، ولم ينتهوا عن كفرهم، بأن لا يهتم المسلمون بأمرهم، وأن يعلموا أن الله متولي أمورهم وناصرهم، ومن كان الله مولاه وناصره، فلا يخشى شيئا، إنه نعم المولى، ونعم النصير، فلا يضيع من تولاه، ولا يغلب من نصره.[4]

ثالثاً: ما يستفاد من الآيات:

1. نعم من الألفاظ التي تقال في مقام المدح، والمدح بالنسبة لله تعالى الشكر، والثناء على الله بما هو أهله، فنعم هو وليا مواليا، ونعم الله نصيرا غالبا.[5]

---

[1]– تفسير القشيري (625/1).

[2]– تفسير الرازي (483/15).

[3]– نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي (282/8)

[4]– انظر: تفسير الطبري (544/13)، تفسير القشيري (625/1)، تفسير المراغي (208/9)، التفسير الوسيط للواحدي (459/2)، زاد المسير لابن الجوزي (211/2).

[5] – زهرة التفاسير لأبي زهرة (3129/6).

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله تعالى إذ يسر وأعان على إتمام هذا البحث بفضله، وبعد بيان مقاصد وأهداف الحزب الثامن عشر من الآية (171) من سورة الأعراف، إلى آية (40) من سورة الأنفال، ودراستها دراسة تحليلية، يمكن بيان أبرز وأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها وذلك على النحو الآتي:

أولاً :النتائج

1. أن علم مقاصد السور يعين على فهم كتاب الله فهماً صحيحاً، ويعين على استخراج دقائق معانيها وتدبرها، ويوصل إلى معرفة الحق في تفسير كلام الله، ومقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه.
2. معرفة المقصد للسورة يبين نظم السورة، والمناسبات بين آيات السورة، وكذلك بمعرفة مقاصد السور يظهر بيان إعجاز القرآن وبلاغته.
3. اشتمال القرآن الكريم على كثير من القضايا العقدية، والأحكام، والأخلاق، والوعظ، والقصص، وغيرها من مقاصد القرآن، التي جعلها الله سبحانه هداية للبشر، والتي تدور جميعها على الدعوة إلى الله، والقرآن يبث هذا المعنى من خلال المقاصد، والأهداف، والأغراض الموزعة على كافة الآيات والسور.
4. اشتملت سورتا الأعراف والأنفال على مجموعة من المقاصد والأهداف الإيمانية والأخلاقية في جوانب العقيدة والتشريع والأخلاق.
5. سورة الأعراف من أطول السور المكية ، وهي أول سورة عرضت قصص الأنبياء بالتفصيل ومهمتها مهمة السور المكية تقرير أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله جل وعلا وتقرير الوحي والرسالة.
6. بيان أن القرآن كلام الله تعالى : فقد افتتحت السورة بالتنويه بالقرآن العظيم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة، وأنه نعمة من الله، ويجب اتباع تعاليمه.
7. بيان أبوة آدم عليه السلام للناس جميعاً، وأمر الله تعالى الملائكة بالسجود له سجود تعظيم وتحية، لا سجود عبادة وتقديس، وبيان عداوة الشيطان للإنسان والتحذير منه.

8. الأمر بدعاء الله تعالى وحده وإخلاص الدين له وتخصيصه بالعبادة، فيجب اتباع ما أنزله ولا يجوز اتباع الأولياء من دونه في العقائد والعبادات.
9. وجوب اتباع أوامر الدين، وبيان سنة الله تعالى في الاجتماع والعمران البشري، حيث إن الله تعالى أهلك الأمم الظالمة بسبب عدم إيمانها بالرسل عليهم السلام حتى تكون عبرة لغيرها من الأمم الأخرى، وابتلاء الله تعالى الأمم بالبأساء والضراء، وتارة بالرخاء والنعماء، وبيان أن الإيمان والتقوى والعمل الصالح سببٌ في نزول البركات والخيرات.
10. قصص الأنبياء وردت للتذكير بأحوال المكذبين الذين كذبوا أنبياءهم، وذلك للعبرة والعظة، والتنديد بعبادة الأصنام والتهكم بمن عبدها واتخذها شركاء مع الله عز وجل.
11. زرع مفاهيم راسخة لدى الأمة وأفرادها بأن قوانين النصر ربانيّة ومادية، حيث إن سورة الأنفال بيّنت ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من البطولة والفداء بالوقوف في وجه الباطل بشجاعة وثبات، رغم قلة عدد المسلمين وعتادهم كان النصر حليفهم بعون الله تعالى وقدرته، ثم بأخذهم بكافة الأسباب المادية، وكانت أولى المعارك بين جند الحق وجند الباطل في التاريخ الإسلامي.
12. النصر والتمكين لا بد لهما من سنن، والتي يمكن أن تكون سنناً ربّانية (النصر من عند الله) وأخرى مادية (الاستعداد للقتال بالعدة والتهيئة النفسية والعسكرية).
13. الغنائم قضية فرعية أمام القضية الهامة التي هي تقوى الله، والتحذير من الفرقة من أجل الدنيا وتوجيه المسلمين إلى الوحدة والأخوّة والترابط والتخطيط والرجوع إلى الله لتحقيق النصر.
14. وجود ترابط موضوعي واضح بين سورة الأعراف وسورة الأنفال.

ثانياً: أهم التوصيات

في ضوء الدراسة التي قمت بها، والنتائج التي توصلت إليها، فإنني أوصي ببعض **التوصيات التالية:**

1. أوصي نفسي وإخواني بتقوى الله جل جلاله، والعمل على مرضاته، واتباع هدي النبي ﷺ، والعمل على تحقيق المقاصد والتوصل إلى أهداف الآيات القرآنية، فإن في ذلك الفلاح والنجاح.
2. القرآن الكريم معين لا ينضب على مر العصور والأزمنة، فحبذا الكشف عن كنوزه وأسراره من خلال أهدافه ومقاصده.
3. أن يوجه طلاب العلم الشرعي وخاصة قسم التفسير وعلوم القرآن؛ لدراسة كافة مقاصد وأهداف القرآن الكريم، لتستفيد منها الأمة وطلاب العلم، من خلال السلسلة الكريمة التي وضعتها الجامعة ومحاولة ربط علم المقاصد والأهداف للآيات والسور بوجوه الإعجاز القرآني.
4. تعليم النشء أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله جل وعلا وتقرير الوحي والرسالة، لتنشئتهم نشأة قوية صحيحة.
5. القضية الهامة هي تقوى الله، وهي مستلزمة للأخذ بسننه في الكون، مع التحذير من الفرقة من أجل الدنيا وتوجيه المسلمين إلى الوحدة والأخوّة والترابط، فإنها من أسباب النصر والتمكين.

وختاماً أسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد ساهمت في خدمة كتابه العزيز، وسهلت الاستفادة منه للقارئ والدارس، كما أسأله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يجعلنا من عباده المتقين، هذا وما كان من توفيق وصواب في هذه الرسالة فمن الله، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان.

وأخيراً أرجو من المولى عز وجل أن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فإنه خير مأمول، وأكرم مسئول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ملخص الرسالة

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثامن عشر
من آية 171 من سورة الأعراف إلى آية 40 من سورة الأنفال

تناول فيها الباحث مقاصد وأهداف الحزب الثامن عشر من القرآن الكريم ، وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة .

أما التمهيد : فقد تناول فيه الباحث تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً، والفرق بين الأهداف والمقاصد، والأسس التي تقوم عليها المقاصد، والمحور الأساسي للسورة .

أما الفصل الأول : تناول فيه الباحث تعريف عام بسورة الأعراف، ثم بين مقاصد الآيات المطلوبة منها ورفع الجبل فوق اليهود وإذلالهم إلى يوم القيامة وتفريقهم في الأرض واستثناء الصالحين، ولا كمال إلا بالعمل بالقرآن الكريم وأن الهداية بيد الله وأن التكذيب بآيات الله سبب في الاستدراج والإهلاك وأن التفكر في أحوال الرسل سبب في وقوع الهداية بهم، ومن دواعي الإيمان التفكر في خلق الله، ضلال من أعرض عن كتاب الله، وأن مرد علم الساعة إلى الله وظهور أشراطها مقدمات وقوعها، وأن الغيب من خصائص علم الله تعالى، وطلب النفع والضر من مالكه.

أما الفصل الثاني : تناولت فيه مقاصد وأهداف سورة الأعراف من آية 171 إلى نهاية السورة من هذه المقاصد : أصل خلق البشر آدم وحواء، والحكمة في كون الزوج من جنس الزوجة، إبليس ودوره في تضليل الإنسان، التنديد بالشرك والمشركين والتوكل على الله في الوقوف أمام الباطل وإقامة الحجة عليهم ، الأمر بالتزام الآداب والتحلي بأكمل الأخلاق، الاستعاذة بالله علاج الوسوسة والغضب ، سجية إخوة الشياطين وطبيعتهم، القرآن أعظم المعجزات، وجوب الاستماع والإنصات عند تلاوة القرآن الكريم.

أما الفصل الثالث : تناول فيه الباحث تعريف بسورة الأنفال، الأمر بتقوى الله وإصلاح ذات البين، غزوة بدر وفضلها وان وعد الله نافذ، الاستغاثة بالله وحده الغاية من إرسال الملائكة، نعم الله في غزوة بدر، حكم الفرار من العدو عند اللقاء، خلق العبد وخلق فعله، كرم الله لأوليائه، النصر مرهون بحبل الله وأن الأمر بطاعة الله ورسوله ومنازل الناس بأعمالهم.

أما الفصل الرابع : تناول فيه الباحث أسباب إحياء القلوب واغتنام فرصة الخير قبل فواتها وطرق الوقاية من الفتنة ونتائج شكر النعمة، حكم الخيانة، موقف المشركين من دعوة الإسلام وبغضهم للحق وكراهيته، النبي ﷺ أمان أمته من العذاب، فضائل الاستغفار، جرم الصد عن المسجد الحرام، سنة الاختبار ماضية، وأن الإسلام يجب ما قبله .

أما الخاتمة : فقد استعرض فيها الباحث أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها .

Abstract

The Analytical study of the purposes and Objectives of the Eighteenth Hizb
from the 171st Verse of AL – A'raf Chapter
to the 40th Verse of Al- Anfal Chapter

The researcher discusses the objectives and the purposes of the eighteenth chapter of the Holy Quran. This research has on intro diction , orientation , four chapters and a conclusion .

Orientation: The researcher discusses the definition of the aims semantically and idiomatically and the difference between the aims and objectives , and the basics of the objectives, as well as the main theme of the Sura .

The first chapter: The researcher discusses general definition for Al-Araf Sura , then the objectives of the required verses, lifting the mountain above the Jews and humiliating them until the Resurrection Day, dispersing them all over the world except the righteous.

There is on perfection except by implementing the Holy Quran, the guidance is by Allah . Drying Allah's revelations is the reason for destruction . Reflections in the prophets' conditions is the reason for guidance.

One of the reasons of belief is thinking in Allah's creation. Disguidce of those who are for from Allah's Book. Allah only knows the Resurrection Day time and its introductions and characteristics. unseen is of Allah characteristics, requesting benefit and harm is from its owner.

The second chapter :- I discuss the objectives and aims of Al- Araf Sura from verse 171 to the end of the sura. Some of these objectives – the creation of human beings. Adam and Eve, the wisdom for creating groom from the bride gender, Satan's role in misleading man, denying polytheism and disbelieves, depending on Allah for standing against injustice and establishing proof for them, morals commitment and to be characterized by best morals, seeking refuge in Allah is a cure for anger and insinuation, the qualities of derails brothers and their nature, Quran is the greatest miracle, the obligation for listening when Quly Quran is recited.

The third chapter :- the researcher discusses the definition of Al- Anfal Sura, fearing Allah ordering and people reconciliation, Bader battle and its virtues and Allah's promise is true, Allah's blessing in Bader battle, Judging running away from enemy in battles, man's creation and Allah's generosity for His believers, the victory is from Allah and conditioned by obeying Allah and His prophet, and people's positions are by their deeds.

The fourth chapter :- The researcher discusses the causes of hearts reviving and seizing the opportunity in time and how to aroid sedition, Thanking blessing and its results, betraying judging, the disbelieves view of Islam and their hating for justice, the prophet is his. Nation safe of torment, forgiveness. Virtues, Al-mssged Al-Hram.

The conclusion :- The researcher displays the most important findings and recommendations that he has found out.

الفهارس العامة

- أولاً : فهرس الآيات القرآنية .
- ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
- ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع .
- رابعاً : المجلات والأبحاث والمواقع الإلكترونية .
- خامساً : فهرس الموضوعات .

• أولاً : فهرس الآيات القرآنية .

م	الآية	السورة ورقمها	رقم الصفحة
.1	﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾	النمل :19	ث
.2	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾	النحل:9	15
.3	﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ﴾	التوبة:42	15
.4	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	الذاريات:56	16
.5	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	الجاثية:13	21
.6	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾	الأعراف:32	23
.7	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ .....وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾	الأعراف:157	23
.8	﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	الأعراف :3	29
.9	﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ﴾	الأنعام : 2	30
.10	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾	الأنعام :165	30
.11	وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾	الأنعام : 156	30
.12	وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾	الأعراف : 8	30
.13	﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾	هود :42	37
.14	﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾	الحجر:82	37
.15	﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ﴾	البقرة : 260	37
.16	﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾	ص : 26	52
.17	﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾	طه : 16	52
.18	﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾	الفرقان : 43	52
.19	﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾	المؤمنون : 71	52
.20	﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	المطففين : 14	55
.21	﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾	الشورى : 7	57
.22	﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾	هود : 105	57
.23	﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾	الروم : 7	57
.24	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾	البلد : 10	57

.25	﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾	فصلت : 26	**60**
.26	﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	البقرة : 171	**60**
.27	﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ ..... أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾	السجدة: 26-27	**60**
.28	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾	طه : 8	**64**
.29	﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾	الحشر: 24	**64**
.30	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	البقرة : 186	**66**
.31	﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾	النمل : 62	**66**
.32	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	البقرة :251	**68**
.33	﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	المدثر : 31	**79**
.34	﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾	البقرة : 32	**79**
.35	﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	يونس : 48	**84**
.36	﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾	الأحزاب : 63	**86**
.37	﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾	فصلت : 47	**86**
.38	:﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ .... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	لقمان : 34	**86**
.39	﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾	غافر : 59	**87**
.40	﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾	طه : 15	**87**
.41	﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾	النحل : 77	**87**
.42	﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	الرعد : 48	**88**
.43	﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾	الانفطار: 1-4	**88**
.44	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾	الشورى : 18	**89**
.45	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .....لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾	يونس: 48-49	**92**
.46	عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾	الجن: 26-27	**92**
.47	﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾	الأنفال : 188	**92**
.48	﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾	العاديات :	**93**
.49	﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ﴾	البقرة : 180	**93**
.50	﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾	البقرة : 215	**93**
.51	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾	الحجرات: 13	**98**

.52	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾	النساء : 1	**98**
.53	﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	الذاريات : 49	**98**
.54	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾	الحجرات: 13	**98**
.55	﴿ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾	يوسف : 30	**99**
.56	﴿امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾	التحريم: 10	**99**
.57	﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾	مريم: 5	**99**
.58	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾	الروم : 21	**99**
.59	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾	النحل : 72	**101**
.60	﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾	البقرة : 31	**104**
.61	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ .... ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾	الحج : 73	**105**
.62	﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾	الروم : 33	**106**
.63	﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾	القصص: 17	**115**
.64	﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾	الصافات : 93	**117**
.65	﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾	الأنبياء : 58	**117**
.66	﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾	فاطر : 14	**117**
.67	﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾	آل عمران: 159	**122**
.68	﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	النحل : 125	**122**
.69	﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾	البقرة : 237	**122**
.70	﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	آل عمران: 103	**123**
.71	﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾	البقرة : 228	**123**
.72	﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾	البقرة : 229	**123**
.73	﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	فصلت : 36	**125**
.74	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾	النحل : 98	**126**
.75	﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ﴾	البقرة : 257	**130**
.76	﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾	المؤمنون : 55	**130**
.77	﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾	الإسراء:90-91	**133**

.78	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	الأنعام : 155	**134**
.79	﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾	فصلت : 26	**136**
.80	﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ﴾	الجن : 29	**138**
.81	﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾	طه : 108	**138**
.82	﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾	ق : 39	**139**
.83	﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾	الرعد :28	**139**
.84	﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾	الإسراء : 110	**139**
.85	﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾	الأنعام : 63	**140**
.86	﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾	النساء : 90	**149**
.87	﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا..﴾	التوبة : 4	**149**
.88	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	الأنفال: 59	**150**
.89	﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾	آل عمران: 137	**151**
.90	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾	الأنفال: 42]	**157**
.91	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾	الفتح : 4	**160**
.92	﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾	التوبة : 124	**160**
.93	﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾	المائدة : 24	**164**
.94	﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾	التوبة : 33	**169**
.95	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	الأنبياء : 18	**169**
.96	﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾	القمر : 45	**171**
.97	﴿ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾	آل عمران:124	**172**
.98	﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾	آل عمران:125	**172**
.99	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾	آل عمران:126	**173**
.100	﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾	المائدة : 56	**187**
.101	﴿ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	الحديد : 19	**187**
.102	﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾	البقرة : 285	**189**

.103	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	ق: 37	**191**
.104	﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾	النحل : 97	**194**
.105	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾	الإسراء : 15	**200**
.106	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾	المدثر : 38	**200**
.107	﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	الأعراف: 128	**203**
.108	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾	الأحزاب: 72	**206**
.109	﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾	الأنبياء : 35	**209**
.110	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾	الفرقان : 1	**210**
.111	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ..... وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	الحديد : 28	**211**
.112	﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾	البقرة : 197	**211**
.113	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ...﴾	الأنفال : 31	**214**
.114	﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	الفرقان : 6	**218**
.115	﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾	المدثر: 24	**219**
.116	﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	الأنفال: 32	**222**
.117	﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾	الكهف : 104	**226**
.118	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾	البقرة : 256	**236**
.119	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	[محمد : 7	**236**

• ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

م	طرف الحديث	ورود الحديث وحكمه	الصفحة
1.	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	سنن الترمذي وصححه الألباني	ث
2.	"ما لك تقرأ في المغرب بقصار"	صحيح البخاري (153/1)	26
3.	"أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمَان"	مسند أحمد (4/ 267)	39
4.	إن ما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا ...	صحيح ابن حبان	52
5.	"وإنما لكل امرئ ما نوى"	صحيح البخاري (1/6/1)	52
6.	(من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له)	صحيح مسلم (867/593/2)	53
7.	«فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير»	سنن الترمذي (2141/449/4)	54
8.	إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ	صحيح مسلم (2662/2050/4)	58
9.	إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا	مسند أحمد (16/ 291/ 10481)	65
10.	من نزل به غم أو كرب أو أمر مهمّ	صحيح البخاري(8/ 75/ 6345)	66
11.	(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...)	صحيح مسلم (1920/1523/3)	67
12.	لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله	صحيح البخاري(3641/207/4)	68
13.	تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة	صحيح مسلم(4/2270 /2954)	89
14.	الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله	مسند أحمد (39/ 163)	102
15.	ألا إن آل أبي– يعني فلانا– ليسوا لي بأولياء	صحيح مسلم (1/ 197/ 215)	114
16.	(الدعاء هو العبادة)	مسند أحمد(30/ 298 /18352)	118
17.	يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا	صحيح البخاري (1/ 25 /69)	121
18.	وما خير ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما	صحيح البخاري (6786/160/8)	122
19.	يَا عُقْبَةُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟	مسند أحمد ط الرسالة (28/ 569 /17334)	123
20.	أثقل شيء في الميزان خلق حسن	مسند الحميدي (1/ 379)	123
21.	ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن	صحيح مسلم(4/2167/ 2814)	126

.22	إنما جعل الإمام ليؤتم به	صحيح مسلم (1/ 311/ 417)	137
.23	ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت، يتغنى بالقرآن	صحيح مسلم (1/ 545/ 792)	137
.24	من استمع إلى آية من كتاب الله	مسند أحمد (14/ 191)	137
.25	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	صحيح البخاري (1/ 151)	138
.26	إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أوتتكلم	صحيح البخاري (7/46/ 5269)	141
.27	إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد	سنن ابن ماجه (1/ 334)	142
.28	من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه	صحيح البخاري (4/92/ 3142)	146
.29	سورة الأنفال قال نزلت في بدر	صحيح البخاري (4645/61/6)	146
.30	أعطيت مكان التوراة السبع	مسند أحمد(28/ 188/ 16982)	147
.31	فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل	مسند أحمد وحسنه المحقق (411/37)	156
.32	من قتل قتيلا فله سلبه	صحيح البخاري (4/ 3142/92)	157
.33	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي	صحيح البخاري (1/ 335/74)	158
.34	الإيمان بضع وسبعون شعبة	صحيح مسلم (1/ 63)	161
.35	اللهم أنجز لي ما وعدتني	صحيح مسلم (1384/3)	171
.36	صدقت ذاك من مدد السماء	صحيح مسلم (3/ 1385)	173
.37	إنه قد شهد بدرا	صحيح البخاري (8/ 57)	174
.38	كيف أهل بدر فيكم؟ قال: خيارنا	صحيح البخاري (5/ 80)	175
.39	والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم	صحيح مسلم (4/ 2202)	179
.40	لا، بل أنتم العكارون	مسند أحمد (9/ 282)	183
.41	الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته	صحيح البخاري (6/ 17)	195
.42	يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	مسند أحمد (19/ 160)	197
.43	نعم إذا كثر الخبث	صحيح البخاري (4/ 138)	199
.44	إن الناس إذا رأوا الظالم	مسند أحمد ط الرسالة (1/ 208)	199
.45	ما من قوم يعملون بالمعاصي	مسند أحمد (31/ 530)	200

46.	لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر	مسند أبي يعلى الموصلي(448/8)	201
47.	يجزيك الثلث أن تتصدق به	سنن أبي داود (3/ 240)	205
48.	لا إيمان لمن لا عهد له	مسند أحمد (376/19)	207
49.	آية المنافق ثلاث	صحيح مسلم (78/1)	207
50.	من أحسن في الإسلام	صحيح البخاري (14/9)	234
51.	فلما جعل الله الإيمان في قلبي أتيت النبي ﷺ	صحيح مسلم (1/ 112)	234

• ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع .

القرآن الكريم

1. الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: 387هـ)، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، نشرته دار الرية، الرياض. وطبع الكتاب في عدة سنوات كأجزاء متفرقة، ابتداء من سنة 1415هـ، وانتهاء بسنة 2005هـ.
2. الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم عرض ودراسة، للدكتور أحمد بن عبد العزيز بن مُقْرِن القُصَيِّر، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، 1430 هـ.
3. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988م.
4. أحكام القرآن، لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405 هـ.
5. أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1424 هـ، 2003م.
6. أحكام القرآن الكريم، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ)، تحقيق: الدكتور سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول، الأولى 1995م.
7. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
8. الأساس في التفسير، لسعيد حوى، دار السلام، القاهرة، الطبعة السادسة، 2003م.
9. أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، 1412 هـ - 1992م.
10. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ)، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة.

11. أسرار ترتيب القرآن، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، 1398هـ - 1977م
12. البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، تاج القراء (المتوفى: نحو 505هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.
13. الأصلان في علوم القرآن، لمحمد عبد المنعم القيعي، الطبعة الرابعة، 1417هـ- 1996م.
14. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، دار الفكر، بيروت، 1415 هـ - 1995م.
15. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفاة: 1419هـ)، دار المعارف، الطبعة الثالثة.
16. الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، من مناهج جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.
17. إعراب القرآن، لعلي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأَصْفهاني الباقولي (المتوفى: نحو 543هـ)، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ودار الكتب اللبنانية، بيروت، الطبعة الرابعة، 1420هـ.
18. إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، ودار اليمامة، دمشق، ودار ابن كثير، دمشق، الطبعة الرابعة، 1415هـ.
19. إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ.
20. إعراب القرآن، لإسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: 535هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1995م.
21. إعراب القرآن العظيم، لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ)، حققه وعلق عليه: الدكتور موسى على موسى مسعود، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001م.
22. إعراب القرآن الكريم، لأحمد عبيد الدعاس، تحقيق: أحمد محمد حميدان، وإسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي، دمشق، الطبعة الأولى، 1425 هـ.

23. الإكليل في استنباط التنزيل، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401 هـ – 1981م.
24. ألف سؤال وجواب في القرآن، لقاسم عاشور، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ – 2001م.
25. الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، لعبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى، 1424هـ – 2003م.
26. أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى، دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية – الرياض، الطبعة الأولى، 1413 هـ، 1991م.
27. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
28. الأهداف السلوكية، للدكتور مهدي محمود سالم، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1997م.
29. إيجاز البيان عن معاني القرآن، لمحمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو 550هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى – 1415 هـ.
30. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة الخامسة، 1424هـ/2003م.
31. باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، لمحمود بن أبي الحسن علي بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، أبو القاسم، الشهير ببيان الحق (المتوفى: بعد 553هـ)، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، 1419 هـ – 1998م.
32. بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).

33. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.
34. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، وحسن عباس زكي، القاهرة، الطبعة 1419 هـ.
35. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957م.
36. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
37. بيان المعاني، لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398هـ)، مطبعة الترقي، دمشق، الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1965م.
38. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
39. تاريخ نزول القرآن، لمحمد رأفت سعيد، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2002م.
40. تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، تحقيق: الدكتور مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت،، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005م.
41. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: 616هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
42. تحبير التيسير في القراءات العشر، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م.
43. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية، تونس، 1984 هـ.

44. تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لعلوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار الهجرة، الثانية، 1416 هـ - 1995م.
45. تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004م.
46. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى - 1416 هـ.
47. التضمين النحوي في القرآن الكريم، لمحمد نديم فاضل، دار الزمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى،1426 هـ - 2005م.
48. تفسير ابن عرفة، لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: 803هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2008م.
49. تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي السايس، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية، 2002م.
50. تفسير التستري، لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423 هـ.
51. تفسير الثوري، لأبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (المتوفى: 161هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1403 هـ 1983م.
52. تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.
53. التفسير الحديث، لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة 1383 هـ.
54. تفسير الراغب الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999م.
55. تفسير الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي الشافعي (المتوفى: 204هـ)، جمع

وتحقيق ودراسة: الدكتور أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1427 – 2006م.
56. تفسير الشعراوي، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم،1997م.
57. تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ)، دار الكتب العلمية دراسة وتحقيق: الدكتور محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1419هـ.
58. تفسير الفاتحة والبقرة، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1423 هـ.
59. تفسير القرآن، لأبي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: 197هـ)،، تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2003م.
60. تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ- 1997م.
61. تفسير القرآن، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1996م.
62. تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
63. تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة الطبعة الأولى، 1423هـ – 2002م.
64. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية 1420هـ – 1999م.

65. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: 327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1419 هـ.
66. تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 1410 هـ.
67. التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: 1390هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.
68. تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر الطبعة الأولى، 1410 هـ - 1989م.
69. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946م.
70. التفسير المظهري، لمحمد ثناء الله المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، الطبعة 1412 هـ.
71. تفسير مقاتل، لمقاتل بن سليمان أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، 1423 هـ.
72. التفسير من سنن سعيد بن منصور، لأبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: 227هـ)، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997م.
73. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ.
74. التفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.
75. التفسير الواضح، لمحمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة، 1413هـ.
76. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى.

77. التفسير الوسيط، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1422 هـ.
78. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946م.
79. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، لعبد الله بن عباس، (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان.
80. توفيق الرحمن في دروس القرآن، لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: 1376هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، الرياض، ودار العليان، بريدة، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1996م.
81. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ -2000م.
82. جامع البيان في تفسير القرآن، لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (المتوفى: 905هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2004م.
83. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000م.
84. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م.
85. الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: 1376هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة الرابعة، 1418 هـ.
86. جمال القراء وكمال الإقراء، لعلي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: 643هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة، ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م.

87. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
88. الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة.
89. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1992م.
90. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
91. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الفكر، بيروت.
92. دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل (المتوفى: 1426هـ)، دار المنار، الطبعة الثانية 1419هـ-1999م.
93. دراسات في علوم القرآن الكريم، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الثانية عشرة 1424هـ - 2003م.
94. دراسات في الفكر العربي الإسلامي، للدكتور زيد إبراهيم الكيلاني، وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الطبعة السابعة، 1997م.
95. درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: 420هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد مصطفى آيدين، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001م.
96. دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، لعبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1427 هـ - 2006م
97. روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، دار الفكر، بيروت.
98. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

99. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ.
100. زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار الفكر العربي.
101. سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، لأبي القاسم علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعي المقرئ (المتوفى: 801هـ)، راجعه: علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة، 1373 هـ - 1954م.
102. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، مطبعة بولاق، القاهرة، 1285هـ.
103. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، مكتبة المعارف، الرياض الطبعة الأولى.
104. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
105. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، 1395 هـ - 1975م.
106. السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001م.
107. شرح تنقيح الفصول، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة: الأولى، 1393 هـ - 1973م.

108.شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ - 1983م.
109.شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1420 هـ - 2000م.
110.الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: 360هـ)،، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، 1420 هـ - 1999م.
111.صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.
112.صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
113.الصحيح المسند من أسباب النزول، لمقبل بن هادي الوادعي (المتوفى: 1422هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1408هـ- 1987م.
114.صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997م.
115.مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، لمحمد يسري، الطبعة الثانية، 1427هـ- 2006م.
116.العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، تحقيق: خالد بن عثمان السبت إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، 1426 هـ.
117.عقد الدرر فيما صح في فضائل السور، لأيمن عبد العزيز أبانمي،:الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، الرياض.
118.عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ)، دار صادر، بيروت.
119.عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن، لعلى أحمد عبد العال الطهطاوى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004م.

120. العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى:170هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
121. غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، لأحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (المتوفى: 893هـ)، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا، 1428 هـ - 2007م.
122. غاية الأماني في الرد على النبهاني لأبي المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: 1342هـ)، تحقيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ- 2001م.
123. غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو 505هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت.
124. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت،.
125. غريب الحديث، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى:597هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1985م.
126. غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، تحقيق: سعيد اللحام.
127. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، بيروت، 1412 هـ - 1992م.
128. فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى - 1414 هـ.
129. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى، 1403 هـ - 1983م.
130. فقه قراءة القرآن الكريم، لأبي خالد سعيد عبد الجليل يوسف صخر المصري، مكتبة القدسي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997م.

131.الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، لنعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ)، دار ركابي للنشر، مصر الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1999م.
132.في رحاب التفسير، لعبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث، القاهرة.
133.في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412 هـ.
134.القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى:817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005م.
135.القرآن ونقض مطاعن الرهبان، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007م.
136.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ.
137.الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2002م.
138.الكنز في القراءات العشر، لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004م.
139.لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى - 1415 هـ.
140.اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ -1998م.
141.لباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت.

142.لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.
143.لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.
144.مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1426 هـ – 2005م.
145.مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة الرابعة، 1426هـ – 2005م.
146.مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: 209هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة 1381 هـ.
147.المجتبى من مشكل إعراب القرآن، لأحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة عام النشر: 1426 هـ.
148.محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
149.المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة رواية ودراية، لخالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى،1427 هـ – 2006م.
150.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ.
151.مختصر تفسير سورة الأنفال، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني عشر) لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.
152.المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ)، مكتبه السنة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1423 هـ – 2003م.
153.مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: 1316هـ)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ.

154.مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001م.
155.مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ.
156.المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
157. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي، بيروت الأولى، 1420 هـ.
158.معانى القرآن، لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1990م.
159.معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية، مصر، الطبعة الأولى.
160.معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988م.
161.معترك الأقران في إعجاز القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988م.
162.المعجزة الكبرى القرآن، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار الفكر العربي.
163.المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.
164.معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، لحسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الأولى، 2003 - 2008م.

165.التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ.
166.المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، والدار الشامية، دمشق، الطبعة الأولى، 1412 هـ.
167.مقاصد الشريعة، مجموعة من المؤلفين، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.
168.مقاصد الشريعة ، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، دار البصائر، الطبعة الأولى، 1998م.
169.المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، للدكتور يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية، 1994م.
170.مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى:395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
171.المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر، لعمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري أبو حفص، سراج الدين النشَّار الشافعي المصري (المتوفى: 938هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001م.
172.ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: 708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
173.من بلاغة القرآن، لأحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: 1384هـ)، نهضة مصر، القاهرة، عام النشر: 2005م.
174.مناهج المفسرين، لمنيع بن عبد الحليم محمود (المتوفى: 1430هـ)، دار الكتاب المصري، القاهرة،، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1421 هـ - 2000م.
175. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، الأولى، 1420 هـ - 1999م.
176.الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى:790هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ- 1997م.

177.الموسوعة القرآنية، لعبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ.
178.الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 1423 هـ - 2002م.
179.ناسخ القرآن ومنسوخه، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، 1423هـ/2003م.
180.الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، 1408هـ.
181. نزهة القلوب، لمحمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري (المتوفى: 330هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، سوريا، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1995م.
182.نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، لأحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، الطبعة الرابعة، 1994م.
183.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
184.النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
185.النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، لأحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو 360هـ)، تحقيق: علي بن غازي التويجري، وإبراهيم بن منصور الجنيدل، وشايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار ابن عفان، الرياض الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003م.
186.نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، من منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1424 هـ - 2005م.
187.الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: مجموعة من طلاب جامعة الشارقة، بإشراف

الدكتور الشاهد البوشيخي، من منشورات كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الشارقة، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008م.
188. الواضح في علوم القرآن، لمصطفى ديب البغا، ومحيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، ودار العلوم الإنسانية، دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ - 1998م.
189. الوجوه والنظائر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007م.
190. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، والدار الشامية، دمشق، الطبعة الأولى، 1415 هـ.
191. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1994م.
192. وظيفة الصورة الفنية في القرآن، لعبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001م.
193. ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لمحمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب (المتوفى: 345هـ)، تحقيق: حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1423هـ - 2002م.

• رابعاً : المجلات والأبحاث والمواقع الإلكترونية .

1. موقع إسلام أون لاين: http://www.islamonline.net
2. موقع الراية http://www.rayah.info/browse.php?comp
3. موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net
4. موقع الفكر: http://www.fikr.com
5. موقع منبر التربية: http://www.minbr.com/bhaoth7.php.

• خامساً : فهرس الموضوعات .

م	الموضوع	رقم الصفحة
.1	الإهداء	ت
.2	الشكر والتقدير	ث
.3	المقدمة	1
	التمهيد : التعريف بالأهداف والمقاصد ومحور السورة	
.4	تعريف الأهداف والمقاصد لغة واصطلاحاً	13
.5	الفرق بين الأهداف والمقاصد	19
.6	الأسس التي تقوم عليها المقاصد	21
	الفصل الأول **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الثامن عشر** **سورة الأعراف الآيات (171 . 188)**	
.7	**المبحث الأول : تعريف عام بسورة الأعراف**	25
.8	المطلب الأول : أسم السورة	26
.9	المطلب الثاني: عدد آيات السورة	26
.10	المطلب الثالث : نزول السورة	26
.11	المطلب الرابع : فضل السورة	27
.12	**المبحث الثاني :محور السورة وأهدافها ومناسباتها لما قبلها وبعدها**	28
.13	المطلب الأول : محور السورة	29
.14	المطلب الثاني: أهداف ومقاصد السورة	29
.15	المطلب الثالث : مناسبة السورة لما قبلها الأنعام	30
.16	المطلب الرابع : مناسبة السورة لما بعدها الأنفال	31
.17	**المبحث الثالث :المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (171 . 174)**	32
.18	المطلب الأول : بيان نفسيات اليهود	33
.19	المطلب الثاني: الميثاق العام المأخوذ على بني آدم	38

.20	المطلب الثالث : عجيب تدابير الله تعالى في خلقه	41
.21	**المبحث الرابع :المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (175 . 178)**	43
.22	المطلب الأول : اقتضاء العلم العمل	44
.23	المطلب الثاني: حال من ترك القرآن الكريم وأعرض عما فيه من الآيات	47
.24	المطلب الثالث : لا رفعة ولا سيادة ولا كمال إلا بالعمل بالقرآن الكريم	51
.25	المطلب الرابع : الهداية بيد الله	53
.26	**المبحث الخامس :المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (179. 181)**	56
.27	المطلب الأول : حقيقة القضاء والقدر	57
.28	المطلب الثاني: هبوط الآدمي .	59
.29	المطلب الثالث : الأمر بدعاء الله .	63
.30	المطلب الرابع : صفات الأمة المحمدية	67
.31	**المبحث السادس :المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية(182 . 186)**	70
.32	المطلب الأول : التكذيب بآيات الله سبب في الاستدراج والهلاك	71
.33	المطلب الثاني: التفكير في أحوال الرسل سبب في وقوع الهداية بهم	74
.34	المطلب الثالث : من دواعي الإيمان: التفكر في خلق الله واقتراب الأجل	77
.35	المطلب الرابع : ضلال من أعرض عن كتاب الله	79
.36	**المبحث السابع:المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية(188.187)**	82
.37	المطلب الأول : مرد علم الساعة إلى الله	83
.38	المطلب الثاني: أشراط الساعة مقدمات لوقوعها	88
.39	المطلب الثالث : لا يعلم الغيب إلا الله	90
.40	المطلب الرابع : طلب النفع والضر من مالكه	91
.41	المطلب الخامس : إقرار الغاية من إرسال الرسل	93

الفصل الثاني الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثاني من الحزب الثامن عشر سورة الأعراف الآيات (189 . 206)		
.42	**المبحث الأول :المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (189 . 193)**	97
.43	المطلب الأول : أصل خلق البشر آدم وحواء	98
.44	المطلب الثاني: الحكمة في كون الزوج من جنس الزوجة	99
.45	المطلب الثالث : الزواج أهميته والحث عليه	100
.46	المطلب الرابع : خداع إبليس وتضليله للإنسان	102
.47	المطلب الخامس : التنديد بالشرك والمشركين	104
.48	**المبحث الثاني :المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (194 . 198)**	108
.49	المطلب الأول : إقامة الحجة على المشركين	109
.50	المطلب الثاني: التوكل على الله في الوقوف أمام الباطل	113
.51	المطلب الثالث : تجسيد الباطل بأبشع الصور	116
.52	**المبحث الثالث :المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (199 . 202)**	120
.53	المطلب الأول : الأمر بالتزام الآداب والتحلي بأكمل الأخلاق	121
.54	المطلب الثاني: الاستعاذة بالله علاج الوسوسة والغضب وتزيين الباطل	125
.55	المطلب الثالث : فضيلة التقوى	127
.56	المطلب الرابع : سجية إخوة الشياطين وطبيعتهم	129
.57	**المبحث الرابع :المقاصد والأهداف في سورة الأعراف من الآية (203 . 206)**	132
.58	المطلب الأول : القرآن أعظم المعجزات	133
.59	المطلب الثاني: وجوب الاستماع والإنصات عند تلاوة القران الكريم	136
.60	المطلب الثالث : ذكر الله رغبة ورهبة	138
.61	المطلب الرابع : الملائكة قدوه لنا في السجود	141

الفصل الثالث الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب الثامن عشر سورة الأنفال الآيات (1 . 23)		
.62	**المبحث الأول :تعريف بسورة الأنفال**	145
.63	المطلب الأول : تسميتها، نزولها، فضلها، عدد آياتها	146
.64	المطلب الثاني: الجو الذي نزلت فيه	148
.65	المطلب الثالث : مناسبة السورة لما قبلها وبعدها	148
.66	المطلب الرابع : بيان الأهداف والمقاصد لسورة الأنفال	150
.67	**المبحث الثاني :المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (1 . 4)**	155
.68	المطلب الأول : الأمر بتقوى الله وإصلاح ذات البين	156
.69	المطلب الثاني : صفات أهل الإيمان الكامل	159
.70	**المبحث الثالث :المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (5 . 8)**	163
.71	المطلب الأول: غزوة بدر وفضلها	164
.72	المطلب الثاني : تقرير قاعدة " عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم "	166
.73	المطلب الثالث : وعد الله نافذ	167
.74	**المبحث الرابع :المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (9 . 14)**	170
.75	المطلب الأول : الاستغاثة بالله وحده	171
.76	المطلب الثاني: الغاية من إرسال الملائكة	174
.77	المطلب الثالث : نعم الله في غزوة بدر	175
.78	المطلب الرابع : تعليم كيفية قتل أعداء الله	177
.79	المطلب الخامس: عاقبة مشاقة الله ورسوله	178
.80	**المبحث الخامس :المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (15 . 19)**	180
.81	المطلب الأول : حكم الفرار من العدو عند اللقاء	181
.82	المطلب الثاني: خلق العبد وخلق فعله	183
.83	المطلب الثالث : معجزة التراب لرسول ﷺ	184

.84	المطلب الرابع: كرم الله لأوليائه	185
.85	المطلب الخامس : النصر مرهون بحبل الله	186
.86	**المبحث السادس :المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (20 . 23)**	188
.87	المطلب الأول : الأمر بطاعة الله ورسوله	189
.88	المطلب الثاني: منازل الناس بأعمالهم	190
	الفصل الرابع **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الرابع من الحزب الثامن عشر** **سورة الأنفال الآيات (24 . 40)**	
.89	**المبحث الأول :المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (24 . 26)**	193
.90	المطلب الأول : أسباب إحياء القلوب	194
.91	المطلب الثاني: اغتنام فرصة الخير قبل فواتها	196
.92	المطلب الثالث : طرق الوقاية من الفتنة	198
.93	المطلب الرابع : نتائج شكر النعمة	201
.94	**المبحث الثاني :المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية(27 . 29)**	204
.95	المطلب الأول : حكم الخيانة وأنواعها	205
.96	المطلب الثاني: عواقب فتنة المال والولد	207
.97	المطلب الثالث : ثمرات التقوى	210
.98	**المبحث الثالث :المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية(30 . 31)**	213
.99	المطلب الأول : مكر المشركين بدعوة الإسلام	214
.100	المطلب الثاني: موقف المشركين من دعوة الإسلام	217
.101	**المبحث الرابع :المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (32 . 35)**	220
.102	المطلب الأول : بغض الحق وكراهيته عند المشركين	221
.103	المطلب الثاني: النبي ﷺ أمان أمته من العذاب	222
.104	المطلب الثالث : فضائل الاستغفار	223
.105	المطلب الرابع : جرم الصد عن المسجد الحرام	224

.106	المطلب الخامس : أهل الحق بولاية المسجد الحرام	225
.107	المطلب السادس : هيئة عبادة المشركين وحكمها	226
.108	**المبحث الخامس :المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (36 . 37)**	227
.109	المطلب الأول : نفقات المشركين ومآلها	228
.110	المطلب الثاني: سنة الاختبار ماضية	230
.111	**المبحث السادس :المقاصد والأهداف في سورة الأنفال من الآية (38 . 40)**	233
.112	المطلب الأول : سعة فضل الله ورحمته وأن الإسلام يجب ما قبله	234
.113	المطلب الثاني : سنة الله في الظالمين	235
.114	المطلب الثالث : علة قتال المشركين	235
.115	المطلب الرابع : نعم الموالاة والنصرة	237
	الخاتمة	
.116	النتائج	238
.117	التوصيات	240
.118	ملخص الرسالة	241
.119	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	242
	الفهارس	
.120	أولاً : فهرس الآيات القرآنية .	244
.121	ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .	249
.122	ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع .	252
.123	رابعاً : المجلات والأبحاث والمواقع الإلكترونية .	270
.124	خامساً : فهرس الموضوعات .	271